سرائر وأسرار النطقاء

تأليف الداعي الأجل
جعفر بن منصور اليمن



تحقيق وتقديم
الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس

سَرائِرُ وَأسْرَار النُطقَاء

سلسلة التراث الفاطمي

سرائر وأسرار النطقاء

تأليف الداعي الأجل

جعفر بن منصور اليمن

المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م

تحقيق وتقديم

الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

دار الأندلس - بيروت ، لبنان
هاتف : ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب : ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣

مقدمة

يطيب لي أن أضع هذا السفر النادر بين أيدي العلماء والباحثين ، والقراء الأعزاء ، الذين عودتهم على تقديم كل نادر وجديد في العلوم الباطنية التي عشقتها منذ تفتحت مداركي على المعرفة الحقانية التي تجسدها هذه العلوم العقلانية .

ولقد نشرت حتى الآن من مصنفات الباطنية ونصوصها ما لا حصر له ولا عد ، ويمكنني أن أعتبر هذا الكتاب « أسرار النطقاء » المؤلف التاسع والثلاثون من بين الكتب التي وضعتها موضع التداول .

أسرار النطقاء

يعتبر كتاب « أسرار النطقاء » من أقدم المصنفات الإسماعيلية التي تبحث في قصص الأنبياء ، وأسرارهم العرفانية ، وحكمهم التأويلية الباطنية المنبثقة من سلوكهم الديني والدنيوي ، في إطار من الرموز والإشارات التأويلية التي اعتاد عليها حكماء الدعوة الإسماعيلية في كل تحركاتهم وتفكيرهم العلمي .

ونلاحظ بأن المؤلف يسرد قصص الأنبياء كما روتها الكتب السماوية ، ثم يعمد إلى تأويل تلك القصص باطنياً حيث يستعمل الرموز والمصطلحات الإسماعيلية ليؤكد على صحة تأويله الذي يقول بأنه أخذه عن الأئمة الهداة الأطهار الذين خصهم الله بهذه الميزة باعتبارهم النواميس المكلفة من الله لقيادة البشرية إلى الخير والسعادة في الدارين .

وفي أكثر أبحاثه يعتمد على الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة المروية عن الرسول وعن الأئمة الأطهار . وأول ما يتحدث المؤلف عن إبداع العقل وانبعاث النفس ، وعن العالم التركيبي المجبول بالحركة والسكون ، وعن العالم الأعلى الروحاني . ثم يتعرض لبدء الزمان من حركة الأفلاك والتراكيب ، ويقول بأن الزمان ليس له ذات ، ولا هو جوهر ، بل هو بتقدير حركة الأفلاك فقط .

ويذهب إلى أن سبب تركيب هذا العالم بأسره والمواليد المتولدة منه ، كان لأجل بدء ظهور الإنسان المهيء لقبول آثار العالم العلوي ، بالمعرفة والعلم . وفي رأيه أن آدم كان أول المطبوعات ، ويؤكد بأنه كان قبله أكوار لا يمكن لأمثاله الوقوف عليها إذ هي روحانية غير معلومة بمشاهدة أو نظر .

وبعد هذه المقدمة يذكر بأن آدم لم يتصل به التأييد من أحد من البشر ، ولا من ولادة أم وأب ، بل كان اتصال التأييد به بما جرى من العقل الذي هو إمام الزمان ، والنفس التي هي حجته ، بواسطة الجد والفتح والخيال .

وبعد أن يناقش قصة آدم ونبوته يتوصل إلى قصة إدريس الذي يسميه صاحب الفترة الثانية معتبراً أن آدم صاحب الفترة الأولى ، ويقول بأنه سمي إدريس لأنه درس العلم على قابيل . ثم يأتي دور قصة نوح الذي كان يدعو قومه إلى شريعة هابيل وشيث وإدريس . أما هو فقد أحيا كلمة الحق بعد دثورها وكان أشبه الناس بآدم خلقاً وخُلقاً .

وقصة ابراهيم تأتي بعد قصة هود لأنه حسب رأي المؤلف أول من رفع أركان البيت وشيد جدرانه ، وشرع الشريعة واتخذ لوط ابن عمه حجة له . وبعد أن يذكر ابتداء سورة ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ يشرح ما أشار به ابراهيم من ختان وغيره .

وبعد أن يستعرض قصة اسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى ويوشع ابن النون وداؤد وسليمان وآصف بن برخيا وعيسى بن مريم وزكريا ويحيي ويذكر أئمة أدوارهما معتمداً على التأويل وبعض النصوص التي وردت في الكتب السماوية

يصل إلى قصة محمد (ﷺ) واختلاف المسلمين بعد وفاته على تولي الخلافة .

ويختم الكتاب بعد كل هذا السرد والمناقشة بالرد على الفرق الشيعية التي تنكر إمامة اسمعيل بن جعفر الصادق مقدماً الأدلة والأحاديث التي تدعم ما يذهب إليه . ومما لا شك فيه بأن كتاب « أسرار النطقاء » ذو فائدة جليلة لمن يرغب في معرفة آراء الإسماعيلية في قصص الأنبياء .

جعفر بن منصور اليمن

هو جعفر بن (منصور اليمن) الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي الذي يمت بصلة النسب إلى عقيل بن أبي طالب . ولما توفي والده ابن حوشب وتآمر أخيه الحسن على قتل الشاوري ، وثار على الخليفة الفاطمي المهدي ، اختلف جعفر مع أخيه الحسن واعتبر أعماله وتصرفاته خروجاً على المذهب ، فتوجه إلى المغرب سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م ، فوجد الخليفة الفاطمي المهدي قد توفي وقام بعده ابنه القائم ، الذي رحب به وأنزله أحسن منزلة .

ويحدثنا المؤرخ الإسماعيلي الداعي المطلق إدريس عماد الدين عن المكانة التي بلغها جعفر بن منصور لدى الأئمة الإسماعيلية فيقول : « . . . وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة . . . وبلغ مراتب الأبواب الفائزين بعلو الدرجات . . . »[١] .

وقد ورد في سيرة الأستاذ جوذر ما نصه : « وكان محل جعفر بن المنصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب ، ومكانه من الأستاذ المكان الأدنى الوكيد في الدين » . ومن المؤكد أن جعفراً كان يتمتع بمركز رفيع في الدولة الفاطمية في المغرب ثم في مصر ، وكان موضع احترام وتقدير القائم والمنصور ، وبلغ الذروة في عهد الخليفة المعز لدين الله حتى اتخذه « باب أبوابه » وهي أعلى رتبة في الدعوة الإسماعيلية وصار أهم رجال الدعوة الذين يشار إليهم

---

(١) عيون الأخبار جـ ٥ صفحة ١٥٠ (٢) سيرة جوذر ص ١٢٦

بالبنان في الفضل والزهد ، حتى تفوق على القاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي نفسه ، الذي كان دعامة من أهم دعائم الفاطميين في القضاء والفقه الفاطمي .

وليس أدل على ما وصل إليه جعفر بن منصور من مكانة سامية عند الإمام المعز من قول الداعي المطلق ادريس عماد الدين : «. . . أن القاضي النعمان اعتل بعلة ، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علته أتى إلى الامام المعز فسأله عمن زاره ، فقال : كلهم زارني إلا جعفر بن منصور ، فأخذ أمير المؤمنين في حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت إليه . ففتح كتاباً منها ، وقال للنعمان : أنظر في هذا الكتاب فلما تصفحه قال الإمام : ما تقول في هذا ؟ قال : ما عسى أن أقول في قولكم ؟ فقال المعز : هذا تأليف مولاك جعفر ، أعلا ما بعالي فضله ، وبياناً لسامي محله . فلما خرج النعمان . . قصد دار جعفر . . . ولما رأى النعمان جعفر لم يتمالك أن وقع على رجليه يقبلهما اعترافاً له بالفضل »[1] .

ويؤسفنا أن نعلن بأننا لم نعثر على تاريخ ولادة هذا الداعي الكبير ولكننا عثرنا على تاريخ وفاته كما وردت في بعض الكتب الإسماعيلية المخطوطة وهي سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م .

ترك جعفر بن منصور الكثير من المصنفات التي لا تزال مخطوطة حتى الآن وسنحاول في المستقبل نشر ما لدينا منها وهي :

١ ـ كتاب الفرائض وحدود الدين . ٢ ـ كتاب الشواهد والبيان . ٣ ـ أسرار النطقاء . ٤ ـ تأويل الزكاة ٥ ـ كتاب الكشف . ٦ ـ الفترات والقرانات . ٧ ـ تأويل سورة النساء . ٨ ـ كتاب المراتب والمحيط . ٩ ـ رسالة في معنى الاسم الأعظم . ١٠ ـ الرضاع في الباطن . ١١ ـ العالم والفلاح . ١٢ ـ تأويل الحروف . ١٣ ـ سيرة ابن حوشب . ١٤ ـ خزائن الأدلة .

وقد يكون له عدة كتب ورسائل لا تزال تعيش في كهوف التقية .

---

(١) عيون الأخبار : جـ ٦/ ٣٩

تحقيق المخطوطة:

وجدنا نسختين من كتاب « أسرار النطقاء » في مكتبة أحد الأصدقاء في الهند شاء أن لا يذكر اسمه حرصاً على سلامته . النسخة الأولى التي رمزنا إليها بالحرف (ب) كتبت بخط جميل مقروء ، ولكنها كثيرة الأخطاء والتقديم والتأخير . تقع هذه النسخة في مجلد واحد في ٣٥٠ صفحة ، مقاس الصفحة ١٣ × ٢١ سم . وتشتمل كل صفحة على ١٥ سطراً ، وفي كل سطر ١٠ كلمات .

أما النسخة الثانية التي رمزنا إليها بالحرف (جـ) فقد كتبت بخط متوسط الجمال والعناوين بالحبر الأسود ولكنها صحيحة قليلة الأخطاء، لذلك اعتمدنا عليها أصلاً في التحقيق والمطابقة. تقع هذه النسخة في مجلد واحد القسم الأول منه بعنوان سرائر النطقاء والقسم الثاني بعنوان أسرار النطقاء في ٣٢٥ صفحة، مقاس الصفحة ١٣×٢٢ سم، وتحتوي كل صفحة على ١٦ سطراً، وفي كل سطر ١٣ كلمة. جاء في نهاية هذه النسخة ما يلي: قد وقع الفراغ من انتساخ هذا الكتاب المستطاب المسمى بأسرار النطقاء تأليف سيدنا الأجل جعفر بن منصور اليمن أعلى الله قدسه ورزقنا شفاعته نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر شوال من سنة ١٢٣٢ هجرية من خط الأقل الراجي رحمة ربه عبد الحسين بن علي محمد المندسوري ثبته على طاعته وطاعة الأئمة الطاهرين وأنبيائه الأكرمين إلى يوم الدين.

ولا يسعنا وأنا أقترب من النهاية إلاَّ أن أقدم الشكر والإمتنان لكل من شجعنا وآزرنا والله من وراء القصد .

مصطفى غالب

القسم الأول من كتاب

سرائر وأسرار النطقاء

الحمد لله مؤيد الحق ونصيره ومظهر الخلق بتدبيره ومقسم الارزاق
بتقديره ومدحض الباطل بتبييره ومجري الفلك بتسييره ومضيء
النهار بسنا نوره والدال على توحيده ببراهينه ومستعبد جميع عباده
بجوده وجعل بينه وبين خلقه سببا متصلا لا ينفصل واعجزهم عن
معرفته الا من سببه واحتجب بحجاب عظمته عن بريته ودل على نفسه
بنفسه وتقدس بعظيم ربوبيته عن ان يدركه بحس ولا يعلم بلمس
ولا يحيط بكنهه حس ولا انس ولا شريك في ملكه احد ابدع
قبل ان خلق تعالى عن التشبيه بما ابدعه بل افاض عظمته وجلاله و
سناء نوره وبهاء قدرته على ابداعه الذي نفى عن هو بتر الالهية
واقر لمبدعه بوحدانيته ولو لم يوقع النفي لقوله لا اله فدل ان
ثم آلهة مبدعا لمبدع فكان في نفي المبدع الالهية عن نفسه اثباتا
لمبدعه وكان في اثباته الالهية بعد النفي بسبب ظهور الخلقة فكان
المبدع خالق القائمين بها المبدع وتعظيما للقدرة وكان الابداع من
ليس والخلق من ايس تباركت قدرته وجلت عظمته فلا يعلم الا من
حجابه ولا يوتى الامر بابه ولا يطاع الامر باسبابه اختص لنفسه
دينا واقام فيه حدودا وارسل به رسولا وحيدا وانزل فيه قرانا مجيدا
صلى الله عليه تسقيوا سمه ويبعث رسمه عالم سر جاهره محمد النذير
بوعيده والمبشر بوعده والمبلغ رسالة ربه والموفي بعهده وعلى
زوج ابنته وينبوع حكمته وقاتل عداته ومردته وحامل

لواء حمده وآخر رسله به ونذر بنبوته الكبرى ومعجزته وصاحب
تأويله وعصمته وجمع شريعته وسنته الذي أكمل الله به دينه
وتمم به نعمته وعلى الأئمة الراشدين من عترته وصفوة خيرته
الشهداء على أمته أما بعد فإن الله وله الحمد والكبرياء والعظمة و
السناء جعل للخلق فاتحة ابتداء وانتهاء ليعلم قدمه من محدثات
صنعته وتدبير ملكه بملكوته فسبحان الله وتبارك اسمه ما أحسن
ما وضع وأتقن ما قدر وأبرم ما قضى وأحكم ما صنع ونحن له عابدون
فجعل الدنيا بداية لما قدر فيها وأحكم وقضى فيها وأبرم و
استعبد فيها واستخدم وشابها بالتناقض والاختلاف والتناقص
بعد التكاثر والافتراق بعد الاجتماع وجعل الآخرة هي الثابتة
إذ هي دار القرار ومعدن الأبرار ومقر المصطفين الأخيار كما
قال إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين
الأخيار فجعل الدنيا ضد الآخرة إذ شرك فيها المؤمن والكافر و
البر والفاجر فقال ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما
متاع الحيوة الدنيا وقال إنما الحيوة لعب ولهو الآية وقال وما الحيوة
الدنيا إلا متاع الغرور وقال زين للناس حب الشهوات الآية وقال
إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآية ومثل هذا كثير في
كتاب الله عز وجل من ذم الدنيا وذم من ركن إليها ووثق بها و

استعفر بغرورها كما قال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ومدح الآخرة واهلها اذ هي دار الخلصة
ومحل المصطفين ومسكن المتقين وجزاء المحسنين وراحة المومنين
كما قال سبحانه لنبيه محمد ص وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقال وللدار الآخرة خير عند ربك ثوابا وخير
املا فجعل الدنيا دار عمل وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء و
والمنكشف على الدنيا الجامع لاعراضها خالي عن حمل زاد الآخرة
التي هي علم محض من فعل النية والقلب المستخدم بالعمل الذي
هو من فعل الجسد وتكليفه كما لم يكن بين ابداع العقل وبين انبعاث
النفس منه واسطة ولا بين تكثر النفس ووقوفها على عجزها من تركيب
العالم بازمان ولا وقت وانما يقال ذلك على الرتبة والشرف و
الفضيلة الاولية لا بالازلية ولا رتبة الزمان ولا كونها منه
بازمنة مختلفة كما ان العالم لتركيبه مجبول بالحركة والسكون
والعالم الاعلى هو العالم المختار فلا يجوز للمجبول ان يحيط بالمختار ولا
يشهد عليه بايقاع نعت ولا صفة وكيف يمكن احاطة هذا
العالم المجبول بالعالم الروحاني الاختياري لكننا انما يستدل على
العالم الروحاني المختار بوجوه منها انا نرى انسانا لو قام في الشمس
باختياره وقع بازائه منه ظل لا تزيد صورته على ذلك الظل ولا
تنقص منه والظل انما هو خالي من النور وهو واقع لاجل الواسطة

قد وقع الفراغ من استنساخ هذا الكتاب المستطاب المسمى باسرار الصفا

تأليف سيدنا الأجل جعفر ابن المرحوم الميرزا علي قدس سره ورزقنا شفاعته

نهار الثلثاء الثامن والعشرين من شهر شوال من سنة ١٣٣٦ هـ

من خط الأقل الراجي رحمة ربه عبد الحسين ابن

علي محمد المدرسي تستري

على طاعته وطاعة

وليه

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وأبنائه الأكرمين المنتظرين الى يوم الدين

/١ / بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مؤيد الحق ونصيره ، ومظاهر الخلق تدبيره ، ومقسم الأرزاق بتقديره ، ومدحض الباطل ومبيده ، ومجري الفلك بتسييره ، ومضيء النهار بسناء نوره ، والدال على توحيده ببراهينه ، ومستعبد جميع عباده بحدوده[١] .

وجعل بينه وبين خلقه سبباً متصلاً لا ينفصل ، وأعجزهم عن معرفته إلا من سببه ، واحتجب بحجاب عظمته عن بريته ، ودل على نفسه بنفسه ، وتصمد بعظيم ربوبيته عن أن يدرك بحس ، ولا يعلم بلمس ، ولا يحيط بكنهه جزء ولا أنس ، ولا يشرك في ملكه أحداً ، أبدع قبل أن خلق ، فتعالى عن التشبيه بما أبدعه ، بل أفاض عظمته وجلاله ، وسناء نوره ، وبهاء قدرته ، على إبداعه الذي نفى عن هويته الإلهية وأقر لمبدعه بوحدانيته ولو لم يوقع النفي بقوله (إلا الله)
/٢ فدل[٢] أن ثمة/ أن إلهاً مبدعاً للمبدع فكان في نفي المبدع الإلهية عن نفسه إثباتاً لمبدعه ، وكان في إثباته الإلهية بعد النفي سبب ظهور الخلقة فكان خالقاً تنزيهاً للمبدع وتعظيماً للقدرة ، وكان الإبداع من ليس والخلق من أيس ، تباركت قدرته وجلت عظمته[٣] .

فلا يعلم إلاَّ من حجابه ، ولا يؤتى إلاَّ من بابه ، ولا يطاع إلاَّ من أسبابه ، اختص لنفسه ديناً ، وأقام فيه حدوداً ، وأرسل به رسولاً حميداً ، وأنزل فيه قرآناً مجيداً، صلى الله عليه شقيق اسمه وبعيث رسمه ، عالم سر جهده ، محمد النذير

---

(١) المقصود بحدوده : الحدود الروحانية والجسمانية المعروفة في الدعوة الإسماعيلية .
(٢) فدل : سقطت في ب (٣) عظته : عظمته في جـ

بوعيده، والمبشر بوعده، والمبلغ رسالة ربه، والموفي بعهده، وعلي زوج ابنته وينبوع حكمته، وقاتل أعدائه ومردته، وحامل لواء حمده، وأبي ولديه وذريته وآيته الكبرى، ومعجزته وصاحب تأويله وعصمته، ومجمع شريعته وسنته، الذي أكمل الله به دينه، وتمم به نعمته، وعلى الأئمة الراشدين من عترته وصفوته وخيرته الشهداء على أمته.

ـ أما بعد: فإن الله وله الحمد والكبرياء والعظمة والسناء، جعل لمخلوقاته ابتداء وانتهاء ليعلم قدمه من محدثات صنعته وتدبير ملكه بمملكته، فسبحان الله وتبارك اسمه ما أحسن ما وضع، واتقن ما قدر، وأبرم ما قضى، وأحكم ما
/٣ صنع، ونحن له عابدون. / فجعل الدنيا بداية لما قدر فيها وأحكم، وقضى فيها وأبرم، استعبد فيها واستخدم، وشابها بالتناقض والإختلاف والتناقص بعد التكاثر، والإفتراق بعد الإجتماع، وجعل الآخرة هي النهاية إذ هي دار القرار ومعدن الأبرار ومقر المصطفين الأخيار، كما قال: ﴿ إِنَّا أَخلَصنَاهُم بِخالِصَةٍ ذكرَى الدارِ. وإِنَّهُم عِندَنَا لَمِنَ المُصطَفَينَ الأَخيَارِ ﴾[1].

فجعل الدنيا ضد الآخرة، إذ أشرك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فقال: ﴿ وَلولا أنَ يكونَ النَّاسُ أمةً واحِدةً لجعلنا لمن يكفرُ بالرحمٰنِ لبيُوتِهم سُقُفاً من فِضةٍ ومَعارِجَ عَليها يَظهرُونَ ولبيوتِهم أبواباً وسُرُراً عليها يتَّكِؤُنَ. وَزُخرُفاً وَان كُلُّ ذلكَ لَمَا مَتاعُ الحياةِ الدُّنيا... ﴾[2] وقال: ﴿ إنَّما الحياةُ الدنيا لِعبٌ وَلَهوٌ... ﴾[3] الآية. وقال: ﴿ ... وَمَا الحياةُ الدُّنيا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾[4] وقال: ﴿ زُيِنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ... ﴾[5] الآية. وقال. ﴿ إنما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنيا كَماَءٍ أَنزَلنَاهُ مِنَ السَّماءِ... ﴾[6] الآية.

---

(١) سورة ٣٨/ ٤٥، ٤٦
(٢) سورة ٤٣ من الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٤
(٣) سورة ٤٧ من الآية ٣٦ و ٥٧ من الآية ٢٠.
(٤) سورة ٣ من الآية ١٨٥.
(٥) سورة ٣ من الآية ١٤
(٦) سورة ١٠ من الآية ٢٤.

ومثل هذا كثير في كتاب الله عز وجل من ذم الدنيا ، وذم من ركن إليها ووثق بها ، واستغرته بغرورها ، كما قال تعالى : ﴿ ... قُلْ مَتَاعُ الدُّنيا قليلٌ والآخرةُ خَيْرٌ لمن اتقى ولاَ تُظلمونَ فَتِيلا ﴾[١] ومدح الآخرة وأهلها إذ هي الدار
/٤ المخلصة ومحل المصطفين ، ومسكن المتقين ، وجزاء المحسنين ، وراحة المؤمنين/ كما قال سبحانه لنبيه محمد (ﷺ) : ﴿ وَللأَخِرةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الأُولى . وَلَسوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَترضى ﴾[٢] وقال : ﴿ ولدار الآخرة خَيرٌ عندَ رَبكَ ثواباً وخيرٌ أملا ﴾[٣] . فجعل الدنيا دار عمل وفناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء ، والمعتكف على الدنيا الجامع لأعراضها خالٍ[٤] عن حمل زاد الآخرة التي هي علم محض من فعل النية والقلب ، المستخدم بالعمل الذي هو من فعل الجسد وتكليفه ، كما لم يكن بين إبداع العقل وانبعاث النفس منه واسطة ، ولا بين تكثر النفس ووقوفها على عجزها وتركيب العالم بلا زمان ولا وقت ، وإنما يقال ذلك على الرتبة والشرف والفضيلة الأولية لا بالأزلية ولا برتبة الزمان ولا كونها منه بأزمنة مختلفة ، كما أن العالم التركيبي مجبول بالحركة والسكون ، والعالم الأعلى هو العالم المختار فلا يجوز للمجبور أن يحيط بالمختار ولا يشهد عليه بإيقاع نعت ولا صفة .

وكيف يمكن إحاطة هذا العالم المجبور بالعالم الروحاني الإختياري ، لكنه إنما يستدل[٥] على العالم الروحاني المختار بوجوه منها . إنّا نرى إنساناً لو قام في الشمس باختياره وقع بإزائه منه ظل لا تزيد صورته على ذلك الظل ولا تنقص
/٥ منه ، والظل إنما هو خالٍ[٦] من النور وهو واقع لأجل ، الواسطة بين/ النور وبينه ، فكذلك العقل والنفس واسطة بين هذا العالم الجبري وبين نور الإبداع .

والظل في حالته[٧] لا يزيد على ذلك ولا ينقص منه ، ولمثل هذا أكثر والشرح

---

(١) سورة ٤ من الآية ٧٦

(٢) سورة ٩٣/ ٤ ـ ٥

(٣) سورة ١٨/ ٤٥ .

(٤) خال : سقطت في جـ

(٥) يستدل : يستبدل في ب

(٦) خال : سقطت في جـ

(٧) حالته : حبالته في ب

والبيان في التراكيب وقالوا : إن كل ما كان أبعد من الوجود فالحاجة فيه إلى كثرة القول والشرح فأكثر ما كان أقرب ما كان إلى الوجود وجميع ما يقال في العالم الروحاني فعلى مجاز الكلام لعدم وجود العالم الروحاني بحقيقته لأنه أشرف وألطف من أن يمكن شرحه لا بالكلام ولا بكتاب اذ هو ما لا يشاهد ولا يرى بهالته التركيبية ولا يوصف بالكلام المؤلف إلاّ بالرموز والإشارات وضرب الأمثال والإعتقادات ، أن ثمة[1] عالماً علوياً غير محاط بعلمه .

وقد ذكر المتقدمون أن ابتداء الزمان كان من حركة الأفلاك والتراكيب ، وأن الزمان ليس له ذات ، ولا هو جوهر ، بل هو بتقدير حركة الأفلاك فقط ، وذلك أن سبب تركيب هذا العالم بأسره والمواليد المتولدة منه كان لأجل بدء ظهور الإنسان المهيء لقبول آثار العالم العلوي بالمعرفة والعلم ، فقالوا : إن طبائع مواليد العالم
٦/ من العقلية والنامية والحسية مختلفة/ كاختلاف الأزمنة والأمكنة واختلاف الآثار الهابطة .

ولما تولد الإنسان آخر المواليد حمل طبائع ما قبله بالإختلاف في القلة والكثرة ، ولهذا ضرب الله عز وجل أمثال الناس بأمثال المواليد في الخير والشر ، والنفع والضر ، فقال جل اسمه ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبنا للنَّاسِ في هذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ . . . ﴾[2] فضرب أمثال بعض الناس بالجبال ، والياقوت واللؤلؤ ، والمرجان والخيل ، والإبل والغنم ، وبالهدهد والنمل ، وما شاكلها في حسن الطباع ، وضرب أمثال آخرين بالقردة والخنازير ، والحديد والحجارة ، والأسود والعنكبوت ، وبالمعز والذباب ، والبعوضة والفيل ، والشجرة الخبيثة والملعونة ، والخشب اليابس وبالصم والبكم والأعمى ، وبالأنعام وبالأموات ، وغير مما يشاكلها في سوء الطبع والشهية[3] .

وفضل بعضهم على بعض في المواليد ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وأمثالها من الآيات كثيرة في ضرب الأمثال ، وإنما خلق

(١) ثمة: ثم في جـ

(٢) سورة ٣٠ من الآية ٥٨ و ٣٩ من الآية ٢٧ .

(٣) الشهية: الشرية في جـ

الله الإنسان لأجل تمامية هذا العالم الكثيف لوقوفهم على شرف العالم الأعلى اللطيف بآثاره المتحدة بهم من العقل والنفس ، لتكون تمامية النفس ، وبلوغها
/٧ مرتبة العقل بالوسائط الذين هم النطقاء/ وحدودهم القائمة في أدوارهم، وبالقائم سابع النطقاء وليلته .

وإن آدم كان رأس هذا الكور وأول المطبوعات ، وإنه كان قبله أكوار لا يمكن لأمثالنا الوقوف عليها ، إذ هي روحانية غير معلومة بمشاهدة ولا نظر ، كما أنه بعد تمامية هذا الكور المتعارف الذي قد الفناه وعرفناه بالعيان والمشاهدة لكثافته ، لا نعلم ما يكون بعده عند نهايته ، وأن آدم ع م عند نهاية الكور الروحاني ظاهر بالكور الجسداني ذي الأقطار الستة والطول والعرض والعمق .

وإنه اتصل به حرف من الحروف السبعة العلوية التي هي حظوظ النطقاء ، فظهر(١) بالخلق الجسداني واتصل به الحد الروحاني ، وهو ما حكاه الله ع . ج من قوله للحارث بن مرة وهو حينئذ مرابط للحدود الروحانية ، عندما أمره بالسجود لآدم فاستصغر أمره ، وأبى أن يسجد له ، ورأى أنه خير منه إذ هو روحاني وآدم جسماني ، فقال الله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين ، يعني تكبرت عليه لموضع حدك في الروحانية ، أم توهمت نفسك أنك من الحدود العلوية التي فوق آدم في الرتبة المنزلة .

وقد روى أهل السير والتواريخ ، أن الله ع . ج لما أراد أن يخلق آدم أمر
/٨ جبرائيل أن يهبط إلى الأرض/ فيزجرها بصوت حتى يمتزج خبيثها بطيبها، ويقبض من صعيدها قبضة فيعرج بها إلى السماء فيلقيها بين يدي الله فيحياها طيناً لازباً فيخلق منه جسد آدم على هيئته ، ثم ينفخ فيه من روحه فيكون خلقاً سوياً ، ناطقاً حساساً ، مدركاً معلوماً ، محسوساً مشاهداً .

وكانت الروح التي هي نفس النطق المتصلة به من النفخة(٢) غير مدركة ، ولا محدودة ولا معلومة ، ولا مشاهدة ، إذ هي حال روحاني غير مجانسة لخلقه ،

---

(١) فظهر : فظاهر في ب

(٢) النفخة : النصحة في جـ

ولا ملائمة لجسده ، فكان الأمر من الله جل وعز للملائكة بالسجود لآدم لا بجسده الكثيف، بل للروح المنفوخة فيه ، إذ الروح من أمر الله حال عليه[1] من الملائكة ، فكانت الروح سبب استفتاحه وتعليمه بما أفاده الله إياه ، وما علمه من أسماء الأشياء كلها ، التي شرف بتعليمها ، وفضل برتبتها على جميع ملائكته المقربين والروحانيين المأمورين له بالسجود ، وأحوجهم إليه ليعلموا أنها من قبله ، وبتعليمه إياهم ، فكان مستفيداً من العالين ، مفيداً للروحانيين ، نهاية ما كان قبله مما خفي واستتر بداية لتكوين الستر .

وإن آدم في نفس الحقيقة بشرح التأويل إنما كان أحد مستجيبي امام الزمان ، متحمل الذكر ، وكان مجتهداً شديد الإجتهاد ، وكان أبواه يهربان به من
/٩ مكان إلى مكان مخافة عليه من/ ملك ذلك الزمان، وفرعونه، ومن الأضداد ، فالله تعالى خالق آدم بيده من الطين اللازب ، وهو واقع على إمام الزمان إذ هو منصوب من قبل الله ، وعامل بأمر الله ، وقع عليه اسم الله ، والأرض هي دعوة الإمام ، والصعيد فهو المؤمنون أولاد الدعوة ، والقبضة التي قبض الملك من الصعيد ، والصعيد هو آدم استخرجه من بينهم ، واصطفاه دونهم ، واختصه لنفسه .

ويداه اللتان خلقه بهما مادته له وتأييده إياه بحرف الكلمة ، بتوسط الجاري فنسب إلى الخلق ، ونفى عنه الولادة ، إذ لم يكن ظهوره من حجة ، ولا لاحق في الولادة الروحانية ، وإن الخلق متولدون منه ولادة جسدانية طبيعية ، وإن إبليس الذي امتنع من السجود له خلق من نار السموم[2] .

وأما الحكماء فقولهم يخالف ما جاء في ظاهر الشرائع ، إذ كان ظاهر الشرائع محمولاً على الإختلاف والتنازع ، وأسباب وجوده وحقيقته مخفية عن غير أهله ، والشواهد تصدق قول الحكماء وتثبته ، إذ كان قولهم علماً محضاً لوقوفهم على الحقائق ، فأوجب أنه لا يمكن أن يكون خلق حيواني أو بشري ناطق بآلة النطق ،
/١٠ حساس ذو أقطار وحدود ، يظهر من لا شيء ، وأيضاً فما رأينا شيئاً من سائر/ الحيوان

(١) عليه : على في جـ
(٢) السموم : سقطت في ب

البهيمي والبشري وغير ذلك ظهر إلاً من مناكحة ، وسفاد[1] بنطفة جارية من صلب ذكر إلى رحم أنثى ، زوج مزدوج من جنس واحد حسب المشاهدة المعلومة في وقتنا هذا .

ومما يدل على صحة قولنا ووضوحه أنا ما رأينا ظهر من جنس من سائر أجناس الحيوان إلا جنسه ونوعه ، وكيف يمكن أن يجوز أن يكون حساس دراك بهيمي أو بشري ناطق من صلصال ، وهو الطين ، وما رأيناه إلا متولداً من أب وأم الولادة الجسدانية البشرية ؟

إذ الصلصال من التراب ، فإذا عجنته بالماء صار طيناً ، فهو ما أشار به المسيح ع . م عيسى بن مريم بقوله في ظاهر لفظه : ﴿ إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ﴾ .

وهذا حال ممتنع جداً ، أن يكون يوجد في نفس الخليقة ، إن لم يكن له تأويل يعضده ، وهذا من أبين دليل ، وأصح حجة ، لما تقدم قولنا بأن اسم الله واقع على ناطق الدور ، وأمام العصر ، كقوله في آدم : ﴿ فَإِذا سَوَّيتُهُ ونَفَختُ فِيهِ مِن رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ ﴾[2] وما حكاه عن قول المسيح : ﴿ فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ﴾ والمسيح لم يكن له دار هجرة ، ولا إقامة دعوة ، فكان
١١/ المسيح ع . م مثل آدم وهو ما قاله الله تعالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيسى/ عندَ الله كمثلِ آدَمَ خلَقَهُ مِنْ تُرابٍ . . . ﴾[3] وكان قول المسيح : ﴿ أخلق من الطين ﴾ أي أقيم من المستجيبين رجلاً فأودعه بما أمدني أبي به من روحه ، فيخلفني في الدعوة ، فيكون داعياً مطلقاً ، إذ الطير من أمثال الدعاة ، والطين من أمثال المؤمنين ، البالغين ، لأنه تراب مازجه ماء فعجنه به ، فالماء مثل على علم التأويل ، والتراب على المؤمنين .

---

(١) سفاد : سقطت في جـ

(٢) سورة ١٥/ ٢٩ و ٣٨/ ٧٢

(٣) سورة ٣ من الآية ٥٩ .

فإذا نال المؤمن أسنى درجات العلم ، وعلم التأويل من أعلى حدوده ، صار طيناً ، فيكون منه طير يتحد به الروح بمواد الإمام ، فيطير . أي يصير داعياً[1] بعد أن كان مستجيباً ، فكان نفخة الله في آدم ما اتصل به من وقوفه على معرفة أسماء الأشياء كلها بمواد الإمام له وتأييده ، وأحوج جميع الحدود الجسمانية والروحانية إليه ، وافترض طاعته عليهم ، وجعله بابه وحجابه ، لا يؤتى إلاّ منه ، ولا يطاع إلا بطاعته ، إذ السجود هو الطاعة ، وذلك مثل ودليل على ما رمزنا به وأوردناه في باطن الخلقة الروحانية .

وإن جميع النطقاء (ﷺ) لم يأخذوا التأييد من صورة بشرية ، ولا اتصلت بهم المواد من الخلقة الجسدانية ، ولا كان لهم أب ولا أم في الحد الروحاني ، وإنما سبب اتصال التأييد بهم من العقل والنفس بالوسائط الثلاثة المذكورة في الكتاب ، وهم الحدود الثلاثة المذكورة في الكتاب ، وهم الحدود الروحانية الغير متجسمة[2]
/١٢ ولا متشخصة/من وجه الإمتناع إلاّ بمن كشف عن بصره وزال الرين عن قلبه ، وهم : الجد ، والفتح ، والخيال . المسمون ، باسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل . وهم في حد التشخيص ، معلومون عند أولي الأبصار .

فأما القول الذي يجري به الصوت والكلام يسمى وحياً وتنزيلاً ، وأن ملكاً ينزل به من عند الله بحروف مؤلفة منظومة مضمومة إلى كلام البشر على قدر ما نجده في أنفسنا ، فإن ذلك من قوة الكلمة باتصال الجاري ، ونقوش العوالم البسيطة في العقول الصحيحة[3] ، والأذهان الفصيحة ، بالتخيلات اللائحة في الأفكار السليمة ، والعقول الصافية .

وذلك أن العالم البسيط ليس له صوت ، ولا كلام بحروف مؤلفة تبين بها الألفاظ والإنتظام ، وأن القول المفهوم ، والكلام المطبوع ، إنما هو العالم

---

(١) داعياً : سقطت في جـ
(٢) متجسمة : سقطت في ب
(٣) الصحيحة : الصميمة في ب

الجسداني المطبوع بالطبائع فهو ينطق بقوة ، وما اتصل به من التأييد فيجري على لسانه بلغته الجسدانية فتسمى تلك القوة والتخيلات التي هي ناظرة إلى فكرة المتفكر ملائكة ، وإنما قالت ذلك وذهبت إليه لقلة معرفتها بالحدود ، ونقص علمها عن أوضاع النطقاء ، ومنازلهم .

والعقول إذا صفت ، والنفوس إذا تهذبت ، خلصت الأرواح من كدورات
/١٣ العالم المطبوع ،واتصلت بالعالم/ البسيط ، فعادت إلى بيتها الذي هو الجسم ، فصفته من أوساخ الطبائع وكدوراتها[١] ، ونقت الدماغ من البخارات الرديئة ، والأخلاط الوسخة ، فصفى العقل ، وأنار ، فقويت به مادة الروح ، فعندها تؤثر[٢] في العقل نقوش العالم البسيط ، كما يؤثر نقش الخاتم فيما ختم به .

فعند ذلك يخبر بجميع ما يحدث في العالم البسيط وغيرها علواً وسفلاً ، باللغة الجسدانية المؤلفة من الألفاظ النطقية ، فالعامة تسميه وحياً وتنزيلاً ، وتسمي الوسائط الثلاثة المتصلة من العقل الكلي بالعقل الجزئي ملائكة ، لموضع تمليكهم . فأما أهل الشرائع فإنهم يسمونهم جبرائيل ، وميكائيل ، واسرافيل . وأرباب الحكمة وملاكها يسمونهم جداً وفتحاً وخيالاً . فالخيال ، واقع على اسرافيل لأنه أول عارض يتخيل في الفكر فيكون صورة في حد القوة ، إذ هو صاحب الصور والنافخ فيها النفختين المتقدم ذكرهما ، نفخة الصعقة ، ونفخة البعث والنشور ، فالبعث هو إطلاق الدعاة في الجزائر بإقامة دعوة الحق ، والنشور هو ما ينشرونه من العلوم والحكمة[٣] ، والحكم التأويلية لأولاد دعوتهم ، والنفخة هو اتصال المواد
/١٤ العالية بالمبعوث المطلق ، فاسرافيل هو واقع على إمام الزمان ، والصور/ هو ما يتصور في نفوس أهل البصائر ، فهو في حال القوة ما دامت نفخة الصعقة مقيمة التي تميت كل الخلائق .

والموت هو إمساك عن الدعوة وعن المفاتحة بشيء من التأويل ، وكانوا في

---

(١) كدوراتها : اكدارها في جـ
(٢) تؤثر : يتأثر في جـ
(٣) الحكمة : المحاكة في ب

حال إمساكهم وسكوتهم كالأموات التي لا أرواح فيها ، وهي ظاهر الشريعة التي لا باطن لها ، فكان لأهل الظاهر صعقتين إذ لم يكونوا للباطن معتقدين . والحد الثاني الذي سماه الحكماء ميكائيل ، وهو الفتح لأنه فتح بالذكر ما صح في الفكر مما انغلق عن غيره ، وإنما سمي ميكائيل لأنه إليه كيل البحار ، ونزول الأمطار من السحب بمقدار ، وهو واقع على حجة الإمام الذي إليه إقامة الواحق والأجنحة ، وإطلاقهم في الدعوة بما يمدهم به ، فالأمطار هي ما بسطوه[1] من علوم الدعوة ، والسحب التي تحمل الأمطار ، هي الأجنحة والمأذون ، لأن السحب ، منها ما يمطر ومنها ما لا يمطر ، والذي يمطر فيها مثل الجناح يفاتح بالعلم ، والذي لا يمطر مثل المأذون الذي يكاسر ولا يفاتح بعلم .

والحد الثالث جبرائيل ، لأنه يجبر[2] من يرفعه في المراتب على غيره بإلهام القلب مما يتصوره ، كما قال رب العالمين : ﴿ نَزلَ بِه الرُّوحُ الأَمينُ . على قلبكَ
/١٥ لتكُونَ منَ المُنذِرِينَ . بِلسانٍ عَرَبي مُبينٍ ﴾[3] إعلاماً بأن اللسان/ يترجم عن القلب بما تصور فيه ، فيصير صورة بالفعل ، كما كانت في حال استتارها صورة بالقوة ، ويسمى بالجد لأنه علوي إلَهي قدسي جد لا هزل فيه ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَهُ تعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتخذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلداً ﴾[4] لأنه كان أمره جداً لا هزل فيه ، كما قال : ﴿ أَفَحَسِبتُم أَنما خَلَقناكُم عَبَثاً وَأَنكُم إِلينا لاَ تُرجَعُونَ ﴾[5] .

فلذلك صارت النواميس الشرعية بالجبر ، والقهر ، والقوة ، والغلبة ، وإقامة العلوم الحكمية ، والتأويلات الدينية ، بالإختيار عند إقامة الحجة إلى سبيل المحجة ، بإيضاح الدلائل والبراهين ، وقد تقدم القول في باب الكلام والنطق مما يجري من العالم العلوي إلى العالم السفلي ، يكتفي به أولو الألباب ، والله يهدي إلى الصواب .

---

(١) ما بسطوه : سطبوه في جـ
(٢) يجبر : يجبر في جـ
(٣) سورة ٢٦/ ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥
(٤) سورة ٧٢/ ٣
(٥) سورة ٢٣/ ١١٥

«قصة آدم»

نعود إلى ما بدأنا به من قصة آدم ع . م فنقول : إن ادم لم يتصل به التأييد بواسطة[1] أحد من البشر ، ولا ممن صفى عن الطبائع ، ولا من ولادة أم ولا أب ، بل كان اتصال التأييد به بما جرى من العقل الذي هو إمام الزمان والنفس التي هي حجته ، بالوسائط الثلاثة المذكورة وهم المشار إليهم : بالجد ، والفتح ، والخيال . فمثولهم الفكر ، والذكر ، والحفظ في الأمور الممتنعة عن حد البشرية ،
١٦/ وإنما كان أخذه/ من الأدباء الروحانيين المتصلين بالنشأة الجسدانية ووراثة المنزلة .

وقد تقدم من ذكر الحكماء أرباب العلم وأصحاب التأييد خلاف ما ذكره أهل الظاهر وأهل التواريخ والسير ، أن ولادة آدم الجسدانية كانت في دار ضده وتحت جناحه ، في أعمال سرنديب في جزيرة يقال لها بوران بمدينة تعرف بسوباط .

وكان أهل ذلك العصر أهل البصائر بعلم الفلسفة والتنجيم ، وأن آدم ولد في أيام ذلك الملك ، وكان أبوه بالولادة الجسمانية في أهل مملكته[2] ، فأخذ له أبوه طالعاً في مولده فوجد جميع السعادات كلها قد اجتمعت في مولده ، حتى أن الأفلاك لو كانت خادمة له ، لم يمكن أن يظهر من قوة أفعالها بمجهود استطاعتها أن تجمع له تلك[3] السعادة .

وتظهر من قوتها ما لا يمكن إظهاره ، فاجتمع كل ذلك في طالعه ، وأجمع[4]

---

(١) بواسطة : بوساطة في ب

(٢) مملكته : مملكة ذلك في جـ

(٣) تجمع له تلك : يجمع له ذلك في جـ

(٤) وأجمع : واجتمع في ب

المنجمون بأنه سيملك الدنيا كلها ، بالنواميس الإلهية ، والتدبيرات العقلية ، والنواميس الأرضية الشرعية ، وأن ذكره سيمتد في الأدوار والأعصار على ممر الدهور والأزمان ، وأن الأمة تدعى باسمه ، وتملك دعوته جميع الملوك ، وتبقى في الأعقاب والأجيال ، وأنهم لم يزالوا يتنافسون حتى اتصل ذلك بالملك صاحب
/١٧ الجزيرة فوقع في قلبه أمر عظيم ،/ وحسده إلى ما رأى من عظيم شأنه وبلوغه منازل الفضل ، واستهال أمره عندما علم من اختصاص أمام عصره له ، واصطفائه إياه ، وتسليمه غوامض العلوم إليه ، علوم التأويل المحض المجرد ، ونفى عنه العمل والتعب ، وعلمه الأسماء كلها وأوقفه من الغيوب على ما كان مكتوماً على جميع الخلائق محجوباً ، ليتبين فضله وشرفه ، وعلو قدره .

وأفقرهم إليه ، ورد أمورهم له ، وجعله بابا وستراً وحجاباً ، وأوجب على نفسه في موجب حكمته أن لا يقبل أحداً إلاً من جهته ، وأن لا يثيب ولا يعاقب إلاً به ، ولا يرحم أحداً ولا يتوب عليه إلاً من قبله ، فقوي حسد الملك له ، وهم به ليقتله ، يريد بذلك أن يطفىء نور الله ، ويخمد كلمته ، والله يأبى إلاً أن يتم نوره . فلما علم الإمام موضع حسد الملك لآدم أمر والديه الذين هم حجة الإمام ولاحقه ، أن يهربا به إلى حيث يكون له مستقر ودار هجرة يأوي إليها ، ويعتصم بها من عدوه ، فساروا إلى أن وصلوا به إلى جزيرة تعرف ببوران ، وهي جزيرة من أعمال ملك غير ذلك الملك ، فوقع به في خليج قد نضب ماءه ، وتصلصل طينه ، وكان الوحش يأوي إلى بطن ذلك الخليج لبعده من الناس ، وأنه موضع لا يطأه
/١٨ أحد ، وكان فيه / شجر كثير مثمر فاستتر أبو آدم في ذلك الخليج ، وستر أمره وكتمه[١] ، كل ذلك خوفاً عليه ، وكانا يرفقان بذلك الثمر والماء .

وأراد الملك حرصاً في طلب آدم فأقام بذلك باجتهاده طمعاً أن يظفر به ، وخاف أبواه على أنفسهما فأسلما ولدهما ، في ذلك الخليج ومضيا عنه هاربين من

---

(١) كتمه : كتماه في ب

الملك ثقة منها بأنه لا يصل إليه لما علموا من اصطفائه ، وما اتصل به من التأييد ، فلما غاب أبواه عنه كانت الوحوش تأوي إليه وتأنس به ، وتدور حواليه ، وتكنفه ، وأن لبوة من لبوات تلك البرية حنت عليه وتولت تربيته والفته ، فكانت ترضعه[1] إلى أن كبر واشتد وراهق .

ولم يزل آدم ينتقل من درجة إلى درجة ، ومن حد إلى حد ، حتى كمل خلقه وتم أمره ، وبلغ أشده ، واستحق الخلافة الروحانية ، أوقع الله به المحنة وبملائكته ، لما سبق من علمه بما يريد أن يكون منهم ليبلو صبرهم وطاعتهم ، فقال : ﴿ . . . إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً . . . ﴾[2] .

وهذا الخطاب من امام الزمان الذي هو القائم لأهل زمانه مقام الله ، إذ كان الله نصبه وأقامه ، فسمى بالله إذ هو من فعل الله ، لأن الله جل ثناءه منزه عن الخطاب والكلام ، لا يمكن أن يكون إلاّ من آلة مركبة مطبقة ، ويرد في كل طبقة
/١٩ إلى صاحبها/حتى النطق إلى حد المتكلم به بالآلة ، فيبين حينئذٍ الكلام بما بدأ . وكذلك مستمع النطق والكلام لا بد له من آلة منطبقة يؤدي بعضها إلى بعض حتى ينتهي ذلك النطق بتلك الآلة ، إلى حد الإستماع فتعيه وتفهمه ، وتتدبره وتعلمه .

وكان الناطق امام الزمان ، وكان المخاطبون المستمعون الواقع بهم اسم الملائكة لتمليكهم ما أودعهم الإمام من العلوم الحكمية حدوده القائمين في دعوته ، وكانت الأرض التي عني بقوله ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ حجة إمام الزمان العظمى صاحب المرتبة والمقام ، وقوله : خليفة . أي اصطفى واختار من أخلصه خلقاً من الحجة العظمى يقوم بما قام به ويخلفه في منزلته ، فاعترضوا عليه ولم يسلموا له ، ولا رضوا قوله إعجاباً بأنفسهم وإنهم صفوته والمقربون عنده ، ولم يكن اعتراضهم إنكاراً لفعلة ، ولا خلافاً عليه في أمره ، لكنهم أعجبوا بطاعتهم وعبادتهم وقرب منزلتهم ، ولعلمهم بفساد من أفسد في الدعوة وسفك الدماء ،

---

(١) ترضعه : سقطت في جـ

(٢) سورة ٢ من الآية ٣٠ .

أي أظهروا الشك والشبهة ، فقالوا : أتجعل في الدعوة التي قام بها الحجة من يفسدها بالتغيير لها والتبديل ، كما فعل ذلك من تقدم بخروجهم عن الدعوة
/٢٠ وإفسادهم مرتبة الحجة ، ونحن نسبح بحمدك/ ونقدس لك ، افتخاراً بعلمهم وإعجاباً بطاعتهم ، فقال لهم : ﴿ ... إنّي أعلَمُ ما لا تَعلَمونَ ﴾[1] . فعندها نفخ في آدم من روحه ، أي أودعه العلوم[2] ، وكشف له المستور ، وأطلعه على معرفة الحدود العلوية التي هي بينه وبين الله ، الأنوار الخمسة ، والمراتب السبعة ، ومقامات الإثني عشر ، والحدود السبعة عشر ، والمنازل الثمانية والعشرين .

وحجب علم ذلك كله عن ملائكته ليريهم عجزهم ، ويعرفهم موقع[3] اعتراضهم ، وعرفه الحدود السفلية ، وأفقرهم إليه في جميع ذلك ليعرفوا فضله عليهم ، وعظيم منزلته لديهم ، فيذعنوا له بالخضوع ، ويقروا له بالطاعة ، وأمرهم بالسجود له ، احتياجاً أحوجهم إليه ، ولم يقبل لهم توبة ، ولا رضي لهم عملاً ، إلاّ من جهته ، إذ هو باب السلام ، والبيت الحرام ، والحجر ، والمقام .

وذلك ما ساقه أهل السير في تواريخهم ، أن الملائكة لما اعترضوا على ربهم ، واعترفوا بذنبهم ، ولاذوا بالعرش يطوفون حوله ويستغفرون من ذنوبهم ، ويسألون الإقالة[4] ، فلما طافوا بالعرش أسبوعاً غفر لهم ، وتاب عليهم ، وأمرهم أن يهبطوا إلى الأرض فيبنوا بها بيتاً نظير عرشه بحياله ، ليطوف به المذنبون فيغفر
/٢١ لهم كما غفر للطائفين حول عرشه ، فكان عرشه علمه الذي/ أودعه لآدم وأطلعه عليه ، وحجبه عنهم ، ومنعه منهم ، فكان طوافهم بالعرش سبع طوفات[5] ، هو ما استفادوه من آدم من معرفته للمراتب السبعة ،فقبل منهم معرفتهم إذ جاءوه من بابه الذي حتم على نفسه أنه لا يقبل عمل عامل إلاّ من جهته .

وقد جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : لما خلق الله العقل قال له : أقبل ،

---

(١) سورة ٢ من الآية ٣٠
(٢) العلوم : المعلوم في ب
(٣) موقع : سقطت في جـ
(٤) الإقالة : الإقامة في جـ
(٥) طوفات : طوافات في ب

فاقبل . ثم قال له : أدبر ، فأدبر . فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ، بك آخذ ، وبك أعطي ، وبك أثيب ، وبك أعاقب . وإن العقل مثل على آدم فكان ذلك إعلاماً من الله مؤكداً ، وأمراً منه مبرماً[١] ، انه لا يقبل عملاً إلا من جهة آدم ، لا يثيب ولا يعاقب إلاّ به . وآدم فهو لقب واقع على كل ناطق في زمانه ، وكل أمام في عصره ، إذ هم أبواب الله وحججه المنصوبون لهداية خلقه ، ولا يقبل عملاً إلاّ من جهتهم ، ولا يسمع دعوة إلاّ بهم ، ولا يقبل شفاعة إلا منهم ، ولو كان الأمر إلى ما ذهبت إليه العامة ، أهل العمى والجهالة ، والمخالفون[٢] الذين هم عن الحق حائدون ، ولأهوائهم متبعون ، وبآرائهم مقتدون ، إن آدم هو أول النطقاء ، وأبو البشر فقط هو اسم خاص له لما كانت طاعته على أحد بعده واجبة ولا يجب لأحد من أهل الأعصار ، ولا على أمم الأنبياء
٢٢/ ثواب ولا عقاب ، إذ ليس/ يلزمهم إلاّ طاعة أرباب أعصارهم من ناطق وأساس وإمام ، ولا وجب أن يكون للدين حدود إلا من جهتهم[٣] ، إذ كان آدم هو المخصوص بالعبادة والطاعة له وحده ، لكن عماهم الجهل وركبهم الضلال فهم صم لا يسمعون ، عمي لا يبصرون ، بكم لا ينطقون[٤] .

وهم غير مختلفين في سيرهم وتواريخهم ، إذ كان اسم آدم عبد الله ، واسم نوح عبد الغفار ، وهذا أيضاً لقب . فاسم العبودية واقع بكل ناطق وإمام ، إذ كل النطقاء والأئمة من فعل الله ، وبأمر الله مخصوصون بالكلمة ، مصطفون بالتأييد المتصل بهم من الحدود التي بينهم وبين الله ، فكانوا عباده كما قال سبحانه مخاطباً لإبليس : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلْطَانٌ . . . ﴾[٥] منهم في الجمع عباد لا عبيد ، وفي الإنفراد عبد ، وإنما كان اسم آدم المخصوص به تخوم بن بجلاح بن قوامة بن ورقة الرويادي .

---

(١) مبرماً : مبروماً في ب
(٢) المخالفون : الخائفون في جـ
(٣) جهتهم : جهته في جـ
(٤) ينطقون : ينطلقون في ب
(٥) سورة ١٥ من الآية ٤٢ و١٧ من الآية ٦٥ .

وكان اسم قبيلته رياقة ، وكان اسم حجة صاحب الزمان وإمام العصر الذي قال: ﴿إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً. . .﴾[1] هنيد،وكان اسم القبيلة[2] الذي آدم منها رياقة ، وكان اسم ضده وهو إبليسه الحارث بن مرة ، وكان الحارث أحد حدود ملك ذلك الزمان ، وإن ملك ذلك الزمان خرج ذات يوم يتصيد حتى انتهى
٢٣/ به السير/ إلى تلك الأرض التي آدم بها مستتر ،وإن بعض أصحاب الملك رأى آدم في أحسن صورة ، وأكمل هيئة ، وأجمل وجهاً ، وأبهى منظراً ، وأعظم هيبة ، فأخذه ومضى به إلى الملك فلما رآه الملك أعجب به وسره سروراً عظيماً ، فكلمه[3] فلم يفهم كلامه ، فضمه الملك إليه وتولى تربيته ، وتعلم لغة القوم ، وعلم ما هم عليه .

فهذا جملة ظاهر التواريخ والسير ، فأما وجه التأويل الباطن فإن الملك الذي هرب منه أَبَوَا آدم اللذان هما أبواه في الروحانية ، اللذان ربياه في دار ضده صاحب الجزيرة ، وإبليس اسمه الحارث بن مرّة ، وكان الملك أكبر حدوده ، وبعض دعاته أخرجاه من جزيرة الضد ، وأوصلاه إلى الأرض التي تصلصل مائها ، وهو الموضع الذي طرقه فيه التأييد ، واتصلت[4] به المواد من الحدود ، وانقطعت عن الحجة التي هي الصلصال ، وذلك أنه لما استوعب ما في وعاء أبويه أتته المادة فعلا عليهم مجده ، فعند ذلك أطمأنوا عليه من ضده ، ثم استوعب مرتبة الحجة فاتصلت به مواده ، وانقطعت عن الحجة لأنه قام في مرتبته ، وخلفه في منزلته .

وأما اللبوة التي أرضعته فهو صاحب الجزيرة التي وقع بها ، فأمنه وقبله
٢٤/ وتولى مفاتحته ، وأما الملك الذي خرج يتصيد/ فصاده ، فهو إمام الزمان ، والصيادون حدوده ، والذي أخذه ومضى به إلى الإمام فهو أحد دعاته السيارة الذي فرقهم لطلبه فضمه إليه ، واسترعاه أمر أهل جزيرته إلى تمام أمره وانقضاء أجله ، وان آدم لما قوي أمره ، وتم أجله ، وعظم شأنه ، واستضلع أرسله الإمام صاحب

---

(١) سورة ٢ من الآية ٣٠
(٢) القبيلة : القبيل في ب
(٣) فكلمه : وإنه كلمه في جـ
(٤) واتصلت : واتصل في جـ

الأمر والقوة والتأييد ، إلى جزيرة ضدة ، وهي الجنة التي ذكرها الله في كتابه بقوله : ﴿ . . . اسكُنْ أَنتَ وزَوجُكَ الجَنَّة . . . ﴾[1] وهي الدار التي رُبِّي فيها ، وانه أطلق له المفاتحة والكلام بما سمعه منه وألقاه إليه ، وهو قوله : ﴿ . . . وكُلا مِنها رَغَداً حَيثُ شِئتُما . . . ﴾[2] الآية .

وهو في وجه آخر من التأويل أن آدم كان قد وقع في دعوة إبليس وهو الحارث ، وكان الحارث من أحد دعاة صاحب الوقت أكثرهم بياناً ، وأن إبليس وآدم تنازعا في الخطاب حتى ترافعا إلى إمام الزمان ، وهو ملك الجزيرة ، وأن الملك لما سمع كلام آدم وبيانه استحسنه وقبله أحسن قبول ، واستخلصه لنفسه واصطفاه ، وأمر الحارث الذي هو إبليس بالسمع له والطاعة والقبول منه ، فامتنع إبليس من ذلك تكبراً عليه ، وقال : أنا خير منه خلقتني من نار ، أي أنا أعلا منزلة منه ، لأنك ملكتني من العلوم ما لم تملكه ، لأني نوراني روحاني ، وهو جسماني
٢٥/ ظلماني ، وهو قوله/ وخلقته من طين. فعند ذلك سخط عليه وأبلسه ، أي قطع عنه مواد الدعوة المتصلة به وأسقطه من دعوته التي هي جنته التي أسكنها آدم ، وأباحه إياها يفاتح فيها كيف يشاء ، وأمر دعاته بالسمع والطاعة له فأجابوا قوله : ﴿ وَإِذْ قُلنَا للملائكَةِ اسجُدُوا لآدَمَ فَسَجدُوا إلاَّ إبليسَ أَبى وَاستَكبَرَ . . . ﴾[3] .

وفي موضع آخر ﴿ . . . فَفَسَقَ عَنْ أَمرِ رَبِّهِ . . . ﴾[4] أي خرج من دعوة صاحب الجزيرة ، وكان منهم ما قصه الكتاب ، وأن إبليس لما طرد عن الدعوة التي كان فيها وأخرج منها أبلس عن الطاعة ، وانقطعت عنه مادة صاحب الجزيرة ، فعند ذلك عمل لنفسه شريعة قياسية ، وذلك لانقطاع التأييد عنه ، وكان يتظاهر بالرأي والقياس عند أهل إجابته ، وعلى هذا أتباعه إلى وقتنا هذا المقيمين في دعوته وحدوده ، كما أن أهل الباطن هم أهل دعوة أولياء الله ، وهم أهل البيان والشرح

---

(١) سورة ٢ من الآية ٣٥ و ٧ من الآية ١٨ .
(٢) سورة : ٢/ ٣٥
(٣) سورة ٢ من الآية ٣٤ .
(٤) سورة ١٨ من الآية ٤٩ .

المحقين، أصحاب البرهان[1] له المبين، ولذلك يسمونهم أهل الظاهر المبطلين سحر إمجانين عند مخالفتهم لهم ، ولما هم عليه فعنوا أنهم سحراء بلطيف كلامهم لما يجنوه من علوم أولياء الله الحكمية التأويلية ، ومن ذلك قول رسول الله (ﷺ) إن علم
٢٦/ الدين هو السحر الحلال ، وقال الله تعالى حكاية عن قول أهل الجهل/ والإفك فقالوا معلم مجنون ، بمعنى أنه قد جُن من العلوم ما علمه وأيد به ، كما قال سبحانه : ﴿ ... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعلَمُ ... ﴾[2] .

وكان فضل الله عليك عظيماً ، وأن الله جل اسمه احتجب عن إبليس وجنوده بحجابه الذي سمّاه آدم بالخضوع والتذلل ، وكذلك الملائكة هم حجج امام الزمان قد اجتمعوا إليه من جزائر الأرض ، وكان بجزيرة من جزائر الهند مقامه بمكان يعرف بسرنديب مدينة عظيمة ، وكان أهلها قد أطاعوه وسمعوا منه وقبلوا عنه ، فلما رأى إبليس أنه قد سقطت مرتبته ، وزالت مواد العلم عنه ، وخرج من الطاعة ، حسد آدم على منزلته ، وأخذ في مخادعته كما ذكرناه ، ليخرجه كما خرج ، ويغويه كما غوى ، وأخذ إبليس يراجع آدم ويظهر له الخضوع والتذلل ، والنصح والموادعة ، نفاقاً منه عليه ، ومكراً به .

فكان أول من أسس النفاق ، والمكر والخديعة والرياء[3] والغدر ، وكان يلح على آدم لمسألة ، ويستقبله في الوقت بعد الوقت في ذنبه ، ويستميله ، وآدم ع.م يظن أن ذلك الذي يظهره حق ، وأنه صادق في كل ما يأتيه ، إلى أن خرج إليه آدم بشيء مما أودعه الله إياه وأطلعه عليه ، ومنعه من مفاتحته وإظهاره على شيء منه ، وهي الشجرة التي نعتها الله في الكتاب بقوله : ﴿ ... ولاَ تَقربا هذِهِ الشَجرةَ
٢٧/ فَتكُونا مِنَ الظَّالمينَ ﴾[4] ﴿ فَوَسوسَ لَهُما الشيطانُ/ ليبدي لَهُما مَا وُري عَنهما من سَواءاتهمَا وَقَالَ مَا نَهاكما رَبُكما عَن هذه الشجرةِ إلاَّ أَنَ تكُونا مَلَكَينِ أَو تكوُنا مِنَ الخَالدينَ . وَقَاسَمَهُما إني لَكُما لِمَنَ النَّاصحينَ ﴾[5] . فانقطعت عن آدم

(١) البرهان : البراهين في ب .
(٢) سورة ٤ من الآية ١١٢ .
(٣) الرياء : الرئيا في جـ
(٤) سورة ٢ من الآية ٣٥ و٧ من الآية ١٨ .
(٥) سورة ٧/ ١٩ ، ٢٠ ، ٢١

المواد وأظلم عليه النور فعلم آدم بذلته وأيقن بخطيئته ، وتاه في معصيته ، واستقال ذنبه ، وجرت عليه المحنة من ربه ، بما نصه الله في كتابه المنزل على محمد ، نبيه بقوله : ﴿ وَقُلنا يا آدَمُ اسكُن أَنتَ وَزَوْجُكَ الجنَّةَ وَكُلاَ مِنها رَغَداً حَيثُ شِئتُما وَلاَ تَقرَبا هذِهِ الشجرةَ فَتكونا مِنَ الظَّالمينَ . فَأَزَلَّهُما الشَّيطَانُ عَنها فأَخرجَهُمَا مِمَّا كَانَا فيه . . . ﴾[1] الآية .

وقد ذكر علماء أهل الظاهر ، وأصحاب التواريخ ، والعالمون بالسير ، أن الشجرة التي نهى الله آدم عن أكلها إنها شجرة البرد ، وهي شجرة لا تستقر في جوف أكلها حتى تخرج من مخرج قذر ، وأن أهل الجنة وسكانها لا يجوز لهم أكلها ، لأن الجنة دار كرامة الله ومحل ثوابه ، وسكانها هم أهل راحة لا تعب عليهم ولا نصب ، وأنهم في غنى من أن يخرج منهم قذى ولا أذى ، فمنع وزوجه عن أكلها ، لأن لا يخرج منهما قذى ولا أذى ، وأباحهم الجنة يرتعون فيها كيف يشاؤون ، ولما حسد إبليس آدم ، لم يجد طريقاً إليه إلا من جهتها لينالها فيخرج منه
/٢٨ القذى والأذى ، فيكون ذلك سبب خروجه من الجنة/ ليشمت به ويسقط منزلته، فأغواه وغره فاستغفر بقوله ، وصدق بقسمه فنال منها ، وكان ذلك عصيانه وخروجه من الجنة وهبوطه إلى الأرض ، فشمت به إبليس .

وأما الشيعة فيزعمون أن الشجرة التي نهى الله آدم عنها وعن أكلها أنها مرتبة القائم المهدي ، وهي أعلى المراتب وأرفعها ، إذ هي الخاتمة والنهاية سماها الله شجرة المنتهى ، كما قال : ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الأُولى ﴾[2] وأن آدم توهم في نفسه أن ينالها فيزداد بها شرفاً لعلوها، فوقع به الغضب لطلبه ما ليس من حده ولا من رتبته ، ولا انتهت إليها منزلته ، فكانت الزيادة في طاعته عصياناً ، كما لو أن رجلاً كان[3] يصلي صلاة فريضة فزادها[4] فوق حدها لبطلت . ولم تقبل كذلك

---

(١) سورة ٢ من الآية ٣٥ .
(٢) سورة ٩٣/ ٤
(٣) كان : سقطت في جـ
(٤) فزادها : يزيدها في ب

سائر المفروضات متى زيد فيها فوق حدها بطلت ، ولم تقبل كما قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه في بعض أسفاره في شهر رمضان عندما لم يفطروا ، وشكوا إليه ألم الجوع ، والعطب ، والتعب ، فتوقفوا ولم يفطروا ، فلما رآهم لم يفطروا ، دعا بعس لبن فشربه بحضرتهم ، ثم قال: ليس مني من لم يستن بسنتي ففطر قوم منهم كفعله اقتداء به ، واتباعاً له ، فسماهم الطائعين ، وصام آخرون ، وتمادوا
على صيامهم ولم يفطروا ، فسماهم العصاة ، لأنهم/عصوا أمره ، والصوم فهو /٢٩
طاعة . فلما ركبوا فيه النهي صار معصية ، فنسب آدم إلى المعصية لارتكابه ما نهى الله عنه ، وإن كان مراده بذلك زيادة في الطاعة .

وهذا حال يناقض بعضه بعضاً ، إن لم يصححه التأويل ، ويوضحه ويثبته ، فأما الجنة التي أسكنها الله آدم فهي دعوة إمام العصر ، وصاحب الوقت ، وأن الحارث[2] قد خدم فيها ، وكان من أحد دعاتها ، فلما اصطفى صاحب الوقت آدم وارتضاه ، وقربه منه وأدناه ، وأناله أعلى مراتب الدعوة ، وأطلعه على جميع حدودها ، وأبوابها وأسوارها ، وعلمه بما لم يعلم به أحد من حدوده ، وأطلعه على ما حجبه عنهم وأفقرهم إليه ، لموضع ترافعهم واستصغارهم منزلته ، وأحوجهم إليه ، وأمرهم بالطاعة له ، والتسليم منه .

وأباح له أن يعلمهم وأن يفاتحهم ، إلاً الحارث بن مرة وهو إبليس ، لأنه أبى أن يطيعه ، ويخضع له ، وتكبر عليه وافتخر عجباً منه بنفسه ، وتوهما منه أنه أعلى منه لسبقه له في طاعة صاحب الوقت ، وأنه أقدم منه هجرة ، فأباح الله لآدم مفاتحة الحدود بغوامض الأمور[3] ، ونهاه أن يفاتح بشيء من العلوم ، لا إبليس ولا
أحد من أتباعه وجنوده . وكان إبليس هو الشجرة ، المنهي عن مفاتحته بالعلوم/ إذ /٣٠
كان قبل إبلاسه في حد الدعاة ، فلما امتنع عن الطاعة سقطت منزلته ، وانقطعت مادته ، وذهب عنه ما كان يعلمه ، وتعرى من المواد وشيطن وأبلس ، وحسد آدم

---

(١) يفطروا : أخطروا في ب
(٢) الحارث : الحرث في جـ
(٣) الأمور : سقطت في ب

على ما ناله من مواد العلم وتأييده ، فأخذ في غوايته واستزلاله لكي يقع به العصيان ، فيقطع مواده ، وتسقط مرتبته .

وجعل يغويه بالكلام ، ويظهر أنه له[1] ناصح وعليه مشفق ، وأخذ يقسم له بالله مكراً منه وخدعة ، حتى استقر في نفس آدم أن جميع ما يأتيه به حق ، وكان يعده من نفسه حسن الطاعة له متى فتح له شيئاً مما يخفيه عنه ، فعندها أطلعه على حد القائم ومرتبته ، إذ هي نهاية المراتب وأعلاها ، وبها خوطب إبليس بقوله له استكبرت على خاصتي ، وصيفي آدم أم كنت من العالين الذين لم يكن لآدم حد مراتبهم . فلما أظهر سر الله لعدو الله بغير أمر من الله أخرجه الله من جنته ، أي قطعه الإمام من دعوته ، وأمسك عنه مواده ، وأسكته وحرمه المفاتحة ، وأحوجه إلى أقل حججه ، وهي الأرض التي هبط إليها . وأمر الحجة أن لا يفتح عليه شيئاً من علم التأويل إلا الظاهر المحض ، الذي هو عمل وتعب ونصب ، الذي لا يقبل من
٣١/ عامله إلا بممازجة/أباطنه. فلما رأى آدم نفسه في محل العصاة عرف ذنبه ، فاستمال[2] ربه ، أي رب دعوته الذي التجأ إليه ، وتوسل إليه بالحدود العالية ، فلما علم منه الإمام صحة توبته وثبات نيته ، وأنه إنما مكر به ، وكيد له قبل سؤاله ، تاب عليه ، ولم يرده إلى جنته ، أي لم يستخدمه في دعوته ، ولا أطلق له المفاتحة بشيء من العلم ، بل أبقاه في ظاهره تعباً ونصباً في قيام التكليف ، وعقوبة لما جنى ، وتمحيصاً لما ارتكب ، ليخدم ويجتهد حتى يستحق حد الجنة فينالها بعد تعب واجتهاد ، كما تقدم في القول إنه أخرجه من جنته وأبعده من جواره ، بعد أن تاب عليه وأحوجه إلى كد يمينه وعرق جبينه ، فأخذ على آدم الميثاق في كتمان السر وطيه .

وأسقط إبليس عن حدودها الروحانية ، وأسكن الظلمة بعد النور ، أي بقي في ظلمات الجهل ، وزال عنه نور الهداية ، الذي اتصل بآدم وأنسه ، وذلك قوله : ﴿ أوَمَن كَانَ مَيتاً فَأَحييناهُ وَجَعلنا لهُ نُوراً يَمشي بِهِ في النَّاسِ . . . ﴾[3] يعني آدم

---

(١) له : سقطت في جـ
(٢) فاستمال : فاستقال في جـ
(٣) سورة ٦ من الآية ١٢٢ .

كان قد ماتت منزلته ، وسقطت رتبته لما عصى ربه ، فلما استقبل التوبة بالكلمات التي تلقاها عاد حياً ، بالمواد التي اتصلت به بعد أن كان ميتاً بانقطاعها عنه ،
/٣٢ والنور/ الذي يمشي به في الناس هو علم التأويل ، ثم قال : ﴿ . . . كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيسَ بخارجٍ مِنها . . . ﴾[1] ، إعلاماً بأن إبليس مقيم في ظلمة الجهل ليس له منها خروج ، فآدم عصى بغير علم ، ثم استقال لما علم فتاب الله عليه .

وإبليس عصى ولم يمتثل[2] ، فحرم من التوبة ، وباء باللعنة ، ولما تم أمر آدم ع . م وانقضت أيام الإمام صاحب الزمان ، وحان أوان نقلته ، حضر ملائكته ، أي حدود دعوته ، وسلم إلى آدم بمحضر منهم ، وأشهدهم على نفسه ، وعليه بالتسليم ، انصرفت المواد العلوية ، والتأييدات التأويلية ، إلى آدم ، فصار صاحب الزمان ، واستخلص لنفسه من الملائكة أصحاب التمليك من الحدود العلوية أربعة ، كما استخلص ابراهيم أربعة من الطير ، وكما أطلق رسول الله (ﷺ) بأمر الله لنقبائه نكاح أربعة نساء[3] ، إشارة إلى أن كل واحد منهم ينصب بين يديه ، فيكون لهم الثلث من سهمه ، والثلثان من سهم أساسه ، فسيرهم في الأرض يطلبون له دار هجرة ينصبها ليقيم أحكام الدين ، ويجاهد منها ضده ، وعدوه إبليس وجنوده ، فعندما أيس إبليس من رحمة الله أن لا ينالها ، وبقي طريداً منهم منفرداً منفياً ، وثوى شقيا مخزياً جمع جنوده وأهل إجابته وذكرهم فعله بهم ،
/٣٣ وما كان يعمله معهم فأجابوه ، وذلك عند/ ما علا على آدم وظهر عليه، وعلا على الحدود ، وظهرت دعوته على دعوة آدم ع . م ، فخرج آدم من دار هجرة إمام الزمان التي كانت جنته التي كان فيها مستوراً معهم يطلب لنفسه دار هجرة ، ينصبها لتقوي يده فيها .

وكذلك كان علي في أيام فراعنته مستوراً معهم في دار هجرة الرسول ، فلما كملت محنته معهم ، وتمت أيام مهلته وسترته ، خرج من دار هجرة الرسول إذ لم

---

(١) سورة ٦ من الآية ١٢٢ .
(٢) يمتثل : يستقل في جـ
(٣) نساء : نسوة في ب

يكن له أن يقوم فيها بجهاد أعدائه ، إذ ليس ذلك له ، ولا أن يتخذ حججه الذين هم أزواجه حججاً بزواجهم ، لقول الله ع .ج : ﴿ . . . وَمَا كانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رَسُولَ الله وَلا أَن تَنكِحوا أَزواجَهُ مِن بَعدِهِ أبداً . . . ﴾[1] . فكما لم يجب له أن يتخذ حجج الناطق حججاً ، كذلك لا يجب له أن يتخذ مدينة الرسول ودار هجرته له دار هجرة ، فخرج إلى الكوفة فجعلها له دار هجرة ، وجاهد منها عدوه ، فلما نقله الله إليه ، خرج ولده من بعده من دار هجرته هاربين إلى حرم جدهم صاحب الشريعة ، وعزت عليهم دار هجرة يأوون إليها فيجاهدون منها عدوه ، وكان سبب محنتهم واستتارهم عن[2] عدوهم دار هجرة يتخذونها .

وإنهم لم يزالوا تحت التقية ، والإستتار ، حتى تكاملت أيام محنتهم ، فقام
القائم وهو محمد بن اسماعيل فخرج من حرم جده هارباً يطلب لنفسه/أدار هجرة، ٣٤/
بعد أن قدم دعاته السيارة بين يديه ، ونحن نأتي بخبره في موضعه إنشاء الله تعالى .

وإن آدم لما خرج من دار هجرة أبيه لم يزل مستتراً في غمار الناس حتى نزل اليمن ، فلقي حجته الذي كان سيره بين يديه ، وكان قد قوي بهما أمره وقامت دعوته ، وروي أن إبليس والحية وهي حجته ، لم يزالوا يقتفون أثره ، ويستنفرون الخلق عليه ، ويظهرون له الحسد والمكايدة ، وأن آدم لما دخل اليمن قويت يده على إبليس ، واشتد عضده . فلما رأى إبليس ظهوره عليه واستعلائه عليه هرب من بين يديه ، فاستتر عنه في غمار الناس ، إذ عاين منه ما هاله وأكبره من تأييد الله وظهور النور بين عينيه ، فلما رأى إبليس ظهور النور وقوة شكيمة آدم يئس منه ، وخضع له وذل .

ولم يزل مستتراً تحت الخفية والرقابة[3] ، وخرج آدم من اليمن وتوجه[4] يريد مكة والنور يتلألأ بين عينيه ، ويتسع بين يديه ، حتى وصل إلى موضع البيت ، فزاد ضياء النور واستدار أصحاب السير والتواريخ يروون أنه نزل عليه في ذلك

(١) سورة ٣٣ من الآية ٥٣ .
(٢) عن : عند في جـ
(٣) الرقابة : الرقبة في ب
(٤) توجه : نزل في ب

الموضع قبة من لؤلؤ بيضاء فضربت في موضع البيت ، وأما وجه التأويل أنه نزل
٣٥/ عليه التأييد بالمواد العلوية في البيت ، فعندما رأوا حجحه/ المسمون بالملائكة محله، وتلألؤ النور بين عينيه ، صعقوا وخضعوا وأذعنوا له وخشعوا ، وصار ذلك النور مشرقاً ، وكان سجوده لموضع شروق النور يعني أنه كانت طاعته للتأييد الذي طرقه من صاحب العصر ، وصار ذلك السجود سنة لولده ، وأنه أخذ عليه الميثاق في كتمان ما اتصل به ، وآطلع عليه من سر غيب الله ووحيه ، وأن لا يدفعه إلى أحد ، ولا يفاتح به أحداً .

وأن إبليس لما علم أن توبته لا تقبل ، وذلته لا تغتفر ، وعثرته لا تقال ، وعلم أن لهذا الخلق وعداً ينتظرونه ، وهي القيامة ، راجع ربه في الإنتظار إلى ذلك اليوم الذي وعد الخلق به ، وهو قوله : ﴿ ... لأَحتَنِكَنَّ ذُرِّيَتَـهُ إلاَّ قليلاً ﴾[1] فوعده[2] الله إلى ذلك اليوم بقوله : ﴿ ... فَإنَ جهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جزاء موفوراً . وآستَفرِز مَنِ استطعتَ منهُم بصوتِكَ وَأَجلِب عليهم بِخَيْلِكَ ورجلكَ وَشارِكْهم في الأَموالِ والأولادِ وَعدِهُم وَمَا يَعِدُهُم الشيطـانُ إلاَّ غروراً . إنَ عبـادِي ليسَ لَكَ عَليهمْ سُلطانٌ . . . ﴾[3] .

وكان من أمره ما قصه الله تعالى في كتابه مما لو تقصيناه لخرج عن حد هذا الكتاب ، وعن ما أردناه ، وطال به الشرح ، إذ هو البداية والنهاية ، وأبو الأنبياء
٣٦/ كلهم ، والأئمة بأجمعهم منتسبون إليه ، معروفون[4] ، لأنـه أول من/ أمـره الله بالإنذار ، وأنه لما تغلب الضد على أرض الهند وقامت بها رايته ، تقـدم آدم إلى حججه وطلب منهم[5] أن يسيروا في الأرض يطلبون له دار هجرة ، وأمرهم بإقامة الدعوة إليه بعد أن أخذ عليهم عهد الله وميثاقه في ستـر ما أودعهـم من العلـوم التأويلية ، والحكم السرية ، وكتمان أمره وإخفائه عن إبليس وحزبه وأتباعه ، كما أخذ الله علينا العهود بذلك .

---

(١) سورة ١٧ من الآية ٦٢
(٢) فوعده : فأنظره في ب
(٣) سورة ١٧ من الآية ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥
(٤) معروفون : معزوقون في جـ
(٥) وطلب منهم : سقطت في ب

وخرج من بلاد الهند يريد مكة ، وكان ذلك سبب إدعاء الهنود[1] أن آدم عبد لهم آبق منهم ، فرحل وملائكته ومن كان معه من المؤمنين ، ونور الإمامة والنبوة يسعى بين يديه إلى أن وصل إلى برية مكة ، فوقف النور في موضع البت ، فنزلت من السماء خيمة من ياقوتة حمراء ، وأمر ببناء البيت على أحبال الخيمة فكان مقامه بالبيت مدة حياته . ثم نظر إلى موضع شروق النور فجعله كعبة ، ونصب الحجر الأسود فيها وجعله مثلاً على حجته ، وهو حواء الذي حوى علمه وحكمته ، وضربت الملائكة الخيم حوله فصارت سنة لولده في تظليل الخيمة وسكنى البراري ، فصار آدم بيت الله ومحرابه وقبلة الملائكة ، وصارت الملائكة والمؤمنون يدورون حول قبته ويصلون إليه ركعتين في كل ما طافوا أسبوعاً ،
/٣٧ فصارت سنة لولده وأتباعه ومن استجاب له إلى/ وقتنا هذا ، وإلى أن تنتهي الدنيا ، فمن امتنع عن السجود لآدم ولم يطعه ، وتكبر عليه ، كان لاحقاً بإبليس وجنوده .

فهذه سنة الله جارية في عباده في الأدوار والأعصار ، وكانت الملائكة والمؤمنون مستمرون[2] على الطواف حول البيت ، فكانت تطوف وتأتي الحجر الأسود فتصلي عنده ركعتين ، فكان ذلك دليلاً على أن السجود لآدم والطاعة له من قبل الحجر الذي هو حجته ، المدخول إلى آدم منه ، وكذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله : ﴿ . . . ادخُلوا البَابَ سُجَداً نغفِرْ لَكُمْ خطيئاتكم سَنَزِيدُ المُحسِنينَ ﴾[3] . فلما قوي أمره ، وتمكنت حجته ، وعلا سلطانه ، وكان له ولدان ، وهما : هابيل ، وقابيل ظهرا منه بالولادة الجسمانية التي طيبها ممزوج بخبيثها ، أمر الله عند ذلك بنصب أحدهما له وصيا ، وخليفة .

وكان قد رتب البيت حرماً فجعله من جهة عرفة اثني عشر ميلاً دليلاً لإثني عشر حجة ، وأقامهم له في ظاهر أمره ، وجعل من جهة العراق ثمانية أميال ،

---

(١) الهنود : الهند في جـ
(٢) مستمرون : سقطت في جـ
(٣) سورة ٧ من الآية ١٦١ .

بنظير الحجج الثمانية أرباب الجزائر ، وجعل من جهة المدينة أربعة أميال دليلاً على الأربعة الحرم ، فصار الجميع أربعة وعشرين ميلاً ، نظير حجج الليل الإثني
٣٨/ عشر أصحاب التأويل وحجج النهار الإثني عشر أصحاب ظاهر التنزيل/ ، وصارت سنة لولد آدم من بعده فكانت الملائكة والمؤمنون يطوفون بآدم ويصلون إليه ركعتين في كل أسبوع إشارة إلى ما تقدم القول ان كل ناطق هو آدم عصره ، وطاعته واجبة على أهل دوره ، والركعتان تصلى بعد طواف أسبوع ، إشارة إلى طاعة الناطق ووصيه الذي هو مثل الحجر ، كما ان الناطق بمثابة البيت ، والطواف السبعة على[1] الأئمة السبعة أصحاب دور الناطق ، إمام بعقب إمام ، خلف عن سلف ، ولوازهم بالحجر الأسود ، معاهدتهم له بالعهود المؤكدة والمواثيق المغلظة ، باداء الأمانة والوفاء بالمعاهدة ، كما يقول من يطوف بالبيت إذا لثم الحجر ، قال : اللهم أمانتي أديتها إليك ، وميثاقي تعاهدته لك فمن وفى بعهد الوصي الذي هو مثابة الحجر ، وأدى له أمانته بصحة ولايته ، كان من الذين قال الله سبحانه فيهم : ﴿ . . . وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ هُمُ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئكَ الذينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ الْمُتَّقُونَ ﴾[2] .

وقد ذكر أهل السير والتواريخ ، أن الحجر خرج من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فاسود مما ناله من نجاسة المشركين ، والكفار والمنافقين ، والأشرار والكذابين ، والفجار والفاسقين ، الخارجين عن طاعة الأخيار ، والتابعين لأئمة
٣٩/ الكفر ، الداعين/ إلى النار ، وذلك إشارة إلى باب الله وحجابه ، وحجته[3] على عباده ، كان ظاهراً في العالم مكشوفاً ، قائماً بحكمة الله وتأييده ، فلما كثر المشركون والمنافقون ، ووقع التكذيب به والجحود ، استتر عنهم وأخفى أمره لكي لا يعرفوه ، فكان استتاره هو سواده[4] فعرفوا المثل فعبدوه ، وجهلوا ممثوله فجحدوه ، وأنكروا التأويل وكذبوه ، وتمسكوا بالظاهر واعتقدوه .

---

(١) على : إلى في جـ
(٢) سورة ٢ من الآية ١٧٧ .
(٣) وحجته : سقطت في ب
(٤) سواده : المقصود سواد الحجر .

ولو كانت عقولهم صافية ، وأبصارهم مضيئة ، وافهامهم ذكية ، لعلموا أن ذلك جُعل لهم مثلاً دالاً على ممثوله ، فعرفوا الممثول بمثله ، إذ يقول جل اسمه : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَاسِ في هذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُم يَتَذكَّرُونَ ﴾ .[1] فأعلم أنه أخفى الممثول وستره ، وجعل مثله طريقاً إلى معرفته اختياراً لعباده ، وامتحاناً لهم ، إذ جعلهم مخيرين ، وجعل فيهم استطاعة للطاعة والعصيان ، فجعل أوليائه وأئمته سبيل طاعته وعبادته ، وعرفهم طريق رشدهم من غيهم ، ووعد الثواب على الطاعة ، وأوجب العقاب على المعصية ، فقال: ﴿ . . . فَمَنِ اهتدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإنمَا يَضِلُّ عَلَيها وَمَا أَنتَ عَلَيهمْ بِوَكِيلٍ ﴾[2] .

وهذا خطاب واقع على كل المخالفين من الجاهلين ، والمشركين والكافرين والمنافقين ، فلما علم الله آدم سره وأطلعه على غيبه ، وأودعه حكمته ، وأظهر به
٤٠/ نوره ، أمره// بنصب هابيل ، وأن يقربه من نفسه ، ويوجب طاعته ، ويأمر بالسجود له ملائكته ، وأهل إجابته ، وأن يأخذ له الميثاق عليهم ، وسلم إليه سر الله وحكمته ، وأودعه إياها ، فبلغ قابيل اختصاص آدم لهابيل فحسده على منزلته ، فأصاب إبليس وجنوده السبيل إليهم ، فجعل يسعى بينهم .

واجتمع حزب إبليس منافقوه حول قابيل ، واستوى لإبليس ما يريده من شركته التي أمره الله بها ليستخرج الخبيث من الطيب ، ويميز بينهما بالولاية والعداوة ، والبغضاء والمحنة ، فأغوى قابيل حتى بغى على هابيل واستصلى عليه وقهره . وقد تقدم من القول ما يكتفي من صفاء عقله ، وصحيح لبه ، وتفكر في الممثولات وأمثاله ما يستدل به على أن قصة آدم وابليسه ، وسجود الملائكة له ، وخلقه بيد الرب من الطين اللازب ، وتعليمه الأسماء كلها ، وسكناه الجنة ، وأكله رغداً منها حيث يشاء ، وتحريم الشجرة عليه ، أن لا يقربها لأنه[3] أنهاه عن أكلها .

---

(١) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل : ولقد ضربنا للناس من كل مثل في هذا القرآن في جـ . سورة ٣٩/ ٢٧ و ٣٠/ ٥٨

(٢) سورة ٣٩/من الآية ٤١ .

(٣) لأنه : سقطت في ب

إن المراد بذلك كله متجسداً في ممثوله ناطق عصرنا ، ورسول ربنا ، ونبينا محمد (ﷺ) ووصيه وأساسه ، وحجته علي (ﷺ) وأئمة دوره ، وأرباب حكمته وفرعونه وضده وشيطانه ، وإبليسه ضد وصيه وعدوه فكان الرسول آدم عصره ،

٤١/ وكان ربه الذي/ خلقه وكونه من الطين اللازب هو إمام الزمان، الذي اصطفاه لنفسه ، وتولى تربيته ، وكانت يداه حجته اللذين أطلق لهما مفاتحته وتعليمه ، وكانت الرُوح التي نفخها فيه سره الذي أودعه إياه ، وغيبه الذي أطلعه عليه ، وحكمته التي أظهرها له ، وكانت الجنة التي أسكنه إياها دار الدعوة التي أقامها ، وكانت زوجته التي تزوجها حجته التي أقامها للدعوة ، وهي الشجرة التي حظرها عليه ، ومنعه من أكلها ، ونسب له العصيان بما ناله منها ، وهي مرتبة وصيه وأساسه ، وحده من التأويل ، وعلم باطن التنزيل ، والمتصل به من الحكمة وتأييد الكلمة ، التي هي محظورة على الناطق ، إذ ليس هو من حده ، ولا له أن يفاتح بها وأن يسلمها إلى من هو المؤهل لها ، وهي حده ومنزلته .

وأن العصيان الذي وقع به لما أكل منها ، فكان أكله منها هو ما أودعه الضد في معرفة الحد المحظورة عليه المفاتحة به ، فباح به للضد ، وأظهره عليه ، وقد عينه الله في كتابه ، بقوله : ﴿ وَإِذْ أَسَرَ النبيُّ إلى بعضِ أَزْوَاجِهِ حديثاً[1] فلَما نَبأَتْ بِهِ وَأَظهَرَهُ الله عَلَيهِ عَرَفَ بَعضهُ وأَعرضَ عَن بَعضٍ فَلما نَبَّأَها بِهِ قَالَت من أَنبأَكَ هذا[2] قَالَ نَبأَني العَليمُ الخَبِيرُ ﴾[3] . وكان ضده الذي وقع به العصيان لما فاتحه به قد

٤٢/ زاوجه في دعوة/ إمام الزمان ، وكان أحد حججه وأفضلهم عنده ، فلما اصطفى محمداً واختاره وأودعه سره ، وغيبه وعلمه جميع الأشياء ، وأطلعه على ملكوت الأرض والسماء ، ومنعه من مفاتحة ضده الذي قد زاوجه في الدعوة ، أن لا يكشف له شيئاً مما أطلعه عليه ، وما فضله به وأبان شرف منزلته ، فاستغواه واستنفره وأظهر

(١) حديثاً : سقطت في ب
(٢) هذا : سقطت في ب
(٣) سورة ٦٦/ ٣

له النصح من نفسه ، وأقسم له بمواثيق اليمين مكراً به وحسداً له ، فصدق قسمه ، وكشف له بعض ما علمه ، فكان ذلك منه عصياناً عظيماً ، وذنباً كبيراً ، فوقع به الندامة ، فقبل توبته ، وغفر خطيئته ، وهو ما قاله في الدور الأول : ﴿ فَتَلقى آدمُ مِن رَّبهِ كَلِماتٍ فتابَ عَليهِ . . . ﴾[1] .

وهو ما حكاه في دور ناطقنا في محكم تنزيله على لسانه ، بقوله سبحانه : ﴿ إنَّا فَتَحنا لَكَ فَتْحاً مُّبيناً . لّيغفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيْكَ وَيهديكَ صراطاً مُستَقيماً . وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصراً عَزِيزاً ﴾[2] . فكان الذنب المتقدم ما تقدم به النص في ما جرى في ذلك العصر المتقدم الذي ضرب الله مثلاً لعصر نبينا محمد ، والذنب المتأخر ما ذكره التنزيل من أسراره إلى بعض أزواجه سراً أعلمه به ، وأطلعه عليه ، وأوقفه على علمه ، وقد حظر[3] عليه المفاتحة به ونهاه أن يطلع
٤٣/ عليه أحداً ، وهو ما أسره الرسول إلى (. . . . . .[4]) من أن/ أباها يجلس مجلسه من بعده ، ظلماً لوصيه صاحب المنزلة ، متعدياً عليه ، كفعل قابيل بأخيه هابيل الذي ظلمه حقه ، وابتزه مقامه وقتله ، أي أسكته وأخمد أمره ودفنه ، أي غطى منزلته على الناس حتى لا يعرفوا فضل الوصي ومنزلته ، فيرجعوا عن طاعة الظالم ضد الولي ، ويعلموا أنه صاحب المنزلة فيتبعونه .

وكان (. . . . .)[5] لما أن تظاهر بالإسلام وسماه الرسول (. . . . .) في فعله ، وظلمه وتعديه ، مكان قابيل ، وكان (. . . . . . .) هابيل ، فلما كشف لها السر الذي أمر أن يخفيه ولا يذيعه ولا يبديه ، فخالفته وأطلعت عليه (. . . . .) وقد كان الرسول ذكر لها أن

(١) سورة ٢ من الآية ٣٧ (٢) سورة ٤٨/ ١ - ٣
(٣) حظر : خطر في جـ
(٤) حرصاً على مشاعر وأحاسيس بعض الإخوان حذفنا هذا الإسم ووضعنا مكانه نقاط .
(٥) حذفنا الإسم على مسؤوليتنا حرصاً على عدم جرح شعور الناس .

(. . . . . . .) يجلس بعد (. . . . .) في مجلس التعدي والظلم ، وأنه أشد ظلماً وأبعد غدراً ، وهو الذي أغوى (. . . . .) وقوى عزمه على ارتكاب الظلم والجحود ، فهو الشيطان ، كما أغوى إبليس قابيل ، وقوى عزمه على ظلم هابيل ، في قتله . فقد كشفنا من ذلك ما أوجبه الوقت ، وشرحنا منه ما أمكن شرحه ، ويؤكد ذلك قول رسول الله (ﷺ) حيث قال لها : (يا . . . .) لتقاتلين (. . . . .) وأنت له ظالمة ، وقوله (. . . . .) لما أن دخل على (. . . . . . .) يعوده وهو ملقى لما
٤٤/ به ، ومعه جماعة من أصحابه . فلما رأى ما به توجع له فقال له (. . . . . . .) / و(. . .) مستهزئين : يا رسول الله إنك قلت لنا أن (. . . . .) وصيي وهو الخليفة من بعدي ، وها هو يا رسول الله لما به ، فمن يكون لنا بعدك يا رسول الله ؟ فقال (ﷺ) : إن (. . . . . . .) لا يموت من علته هذه ، وإن الله قد وعدني في (. . . . . . .) أنه وصيي وقاضي ديني وأنه يقاتل بعدي الناكثين ، وهم تيم ، والقاسطين وهم بنو أمية ، والمارقين وهم بنوعدي ، ولا يموت حتى توغر أصدره بغيا ، وتملأه غدراً ، وتدعياً منزلته ظلماً ، وجوراً .

ونرجع إلى حيث وصل بنا القول من قصة هابيل مع أخيه قابيل فنكشف من ذلك بقدر الإمكان ، وحسب الإستطاعة ، وفوق كل ذي علم عليم ، وذلك أن قابيل حسد أخاه هابيل على ما أودعه الله من سره واصطفاه ، فأراد آدم أن يبين لهما منزله الفاضل منهما من المفضول ، وأن ذلك من أمر الله لا من عند نفسه ليزيل الحسد في ما بينهما ، وأمرهما أن يقرِّبا قرباناً فمن قبل قربانه كان صاحب المنزلة والمرتبة ، وعلم الآخر ذلك فأطاع أمر الله ففعلا ذلك فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل ، فعادى لأخيه وبغى عليه ، فكان ذلك حجة عليه كما كانت على أبيه ، آدم ، كذلك ضرب الله مثلاً (بـ. . . . . .)[1] وصي الرسول ،
٤٥/ و(. . . . .)[2] إذ كانا أول من أسلم وأطاع ، وأول من تولى بينهما لنفسه ، او/ كانا

(١) حذفنا اسم العلم ووضعنا مكانه نقط
(٢) وضعنا نقط عوضاً عن الإسم

في إفادته أولاداً ، وكان لهما أباً حسد الوصي في بداية أمره ، وحقد له في قلبه لما رأى رسول الله (ﷺ) قد اصطفاه واستخلصه لنفسه ، واختصه ذلك أن (. . . . .) كان يؤهل نفسه للوصية ويتوهم أنه ينالها ، وقد علم أنه لا وصول له إليها إلا من قبل الرسول ووساطته وبإقامته ، فكان يظهر للرسول النصيحة من نفسه ، وهو يضمر خلاف ذلك ، مكراً بالرسول ومخادعة له ، وهو مع ذلك يظهر الإجتهاد في النصح ، ويعرض له بالكلام .

ولقد عارضه في غير موضع توثباً على مرتبة الوصي ، والشرح في قصته يطول ويخرج عن حد هذا الكتاب ، وسنبين من أمره ما يجب بيانه إذا انتهينا إليه ، وأهل السير يروون أن آدم لما أهبط إلى الأرض أقام زماناً من الدهر يسبح في أطراف الأرض حتى اجتمع بحواء زوجته بعرفات ، وتعارفا بها[1] ، وهم يروون أيضاً أن إبليس وزوجته وهي الحية وآدم وزوجته وهي حواء هبطا إلى الأرض من الجنة ، وأوقع بينهم العداوة والبغضاء ، كما قال : ﴿ . . . بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدوٌ . . . ﴾[2] وأحدهما حجاب الله وبابه ، ووجه عبادته وطاعته ، والآخر عدوه وضده ، متناصبان بالعداوة إلى يوم القيامة ، أحدهما لواء الحق ، والآخر لواء الضلالة .

٤٦/ وأن آدم التقى بزوجته حواء ،أي/زواجها على الروحانية ، وذلك أنه نصبه بابا بين يديه وجعل الحجر الأسود بإزائه ، ودخل الكعبة واستتر بها عن الملائكة ، فكانت الملائكة تأتي الكعبة فيطوفون حولها كل يوم أسبوعاً ، وتصقع مرة ، فلذلك صارت سنة في ولده .

وقد رُوي أنه لما التقى بزوجته حواء ولد بينهما عشرون بطناً ذكوراً وأناثاً توأم في بطن واحد[3] وأنه زواج بين الذكور[4] والأناث ، وإنه كان يزوج البطن الأول بالبطن الثاني ، ويزوج الثاني بالثالث ، كذلك إلى آخرهم ، وإن كان يخالف

(١) وتعارفا بها : وإنهما بها تعارفا في جـ
(٢) سورة ٢ من الآية ٣٦ .
(٣) بطن واحد : سقطت في ب
(٤) الذكور : الذكران في جـ

بينهم ، وهذه كانت ولادة آدم في الجسمانية ، وأما في حد الروحانية أنه كان يحمل على كل شكلٍ شكله ، فيخرج من بينهما ولداً مثله ، وقد جاء في التوراة[1] : إن قابيل لما قتل أخاه هابيل بقي متحيراً في أمره نادماً على فعله ، لا يدري ما يعمل إذ بعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ، فالله هو إمام الزمان كما تقدم به القول ، والغراب هو أحد منافقي العصر ، فكشف لقابيل عن رتبة النفاق ، إذ النفاق هو أن ينطق الإنسان بلسانه مما يتكلم به ويظهره من فعله ، وهو يعتقد خلافه ويضمر نقيضه .

والنفاق مشتق من النفق ، والنفق هو حجر اليربوع الذي يأوي إليه يتخذ له بابين ، إذا دخل عليه من أحدهما نفق من الأخرى ، أي خرج منه ، وكان ذلك
٤٧/ المنافق أراه/ كيف يستر منزلته الأولى ، ويخفيها بالجحود والإنكار ، ويظهر من فعله الطاعة والإقرار ، وهو المواراة بالدفن ، إذ الدفن إنما هو ستر ، فتعجب قابيل من ذلك وأخذ أخاه هابيل فعمل به كما رأى ذلك المنافق يعمل بصاحبه ، وهو الاعرابي الذي دفن منزلة صاحبه بجحوده له وإنكاره فعله ، وقوله : كانت بيعة (. . . .) فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، وهو قول الله ع . ج : ﴿ كَمَثَلِ الشَيطانِ إِذْ قالَ لِلإنسانِ أكفُر فَلما كَفَرَ قَالَ إني بريءٌ مِنكَ إني أخافُ الله رَبَ العَالمينَ ﴾[2] فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين .

والشيطان هو ثاني الظلمة ، الإعرابي والإنسان هو أول الظلمة ، ورب العالمين هو الإمام ، فالأول فرعون الإمام ، والثاني ضد الإمام ، والثالث عدو الإمام ، فواراه أي ستره وكتمه ، وصارت سنة جارية في ولد آدم إلى أن تقوم

---

(١) جاء في التكوين ٤ : « ولكم قايين هابيل أخاه . وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله . فقال الرب لقايين أين هابيل أخوك . فقال لا أعلم أحارس أنا لأخي ، فقال ماذا فعلت ، صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك .

(٢) سورة ٥٩/ ١٦

الساعة ، فهذا ما حكته التوراة وأخبر به أصحاب السير ، فأما نفس التأويل إن كان قتل قابيل لهابيل جحود منزلته وإخماد أمره ، ودفعه عن مقامه ، واستكباره عليه واستعلائه واستمالته الناس إلى نفسه ، وكان دفنه في الأرض استتاره بين
٤٨/ المؤمنين ، وإخفاء أمره ، وخموله وإمساكه عن الدعوة ، وقبض أيدي/ الدعاة لقوة الأضداد ، وضعف المؤمنين عن القيام بالجهاد ، إذ هو زمان فترة ، وظهور فتنة ، إذ الزمان لا يمكن أن يكون فيه إلا تظاهر الفتن ، وتغلب الأضداد وأئمة الكفر ، وأهل النكر يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ، ولوكره الكافرون .

وقد ذكرنا آنفاً أن (. . . . .) و (. . . . . . .) ممثولا قابيل وهابيل ، وأن القربان الذي قرباه هو إمام العصر ، والقربان مشتق من التقرب ، يعني أنهما تقربا من الإمام بحسن الطاعة فقرب الإمام (. . . .) فقبل قربانه وجعله حجة الخلق يرث مقامه من بعد غيبته ، ولم يقبل قربان (. . . . .) ولا قربه لعلمه بحسده وبغيه ومكره ، ونفاقه وغدره ، فلما أيس من المرتبة أبلس وتشيطن ، وأظهر ما كان يستره من النفاق ويخفيه من الشقاق ، لاستعلائه وكثرة حضوره ، فأمات منزلة الوصي وجحد مقامه ، وابتز حقه وجلس مجلسه ، وادعى رتبته كفعل قابيل بأخيه هابيل ، فكان إمساك (. . . .) وسكوته هو القتل في الباطن .

والغراب الذي بعثه الله يبحث في الأرض فهو رسول إمام الزمان أرسله إلى فرعون المفتون وضده الملعون ، فكان يسر النفاق ويخفيه ، ويبحثه في الأرض ،
٤٩/ فالأرض دليلاً[1] على دعوة الإمام التأويلية ،/ فكان بحثه طلبه أن يعلمها ويقف عليها ليفسدها ويعمي آثارها ، إطفاء لنور الله وإخماد الأمر الله فيما ظن ، وتوهم والله متم نوره ونافذ أمره ، ولوكره الكافرون .

وقد جاء في وجه من التأويل أن الغراب الذي بعثه الله يبحث في الأرض هو رسول إمام الزمان إلى الضد الملعون ليعلمه بسوء ما اقترفه ، وبقبيح ما ارتكبه

(١) دليلاً : سقطت في ب

واجترمه ، وينهاه فيزجر ويريه كيف وجد توبته وإقالته وإنابته ، وهـو ما نصـه أرباب علم التأويل ، أن (. . . . .) هو الغـراب وصاحبـه الـذي يواري في الأرض،وهو (. . . . .) والإمام المسمى بالله الذي هو وصي الرسـول وأساسـه ، (. . . . .) وأن قابيل هو (. . . . . . .) ، وهو ما جاء في السير أن (. . . . .) لما انقضـت أيامـه وقرب احتضاره ، ودنى منه حمامه ، دخل عليه (. . . . .) ولده فرأى مجهوداً في كربه شديداً لما به ، فقال له : يا أبت سلم تسلم ، وتب إلى الله ، واقلع عما أنت عليه يتوب الله عليك . فقال له : يا ولدي وما السبيل إلى ذلك وقـد ارتكبت[1] أعظم الظلم ، واجترمت أشد الجرم ، وأظهر الندامة من نفسه كما قال فأصبح من النادمين . فقال له أنا أمضي إلى (. . . . .) وأسأله أن يهبك لي ويغفر لك ، فقال إفعـل . فمضى (. . . . .) إلى (. . . . .) وكان (. . .) هو الذي قرب (. . . . .) واختصه واتخذه لنفسه ، فقال له/ يا أمير المؤمنين ٥/ إن أبي قد ندم على ما فعله واستقال من ظلمه وتاب إلى ربه ، وقد سألني سؤالك أن تغفر له ظلمه لك وأنا شفيعه إليك هبه لي . فقال حباً وكرامةً امضِ إليه وقل له يحضر جماعة من أصحاب رسول الله فيعرفهم ظلمه لي وتعديه عليّ ، وأنه تاب من ذلك واستقال ، ويسلم لي حقي الذي جحد به ، وقد غفرت[2] له .

وعاد (. . . . . . .) إلى أبيه فأعلمه بما قاله الإمام فقال نعم أجمع فاتني بمن لقيته من الأنصار والمهاجرين لأشهدهم على نفسي وأبين أمر ظلمي لهم وأسلم . فدخل (. . . . .) فوجدهما يتحاوران ، فقال : ما أنتما فيه فقال له (. . . . .) إن أبي قد استقال من ذنبه ، وتاب إلى ربه ، ورجع عن ظلمه ، وأنا ذاهب آتيه بطائفة من أصحاب رسول الله (ﷺ) ليقر بين أيديهم بظلمه ، (. . . . .) ويرد إليه حقـه . فقـال (. . . .) مه إن أبـاك يهجـر أي يهـذي . ثم التفـت إلى (. . . . .) فقال ما عزمت عليه ، فعرفه بذلك ، فقال إن فعلتهـا أرمـي قبـرك

---

(١) ارتكبت : ركبت في جـ   (٢) غفرت : عفرت في جـ

بالحجر ، ولعنت إلى يوم القيامة ، ألم تكن عاهدتني أنك إذا احتضرت أن تسلمها إليّ . فعندها قال (. . . .) لأصحاب رسول الله وقد حضروا ، إني خلفت عليكم (. . . .) فهو الخليفة بعدي[1] . فقال له يا صاحب رسول الله سألناك بالله قسماً إن خلفته علينا فهو فظ غليظ القلب ، فلما أكثروا عليه القسم ، قال : أبالله تخوفوني إذا لقيت الله فسألني قلت خلفت عليهم خير أهلك فما نفعه[2] ندمه ، ولا قبل عمله ، وأصر على ظلمه ، فكان اسم النفاق واقعاً على (. . . . .) إذ هو ممثول الغراب لأنه نافق على أبيه ، واتبع (. . . . .) وتبرأ من أبيه ، وكان يجامله[3] اللفظ ويحسن له القول ، ويظاهره بالبر والطاعة ، وهو معتقد له البغضاء والعداوة ، فكان ذلك منه نفاقاً ، والنفاق اسم جامع للكافر والمؤمن ، وكذلك الشرك يجمع الكافر والمؤمن .

واسم الايمان يجمع الكافر والمؤمن ، قال الله ع . ج : ﴿ ألم تَرَ إلى الذّينَ يَزعمُونَ أنهم آمَنُوا بِما أُنزلَ إلَيكَ وَمَا أُنزلَ مِن قَبلِكَ يُريدُونَ أَن يَتحاكَمُوا إلى الطاغُوتِ وَقَد أُمِرُوا أَنَ يكفرُوا بِهِ وَيُريدُ الشيطانُ أَن يُضِلهُم ضَلالاً بَعيداً ﴾[4] .

وقال أمير المؤمنين علي لأوليائه وشيعته : إن الشرك فيكم لأخفى من دبيب[5] النملة السوداء ، على المسح الأسود في الليلة الظلماء . وقد روى من تقدم من شيوخ الدعوة وملاكها ، وحدودها وأربابها المتصلين بالأسباب العلوية ، والمواد الحكمية ، أن آدم لما نصب أساسه وسلم إليه سر الله وحكمته ، تخلى عن الدعوة
٥٢/ وانقطعت/ عنه المادة ، وغاب بعد أن أوصى إلى أساسه أن اتبعك الناس من بعدي ، ورضوا بك واثروا أوامر الله فاهدهم إلى سبيلي ومنهاجي ظاهراً ، واحملهم على سبيلك ومنهاجك باطناً ، وافتح عليهم أبواب العلوم ، وإن عصوك ولم يطيعوك ، وتظاهروا عليك ولم يتبعوك ، ومنعوا أنفسهم حظها منك وكذلك

(١) الخليفة بعدي : سقطت في ب
(٢) نفعه : انتفع في جـ
(٣) يجامله : سقطت في ب
(٤) سورة ٤/ ٥٩
(٥) دبيب : دبين في ب

يفعلون ، فاغلق دونهم بابك والق عليهم حجابك ، وأقم لسر دعوتك الباطنة
نقبائك ودعاتك ، وابعثهم في جزائر الأرض يسيحون في البلدان ، ويسيرون في
الأقطار ، واكتم أمرك ، واخف سرك إلى أن تَقوى يدك ، ويشتد عرفك فيظهر
أمرك .

وكذلك ما قاله رسول الله (ﷺ) لأساسه وحجته ووصيه وخليفته عند أوان
نقلته وحضور أجله ، إن قام معك أربعون رجلاً فاطلب حقك وإلا فاستر أمرك
والزم بيتك إلى حين ، أوان[1] قوتك وأعوانك ، ولا تلق بيدك إلى التهلكة . فلما
مضى آدم ولم يجد هابيل له أنصاراً ولا أعواناً استتر عن الخلق ، فكان ذلك سواده
بعد البياض المتقدم ذكره ، واستعلى قابيل ودعا إلى نفسه ، وستر هابيل[2] منزلته ،
واستمال المنافقين والمخالفين بالدنيا، / ومَوه عليهم بمنزلته ، كما فعل ضلال أمتنا /٥٣
وظالموا أئمتنا ، حذو النعل بالنعل ، ومن ذلك قول رسول الله (ﷺ) : ملك
الناس إمام ضلالته ، إلا كانت دولة إبليس على آدم ، وما ملكهم إمام هدى إلا
كانت دولة آدم على إبليس .

وروي عن الصادق جعفر بن محمد أنه قال لرجل : لعلك ممن يذكر مذهب
الهفتية قال : وما الهفتية يا ابن رسول الله ؟ قال : آدم بعد آدم كما تقدم في الأدوار
الحالية ستة ، لم تكن لمؤمن فيها دولة ، وعلى يد سابعهم يذيل الله المؤمنين ،
ويذبح إبليس الملعون فيها ، وجنوده من الكافرين والمنافقين ، ويزول النفاق
والتمويه . فكان هذا القول منه يدل على أن كل ناطق صاحب شريعة وعزم هو آدم
عصره ، وأقام هابيل ستراً ، ودخل كهف التقية .

وقد أخفى أمره عن أعداء الله ، وبث دعاته سراً بإقامة توحيد الله واستخلف
شيئاً من بعده ، وهو هبة الله لآدم بعد هابيل ، ووعده النصر على أعدائه ، وكذلك
وعد نبينا محمد (ﷺ) بالنصر والظفر وأن يظهر الله أمره ويتم شرعه ويكمل أمره ،

(١) أوان : إن في جـ
(٢) وستر هابيل : هابيل وستر في ب

بالقائم من ولده الذي يظهره الله على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وإن آدم
٥٤/ عاش ألف سنة[١] وإن/ شيثاً عاش بعد أبيه تسعمااية سنة[٢] ، ومما ذكر في التوراة
أن بين آدم ونوح ألف سنة وأربعماية سنة ، وإثنين وأربعين سنة .

(١) جاء في الإصحاح الخامس : فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مائة وثلاثين سنة .
(٢) جاء في التكوين الإصحاح الخامس : فكانت كل أيام شيث تسع مائة واثنتي عشرة سنة .

قصة ادريس

في التوراة أن أدريس صاحب الفترة الثانية ، وإنما سمي أدريس لأنه درس علم قابيل الملعون ، أي محاه وأزاله ، وأظهر علم شيث وهو باطن علم آدم ، وهو أول من خط بالقلم وأظهر الإسلام ، لأن من تقدمه كانوا يُعلِّمون أممهم تلقيناً ، وأول من خاط الثياب وكان الناس قبله يلبسون الجلود ، وكان غريب النسب .

وذكر في القرآن أنه رفع إلى السماء ، وذلك لسموه[1] وعلوه إلى درجة الإمامة ، وعرف الحدود العلوية . وهو ما روي عنه أن الإمام الذي سلم إليه أودعه ذلك سراً عن أهل دعوته بمحضر من نقبائه ، ولما غاب صاحب الزمان ، وصار الأمر إليه قال لأهل دعوته ، والمستجيبين له : هل يجوز أن يخلي الله أرضه بلا عالم تجتمع الأمة عليه ، ويدعوهم ؟ قالوا له : لا يجوز ذلك . قال : فأين حجتكم الذي ترجعون إليه ؟ قالوا : لا علم لنا بذلك . قال : فهل يجوز أن يخلي الله
أرضه ، ويهمل عباده ، ويتركهم سدى ؟ قالوا لا . فقال :/ فقد وجب عليكم ٥٥/
طلبه .

وذلك أنه عمل اصطرلابا[2] يعلم به قسمة الأرض ومساحتها نصبه لهم ، وقال لهم : أنا أقرب عليكم الطلب وأسهل عليكم المطلوب ، أقسموا الأرض أربعة أقسام ، فأي قسم أصبتم فيه الدلالة فهو المطلوب فاقصدوه ، ففعلوا ذلك فأصابوا مطلوبهم معهم فقالوا : الله أكبر قد قصر الله عنائنا . فقال لهم : أقسموا

(١) لسموه : سقطت في ب

(٢) اصطرلابا : اسطراماً في جـ

هذا الربع أربعة أقسام فأينا أصبتم مطلوبكم فامضوا إليه ، ففعلوا ذلك فأصابوه في الربع الذي هم فيه ، ولم يزل معهم يقسم الأرباع أرباعاً ، حتى وجدوا مطلوبهم ، فأيقنوا أنه إمام الزمان وصاحب الوقت ، فسلموا له ، وآمنوا به ، واتبعوه ، وقالوا : ما لنا والطلب وقد ظفرنا بمطلوبنا ، وأقروا له بالطاعة ، وكان ذلك سموه ورفعته الذي حكاه الكتاب بقوله : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانَاً عَلِيّاً ﴾[1] .

وكان ضده وفرعونه عوج بن عناق ابنة آدم ، وأن عناق هذه كانت اختاً لهابيل توأم في بطن واحد ، وأنه زوجها لقابيل ، فولدت منه عوج ، فكان قابيل ضد هابيل ، وعناق ضد لشيث هبة الله لآدم وعوج ضد لادريس ، وأن عناق هذه إبنة آدم خلق لها عشرين إصبعاً ، طول كل إصبع منه ذراعان ، وفي كل إصبع منها
/٥٦ ظفران/ محدودان طويلان معقفان .

وكان مجلسها في الأرض جريباً ، فلما طغت وبغت على شيث ، خلق الله لها أسداً كالفيل ، ونسراً كالبعير وذئباً كالحمار ، فأكلوها وأراح الله منها ، وأحيا عوج ابن عناق سنة أبيه قابيل وإبليس ، لأنهما شريكان في المناسبة ، وهو ما قاله الله عز وجل : ﴿ وَأَجلِب عَلَيهِم بِخَيلِكَ وَرَجلكَ وَشَارِكهُم في الأَموالِ وَالأَولادِ وَعِدهُم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيطَانُ إلاَّ غُروراً ﴾[2] .

وكان عوج بن عناق هذا أشد من قال بالرأي والقياس وأفسد في دعوة الحق ، حتى إنه أفسد حرثها ، يعني علم التأويل ، ونسلها ، يعني المستجيبين لولي الله ادريس ، وقد كان لعوج قوة في ضديته ، وكان إذا أراد شيئاً من أهل مملكته نفخ في قصبة كانت له من ذهب ، فإذا نفخ فيها صفرت فيجتمعون إليه من تلك النفخة والصفرة ، وموه على الناس بذلك وقضى رأيه وقياسه ، حتى إنه ذكر عنه في الأخبار أشياء يطول شرحها .

وقد روي أنه ركب ذات يوم في نزهته ، وعلا في عتوه ، وتزايد في طوره ،

---

(١) سورة ١٩/ ٥٧ (٢) سورة ١٧/ ٦٤

وكان عظيم الخلقة[1] هائل المنظر ، وكان قد تظاهر على إدريس ، وعلا عليه وأراد قتله ، فاستتر إدريس عنه ، وأخفى أمره ، وأراد الغيبة ، وقام بالأمر من بعده ولده
/٥٧ متوشالح[2] ومن بعد متوشالح لامك ، ومن/ بعد لامك أخنوخ ، وبعد أخنوخ[3] نوح ، وهذه الأسماء متفاوتات في الإثبات ، مختلفات في الأنساب ، أصحاب فترات بأسماء متواليات ، فمرة يدخلون الكهف ويستترون عن أعين الظالمين ، وعند اختفائهم يظهرون المعجزات لأوليائهم ، ويميتون أنفسهم عند أعدائهم .

وعند الظهور[4] تقوم القوة بالكشف ، وينشرون الباطن ، ثم يعلو الظاهر فيدعون الناس إليه كشفاً ، فيأتي[5] إليهم الولي طوعاً والعدو كرهاً ، إذ دعوه أهل الظاهر يقوم بالجبر والإكراه بالسيف ، ودعوة الباطن هم فيها مخيرون ، فذلك قوله ع .ج : ﴿ وَللهِ يَسجُدُ مَن في السَموات وَالأرض طَوعاً وَكَرهاً . . . ﴾[6] وهم أهل الظاهر والباطن ، وعلى هذا جرت السنة إلى وقتنا هذا .

وجملة القول في وجه التأويل ، وما ساقه القصص ، فالمراد ناطق دورنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ، ووصيه علي بن أبي طالب ، وأئمة دوره ، لا ما ذهبت إليه طوائف الغلاة ، وأهل المذاهب الحائدة عن الحق ، وطريقه أن المراد بمحمد يعنون إبن (. . . . . . .) لأنه محمد بن عبد الله ، لأن اسم (. . . . .) عبد الله ، ويحتجون بقول علي بايعني الناس على ما في نفوسهم ، وبايعني محمد
/٥٨ ابن (. . . . . . .)/ على ما في نفسي ، ولو عرفوا معنى قول علي في هذا ومراده فيه ، ووقفوا على معرفته ، لعلموا وجه الصواب فيه ، وأن هذا منهم لقياس بعيد ، وسنذكر ذلك والوجه فيه ، إذا انتهى بنا القول إليه .

---

(١) الخلقة : الخلق في جـ
(٢) متوشالح : متوشالخ في ب و جـ عاش متوشالح تسع مئة وتسعاً وستين سنة .
(٣) في سفر التكوين ٥ ذكر ان لامك هو الذي ولد نوح أي أن نوح بن لامك ، واخنوخ هو الذي ولد متوشالح ، لذلك تجدر الإشارة .
(٤) الظهور : الإظهار في ب
(٥) فيأتي : فيعنوا في جـ
(٦) سورة ١٣ من الآية ١٥ .

قصة نوح

ومما حكت التوراة أن نوحاً كان نجاراً ، وأن اسمه عبد الغفار ، وقد تقدم في خبر آدم ذكر ذلك ، وأشبعنا القول فيه ، وأن نوحاً جمع به مراتب أسبابه ، وأحيا به منازل حدوده ، وأنه كان يدعو قومه إلى شريعة هابيل وشيث وإدريس في وقت ظهوره بالدعوة إليهم ، وينهاهم عن دعوة الحارث[1] وقابيل وعوج ، فعادوه وكذبوه وعتوا عليه واستغلوه ، إذ كانوا إلى قابيل وعوج أسرع إجابة وأطوع ، وأقوى اتباعاً لهم وأسرع .

وقد ذكرنا أنه كان اسم نوح عبد الغفار ، واسم ضده وفرعونه راسب ، وهو ولد عوج بن عناق ، وكان أصحابه وأتباعه ذوي نجدة وقوة ، وبأس ومراس ، وكانوا يسمون من بقي في زمانهم من ولد هابيل وأتباعه ، ومن ولد شيث وأتباعه ، ومن ولد إدريس وشيعته الأرذلين ، وذلك لقلتهم وكثرة أضدادهم ، وأنه لم يكن
للمؤمنين على الأضداد قدرة ،/ ولا لهم بهم قوة ، ولا طاقة، ولا عِز لهم ولا منعة ، ٥٩/
ولا سلطان ، بل هم مشردون ، ومستضعفون مقهورون .

وكان السلطان والملك والقوة والعز لضد نوح وفرعونه راسب بن عوج بن عناق وأتباعه ، وأنه لما كثر البلاء والإمتحان بالمؤمنين أتوا نوحاً يسألونه أن يسأل الله لهم الفرج مما هم فيه ، فكان منه ما جاء في السير أنه أمرهم بغرس النوى حتى يثمر ويأكلونه ، ففعلوا ثلاث مرات ، في كل مرة يرتد منهم أكثرهم حتى لم يبق إلا

---

(١) الحارث : الحرث في ب

ثمانون رجلاً ، فجاءهم الفرج ببناء السفينة ، وركوبهم فيها ، وهلك الباقون بالغرق .

وتأويل ذلك في حقيقته ، أن النوى الذي غرسوه نخلاً فأطعم وأكلوه ، فالنوى الأول على داعي إحرام أقيم فيهم يفاتحهم ويربيهم بالعلوم الحكمية ، فلما استوثقوا من علم الداعي وعلت مراتبهم ، ارتقوا إلى حجة الإمام الذي هو ممثول النوى الثاني فنالوا من علمه ، وبلغوا نهاية ما عنده ، فصبر القليل وارتد الكثير على أعقابهم ناكسين ، لما عاينوا ما أبهرهم ، وأكبروا ما ظهر لهم وكفروا بما علموا ، وأنكروا ما عرفوا ، كما قال ذو الجلال : ﴿ ... فَلماً جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كفَرُوا بِهِ
٦٠/ فَلَعَنَةُ اللهِ عَلَىَ الكَافِرِينَ ﴾[1] فلما وقفوا على علم الحجة ونالوا ما عنده ، / ترقوا في العُلا وسموا إلى مرتبة الإمام الذي هو ممثول النوى الثالث ، وركبوا في السفينة التي بناها نوح للنجاة والخلاص ، وهي دعوة الإمام الذي أقامه نوح ونصبه ، وأوجب طاعته ، وأمرهم بالدخول في دعوته ، وهو ركوبهم السفينة ، ودخولهم في عهد الإمام الذي هو نجاة لمن ناله ، وعز لمن شمله ، وبقي الأكثرون في ظاهر شريعة نوح مبلسون متبعون ، ولضده وفي ضلاله غارقون ، فأهلكناهم وقومهم أجمعين .

وأن راسب الضد الغوي ، والفرعون القوي ، عاين الهلاك ، وخاف الإرتباك ، فتعلق بسفينة نوح وأمسكها ، ولم يدخلها ، إذ هي محرمة عليه ، فنجى من الغرق ، إذ هو من المنتظرين ، وهو ما حكاه الله عن قوله : ﴿ كَمَثَل الشَيطَانِ إِذْ قَالَ للإنسانِ اكفُر فلَما كَفَرَ قَالَ إني بَرِيءٌ مِنكَ إني أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ ﴾[2] والله جل اسمه لا يلحقه كفر ، ولا إيمان ، ولا طاعة ، ولا عصيان .

وإنما هو لفظ واقع به ، إذ التعدي في حدوده ، وسجود وليه منزلته هو الكفر

(١) سورة ٢ من الآية ٨٩ .
(٢) سورة ٥٩/ ١٦

بالله ، والعصيان لله ، لأنه الذي أقام الولي ، ونصب الحدود ، فكان طاعتهم طاعته ، وعصيانهم عصيانه ، والايمان[1] . بهم هو الإيمان به ، والكفر بهم هو
٦١/ الكفر به ، لأنهم بأمره يعملون ، وله موحدون ،فمن/ بلغ معرفتهم ، وأطاع أمرهم ، فقد وحد الله بحقيقة توحيده ، وعبده من حيث أمره ، فكانت السفينة حد الفرج المنتظر ، إذ هي الدعوة التأويلية إلى معرفة الإمامة والحجية[2] .

وأما ما نصه[3] التوراة ، أن طول السفينة ثلاثمائة ذراع ، وعرضها ستون ذراعاً[4]فإشارة منه ، أن دعوة الأئمة لا تنقطع إلا بعد ثلاثين إماماً ، فهم خمسة عشر قائمين بظاهر ، وخمسة عشر داعين إلى باطنها ، ويبشرون الخلق بمن يأتي بنسخها ، وإظهار شريعة غيرها ، وإنما اقتصرنا على ستة أئمة وأن السابع هو القائم بتبديل الشريعة لمن عرف ذلك وعقله ، ودليل ذلك أن نبينا محمد (ﷺ) افترض ثلاثين يوماً ، وافترض الله علينا في صلاتنا سبعة عشر ركعة ، وسبعة عشر ركعة سنة ، وسبعة عشر ركعة نافلة ، فذلك إحدى وخمسون ركعة .

وأما الثلاثمائة وستون ذراعاً طول السفينة وعرضها ، فهو أن لكل إمام اثني عشر حجة أمثال الإثني عشر شهراً ، لكل شهر ثلاثون يوماً ، يعني أن لكل حجة ثلاثين داعياً يخدمون في جزيرته ، فذلك ثلاثماية وستون داعياً وحجة ، وكان سام وصي أبيه نوح وأساسه والإمام من بعده ، والسفينة كانت دعوته ، وكان ضده وفرعونه أخوه في النسب حام بن نوح .

٦٢/ وقد روي في التوراة/ أن حام كان أسود اللون ، وأن أخاه كان أبيض اللون ، فكان بياض سام ما كان عليه ، ومعه من نور الحق الذي قام به ، والبرهان الذي كان يعمر به عقول الخلق ، وسواد حام ما كان فيه من الظلم ، والجور ،

---

(١) الإيمان : سقطت في جـ
(٢) الحجية : الحجحية في ب
(٣) نصه : سقطت في ب
(٤) جاء في الإصحاح السادس تكوين : اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر . . . ثلث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ارتفاعه .

والغشم ، والضدية ، والحسد الذي ورثه عن إبليس وقابيل ،وادعائه منزلة أخيه سام أساس نوح ووصيه ، والإمام بعده .

وكذلك ما جرى لنبينا محمد (ﷺ) في عصره ، من إقامة وصيه ونصبه ، وتظاهر الضد عليه وبغضه ونكثه ، وعلماء الظاهر يروونه عنه (ﷺ) : أنه سئل عند أوان نقلته وغيبته ، كم بقي للقيامة بعدك يا رسول الله ؟ فأشار بثلاثة أصابع فتحيروا في ذلك . ولم يدروا ما أشار به ، ولا ما أراده ، فذهبت أوهامهم أنه عني ثلاثة أيام ، فلما انقضت الأيام ، قالوا عني ثلاث جمع ، فلما انقضت ، قالوا أراد ثلاثة أشهر ، فلما انقضت ، قالوا ثلاث سنين ، فلما انقضت ، قالوا ثلاثين سنة ، فلما انقضت قالوا عني ثلاثماية سنة ، فعندها قويت حيرتهم ، وعميت بصيرتهم ، وخاب توهمهم لارتكابهم الهوى ، واستعمالهم الآراء ، وتخلفهم عن طريق الحق ، والهدى ، وركونهم إلى الضلال والعمى ، ولو سلموا الأمر إلى أربابه ،
٦٣/ وقصدوا الهدى من بابه ، وسألوا من أمروا بسؤاله ،/ لاتضح لهم نور الهدى ، ووقفوا على حقيقة المعنى ، وعلموا ما أشار به إليهم ، فلما انبتر ما كانوا يظنون ، وانقطع ما توهموه ، بقوا حائرين ، ونحن نبين ذلك في وجه التأويل ، ونكشف فيه بقدر الوسع والإستطاعة ، وما أوتينا من العلم إلاً قليلاً .

وأما ما أشار به (ﷺ) بأصابعه الثلاثة ، وتوهمهم إنها ثلاثة أيام ، فهو إعلام منه أنه لا يدفن إلا بعد ثلاثة أيام ، وأنه لا يقيم في قبره أكثر من ثلاثة ، فلما جاوزت الثلاثة أيام ، قالوا ثلاث جمع ، فهو مدة ما أقاموا يتحاورون ويتعاقدون على توثبهم على ابتزاز علي حقه ، وجحودهم منزلته ، ومطالبة فاطمة لهم بارثها من أبيها ، واغتصابهم إياه ، فلما تناهت الثلاث جمع ، قالوا ثلاثة شهور ، وهو كمال البيعة الأولى وانتهائها ، فلما جاوزت الشهور ، قالوا ثلاث سنين ، وهو نهاية مقام الأول في الخلافة . ثم انتقل بغيبة الموت ، فذهب توهمهم أنها ثلاثون سنة ، فعند وفاء الثلاثين سنة ، برز الولي من كهف التقية ، وحكم في الناس بالسوية ، وساوى بينهم في العطية ، وهو قيام علي في الخلافة وظهوره بالإمامة ، فادعوها

غدراً ونكثا ، وتظاهروا عليه بغياً ، فما وسعه إلاّ جهادهم وحربهم ، فخاب
٦٤/ ظنهم ، وانقطع توهمهم ،/ فعند الثلاثمائة طلعت الشمس من مغربها ، وظهرت
الدابة التي تكلم الناس ، وزالت التقية .

وامتاز المجرمون عن[1] المؤمنين بظهور القائم المهدي صاحب الوجه القمري ، والجسم الإسرائيلي ، فتفهموا يا أولي الأبصار والعقول ، وتدبروا يا ذوي الألباب ، وانظروا بعين الصواب إلى إشارات أولياء الله ، وسترهم عن أعدائهم وأعداء الدين ، واستتارهم تحت الخوف والتقية ، من المتغلبين الأشرار أئمة الكفر الداعين إلى النار ، وكان بدء هذا الستر والخوف ما فعله قابيل بأخيه هابيل واستتاره هو وولده من بعده ، وبذلك جرت سنة الله في عباده إلى تمام الأدوار ، يصحح ذلك ويبرهنه ما قال الله لنبيه محمد (ﷺ) في تنزيله : ﴿ . . . فَأْوُا إِلَى الكَهْفِ يَنشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّء لَكُم مِن أَمرِكُم مِرْفَقاً ﴾[2] . أمره بأن يأمر أمته بأن يأووا إلى وصيه ، وأساسه علي بن أبي طالب ، وموالاتهم إياه ، وطاعتهم له ، إذ هو كهف الدين ، وأبو الأئمة الميامين .

وقوله : ﴿ وَتَرى الشَمسَ إذا طَلَعَت تزاوَرُ عَن كَهفِهِم ذَاتَ
اليَمينِ . . . ﴾[3] . وهي شمس الخلافة ونور الإمامة ، ﴿ . . . وَإذا غَرَبَت
٦٥/ تَقرِضُهم ذَاتَ الشمالِ . . . ﴾[4] فكان طلوعها هو قيام الناطق/ بقوة التأييد ،
والتأييد بظاهر الشريعة والتنزيل ، وكان غروبها نصبه لأساسه ، وما كان أشرق فيه من تلك القوة والتأييد غرب في أساسه ، وكان صاحب التأويل ، والغروب فهو حد الليل والظلام ، فلذلك وجب على الأساس كتمان التأويل وستره ، ودخول كهف التقية والستر ، والشمس مثل الناطق ، وطلوعها على اليمين ، هو ما طرقه من التأييد بوساطة الجاري من الكلمة العقل ، فعند شروق الشمس يقوى حرها

(١) عن : من في ب
(٢) سورة ١٨ من الآية ١٦
(٣) سورة ١٨ من الآية ١٧
(٤) سورة ١٨ من الآية ١٧

ولا يطيق النظر إليها ، ووقت غروبها تبدو في الضعف كما بدت بالقوة عند طلوعها ، وإنما ضعفت عند غروبها لهجوم الليل عليه بقوة ظلامه ، فكان الغروب وقت تسليم الناطق إلى أساسه ما كان أشرق[1] فيه ، فلما سلم ، انقطع وزالت عنه المواد ، فكان ذلك ضعفه .

ولذلك قامت الفراعنة بقوة الظاهر ، فوجب استتار الأساس واختفائه هو وشيعته ، وقد تقدم القول بأن الشمس مثل على الناطق انه عني بطلوعها عن يمين الكهف الذي هو وصيه ، هو ما طرقه من قوة التأييد واتصل به مواد الكلمة بوساطة الجاري ، إذ هو في حال ابتداء خدمته في الشريعة ، واليمين هي البيعة التي أخذها
٦٦/ على جميع أصحابه في مواطن جمة ، منها :/ بيعة الرضوان ، وبيعة العقبة ، وبيعة الشجرة ، وبيعة عدي بن حاتم ، وتحت حائط بني النجار ؛ كل ذلك يشير لهم في بيعته ، ويرمز لهم بوصيه وأساسه[2] ، ويلوح لهم به ، ويضرب لهم فيه الأمثال ، حتى وقع الأمر بإظهار مرتبته ، وإشهار منزلته عند انتهاء شروقه ، وتمام طلوعه عن يمين الكهف ، كما تقدم ذكره ، بأن اليمين هي إيمان البيعة المأخوذة كالشمس التي لم تزل طالعة متزايدة القوة ، والنور ، حتى إذا استوفت منازل الزيادة ولم يبق لها فيه متقدم ، عادت منكسة إلى الغروب تتزايد في الضعف وقلة النور إلى حين انتهائها للغروب .

وهي أضعف ما كانت وأقل نور غربت[3] أي احتجبت . كذلك الناطق لما أن قام بإشراق الشريعة وأظهر مستورها ، وبين لأمته معالمها ، وأوضح لهم سننها وفرائضها ، ومع ذلك يلوح لهم المرة بعد المرة بالتأويل ، ويشير إليهم بصاحبه ، ويدلهم عليه ، حتى كملت أيامه ، وتمت نعم الله عليه ، وهو في حال الضعف العظيم عما كان عليه ، أظهر أمر وصيه ، وأسند إليه تأويل ما قام به وباطنه ، فلما تمت له الحدود ، وكان ذلك غروبه ، أي سلم إلى وصيه جميع ما كان ، فغرب في

---

(١) أشرق : شرق في جـ
(٢) وأساسه : سقطت في ب
(٣) غربت : غربات في جـ

٦٧/ وصيه ما كان مشرقاً فيه، فكانت قوته في طلوعه وشروقه كقوة / الشمس في ارتفاعها في شروقها .

وكان ضعفه في زوال الشروق عنه إلى الغروب ، لأنه وقت تسلمه ، فالشمس في شروقها حارة[1] لا تلامس ، ولا يطاق النظر إليها لقوة حرها وشدة ضوءها ، فإذا غربت بردت ونظرت ، كذلك الناطق في حال القوة والإمتناع ما دام في شروقه ، فإذا استوفى حده ، وبلغ عدته ، وحانت غيبته ، ضعفت قوته ، ووجبت التقية والإستتار ، لدخول الليل بظلامه على ضوء النهار ، واستتار الشمس المضيئة على الخلق ، ورجوعهم إلى قرص[2] القمر الذي هو آية الليل والكواكب كذلك ، وجب استتار الأئمة ، وإخفاء ما عندهم من علم الباطن والتأويل عن[3] الفراعنة المتغلبين من أهل الظاهر ، وكانوا يمدون أوليائهم المؤمنين ، وأهل طاعتهم بالشيء بعد الشيء سراً تحت التقية ، والمواثيق المغلظة[4] .

وأنه لما كملت أيام سام ، وتم أمره ، وحان أوان نقلته ، سلم ما في يديه من تراث النبوة ، ومنزلة الإمامة ، إلى ولده أرفخشد[5] ونصبه إماماً ، بوحي من الله إليه بذلك ، فأقام حام بن نوح ضد سام وفرعونه ، وشيطانه ، وإبليسه ، ومدعي منزلته ، يتزور بن حام في منزلة الضد لأرفخشد ، الذي قد نصبه بين يديه في منزلة الإمامة ، كما نصب سام ولده أرفخشد في مقام الإمامة ، كما فعل إبليس آدم ببني
٦٨/ قابيل بعد هابيل وإبليسه ، واستنصر/من أعقاب المضلين من نسل إبليس ، فقويت يد تيزور بن حام وأتباعه ، وطلبوا من بقي من المؤمنين ، فتشردوا في البراري والقفار ، من طوفان الظلم والجور ، واستتر أرفخشد وأهل اجابته كما فعل من

---

(١) حارة : حادة في ب
(٢) قرص : خرص في ب
(٣) عن : من في جـ
(٤) المواثيق المغلظة : بمغلظة المواثيق في ب
(٥) جاء الإسم في الإنجيل سفر التكوين الإصحاح الحادي عشر هكذا (أَرْفَكْشَادُ) .

تقدمه من آبائه ، فجميع نسل الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين من ولد أرفخشد ابن سام ، وأهل إجابته روحانيون ، ولذلك كان الخلق ينسبون إليه إلى اليوم . والفراعنة والشياطين والأبالسة ، والطغام الملاعين ، والأعاجم والسودان ، هم ولد تيزور بن حام .

ولما صارت المنزلة لأرفخشد قويت منزلته ، وقام بأمر الله وأظهر العجائب والمعجزات ، ورد كل مشرد من المؤمنين ، وأتوا من حدب ينسلون ، ونصبت حجته بين يديه ، وكان يقال إنه كان عند غيبته ونقلته قوي ضد هيجان أهل الجور والظلم ، ولقد ظهرت دولة إبليس ، واستتر الأئمة وتشرد المؤمنون ، واندرست معالم الحق بظهور الباطل ، إلى أن بعث الله هوداً .

قصة هود

ولما قام هود بأمر الله أظهر من معالم الدين ما كان اندرس ، وأحيا لكمة الحق بعد دثورها ، واتبعه من لحقه من المؤمنين ، وكان هود أشبه الناس بآدم خلقاً
٦٩/ وخلقاً ، وكان/ مقامه في برية مكة فيما بين قلزم ومكة ، وكانت من أعمار بلاد الله وأجلها وأعظمها ، وكانت كثيرة الضياع متلاصقة العمارة من مكة إلى قلزم بأنهار منحرفة ، وأشجار متلاحمة ، وخيرات واسعة .

وأن هوداً ظهر بإحياء شريعة نوح وسام وصيه ، وأحيا سنته ،[1] ودعا الناس إلى ما جاء به من العلم والحكمة ، وأمات ما أظهرته الفراعنه ، وأبطل ما أتى به[2] الشياطين من علومهم التي عطلوا بها علم نوح وسام ، وعطلوا بها شريعته ، وأنه كان ضده وفرعونه وإبليسه وشيطانه عاد بن كنعان بن تيزور بن حام ، وقام بالشيطنة من بعده شداد ولده ، وكانوا أُولي قوة ونجدة ، وشيطنة وفرعنة ، وأنهما تظاهرا على هود ومن معه ممن اتبعه وكذبوه ، وكفروا بما جاءهم به ، وكثرت شيطنتهم ، وكان اسم عاد الحولنجان فاعتزلهم هود ومن معه من المؤمنين لعلمه بما يحله الله بهم ، وابتلاهم الله تعالى بالقحط ثلاث سنين ، وقطع بركات ما كان ينزل إليهم ، فغارت أنهارهم ، وتقطعت أشجارهم ، ثم أطلع الله عليهم سحب العذاب من ناحية مكة فأقامت عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام
٧٠/ حسوماً ، كما قال الله تعالى ، حتى هلكوا عن آخرهم ، وأن الريح ردمت تلك/ الأنهار ، وأهلكت تلك الضياع بالرمال .

---

(١) سنته : سنة في جـ

(٢) ما أتى به : ما أتوه في ب

وأن هوداً جمع شيعته ومن اتبعه من المؤمنين وتوجه[1] إلى مكة فأقام بها بقية عمره إلى حين أوان نقلته ، وحضور غيبته ، وسلم الأمر إلى ولده فالغ ، فقام بأمر الله ودعا إلى شريعة نوح ، وقام بإزائه في الشيطنة والفرعنة شداد بن عاد ، فكان ضده وشيطانه وفرعونه ، وكان زمن فالغ زمن فترة ، ولم يزل الأمر تحت الستر إلى ظهور صالح ، وهو متم دور نوح ، فقام بمن لحق به[2] في زمانه من المؤمنين .

وكان قد ولد ابراهيم في وقت صالح ، وهو الذي تسلم منه تراث النبوة والإمامة ، فقام صالح في قوة من أمره ، وكان فرعونه وشيطانه ثمود بن شداد من ولد حام ، وكان قد طغى على صالح وبغى عليه ، واشتدت شكيمته ، وزاد طغيانه ، وكان اسمه لوذا ، وأخذ في تشريد المؤمنين وقتلهم حتى عظم عليهم[3] ، وعلم صالح بوقوع العذاب بهم ، فخرج من بينهم هو ومن اتبعه من المؤمنين ، وكان حلول الصيحة بهم ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، يعني باركين على الركب ، وهم هالكون ، وفرج الله عن المؤمنين ، وزالت محنتهم بعذاب أعدائهم الكافرين .

وكان ابراهيم قد ولد وتربى بين يدي أبيه ناحور ، وإنما كان أزر الذي نسبه
/٧١ الله إليه بالأبوة جده لأمه ، وهو الذي رباه في زمن/ فرعونه ، وهو النمرود، وكان منجماً ، وكان اسمه عزازيل ، وإنما لقب بالنمرود لتمرده ، وفرعنته على ابراهيم ، ومضادته له ، كما خص الحارث بن مرة باسم إبليس ، فلما حضرت صالح النقلة ، أمر بالتسليم لابراهيم ، فأحضره بمحضر من نقبائه ودعاته ، ثم سلم إليه بحضرتهم ، فأعلمهم أنه صاحب الدور الثالث .

(١) وتوجه : وقضى في ب
(٢) به : سقطت في جـ
(٣) عليهم : عليه في ب

قصة ابراهيم

إن النمرود ، هو أول من تكبر وتجبر ، ولبس التاج ، وأشاع[1] علم النجوم بعد اندراسها ، واستخدم الناس بها ، واستعبدهم لها ، وحكم بحكمها ، وأنه رأى في مطالع النجوم[2] أن مولوداً سيولد في مدينته يكون زوال ملكه على يديه ، فجمع منجميه وسألهم ، فحكموا أن ذلك يكون في السنة بعينها ، وأنه قد حمل به ، وهم يتوهمون بأن حمله لم يتم[3] بعد ، فأمر أهل مملكته أن يعتزلوا النساء سنة كاملة ، وحجب النساء عن أزواجهن .

ولما علم أزر بحمل ابنته ستر عليها ، وأخفى أمرها ، فلما وضعت هَمَّ أزر . أن يأخذ الولد إلى النمرود ، فتهاوت إبنته أم ابراهيم بين يديه ، وقالت : أنا أفضل أن أخرج به عن البلد ، وأودعه في بعض المغارات فيهلك ، على أن أراه يقتل بين يدي النمرود ، فسمح لها أبوها بذلك ، وانتظرت حتى جاء الليل فطرحته في بعض
٧٢/| المغارات ، وكانت تأتيه في الليل/ فتتفقده وترضعه ، وتتعرف على أحواله ، حيث لا يعلم بها أحد . فكانت إذا جاءته وجدته يمص إصبعه فيخرج له منه لبن غزير ، وراحت[4] تنقله من موضع إلى موضع خوفاً عليه وشفقة ، حتى اشتد وقوي ، وفي التأويل يعني هذا أن أمه التي أودعته الغار ، وكانت تهرب به من موضع إلى موضع ، هو داعيه ، وكان أبوه تارخ أحد حجج الإمام المسلم إلى ابراهيم المنزلة .

---

(١) وأشاع : وألبس في ب
(٢) مطالع النجوم : رصده في جـ
(٣) بأن حمله لم يتم : إنما حبله من بعد في جـ
(٤) وراحت : ثم في ب

وأن تارخ الذي رباه وأرضعه[1] بما كان وقع إليه من العلم المخزون المستور ، عن أعداء الدين ، قد بالغ في تعليمه حتى ترقى في حدوده ، وارتفعت منزلته ، وأصبح مؤهلاً للتسليم عند بلوغه ، فسلم ما كان له ، وكان المشار إليه متم دور نوح وآخر أئمته ، وهو صالح ، فكان ابراهيم يناطح أهل الظاهر ويكسر عليهم ما في أيديهم ، وكان لابراهيم أخ شقيق من الأم والأب أي من الحدين الروحاني والجسماني ، وهو هارون أخو لوما .

وكان النمرود أول من تعزز ، وتملك ولبس التاج ، فاتخذ المنعة والحجاب ، وكان اسمه المشتهر في مملكته زهر بن طهجمان ، واسمه في شيطنته عزازيل ، واسمه المتظاهر به النمرود بن كنعان ، وإنما وقعت عليه الأسماء الثلاثة لما نال
/٧٣ المرتبتين الأوليتين في الشيطنة ، والضدية مرتبة الحارث بن مرة ، ومرتبة عوج/بن عناق ، والأبوان اللذان وقع اسم الولادة منهما ، مثل كنعان وطهجمان ، هما اللذان نال منهما حد الشيطنة والضدية ، وزاد مجد نفسه حتى أفضت به الزيادة إلى الملك والرياسة ، وكان ابراهيم صاحب الدور الثالث ، وثالث الآباء ، ومنه افترقت النبوة والإمامة ، وتشعبت في ذريته من اسماعيل ، وهو وصيه واسحاق ؛ فلم تجتمع النبوة والإمامة من بعد ابراهيم في بيت واحد إلى ظهور محمد (ﷺ) .

وأن ابراهيم أول من رفع أركان البيت وشيد حيطانه ، ودعا إليه وأمرهم بأن يأتونه شعثاً من كل فج عميق ، وشرع الشريعة ، واتخذ لوطا ابن عمه حجة ، وأمره بإظهار شريعته في قومه ، وإسقاط ما كانوا عليه من شريعة نوح ، وأقامه في علم التأويل والإشارة إلى إسماعيل وصيه ، وقام يكسر ما هم عليه ويحاجهم بالمسائل الصعبة ، ويدعوهم إلى شريعته ، وكان من أمره معهم ما قصه الكتاب من قولهم من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم عندما رأوا منه ما أبهرهم ، وأنه أتى على رئيسهم وكبيرهم بالإحتجاج والمكاسرة ، حتى رد إليه فاتبعه ، وأسقط ما كان في

---

(١) وأرضعه : سقطت في ب

(٢) وأصبح مؤهلاً للتسليم : التسليم في ب

يده ، وأخذ يتولى عنه المكاسرة والمحاجحة ، وغرضنا إقامة الضد مع الولي ، ومعرفته، و/ كان ضد ابراهيم قد اجتمعت له خصال الضدية والشيطنة التي كانت : في إبليس آدم وفي عناق ضد شيث ، وفي عوج ضد إدريس ، وفي راسب ضد نوح ، وفي حام ضد سام ، وكملت فيه وافترقت في ولده من بعده ، فكانت أضداد ولد ابراهيم منهم بالمناسبة البشرية ، لاختلافهم في الأنساب الحكمية .

٧٤/

وكان ضد إسماعيل وشيطانه وفرعونه من عقب ابراهيم ، وكان اسماعيل ولد له قيدار وهو صاحب المرتبة بعد أبيه إسماعيل ، وأنه ولد لإسماعيل إثني عشر ولداً من مضاض ابنة عمر الجرهمي ، وأن قيدار عمر البيت بعذ أبيه ، وأصل الختان أن ابراهيم اختتن وهو ابن تسع وتسعين عاماً إعلاماً بأنه أمر بكشف التأويل عند كمال تسع وتسعين حداً ، وهو ما قاله رسوله (ﷺ) : (إن لله تسع وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة) . وهذا متى ما حمل على ظاهر لفظه لم يصح إلاّ نقده لذلك[1] نرى في الناس كثيراً من جهالهم وعوامهم ، ومن غيرهم من الملل المتقدمة الذين هم كافرون لتمسكهم في أيديهم ، واعتمادهم عليهم ، وتخلفهم عن اتباع نبينا محمد وكفرهم به ، يحفظون إحصائها بالعدد ، والله أعز وأكرم من أن يحل جنة/على من حرمها عليه بكفره وشركه ، وقد سبق من قوله أن الله لا يغفر أن يشرك به ، فكيف يغفر لهم بإحصائهم عدد هذه الأسماء ؟ وهذا من المحال ، إن لم يكن له تأويل يشده ، ومعنى يتصرف إليه ، لأن رسول الله ما يقول عن الله إلا ما أمره به ، وأطلعه عليه ، والله لا يقول إلا الحق ونحن نذكره في موضعه ، ونبينه بياناً شافياً .

٧٥/

وكان ابراهيم في ابتدائه قبل أن تتصل المواد به ، أو يقع به[2] التسليم أو يبني مستوراً[3] في شريعة نوح ، حتى أصبح[4] له تسع وتسعون داعياً ، منها

(١) نقده لذلك : ناقد في جـ
(٢) أو يقع به : ولا وقع به في ب
(٣) أو يبني مستوراً : ولا بنى مستوراً في جـ
(٤) أصبح : كملت في ب

ثلاثون داعي بلاغ ، فاختتن ، أي أظهر أمره وكشف سره ، وانقطع عن شريعة نوح ، وأقام لنفسه شريعة نسخ بها شريعة نوح ، فكانت شريعته باطن شريعة نوح ، كما أن الكمرة من الذكر تكون تحت الغلفة ، فعندما تقطع الغلفة ، تظهر الكمرة وتبرز .

وأما ختانه لإسماعيل ، فإنه لما تم له المائة نصبه لهم ، وأقامه في منزلة الأساسية بين يديه ، وأمر حدوده المقدم ذكرهم التسعة والتسعين بإقامة الدعوة لإسماعيل ، وكشف أمره بعد استتاره ، فحسده أخوه على منزلته ، وكان يتوهم أنه صاحب المنزلة ، وقد كان سبق هوى ابراهيم إليه وأراد تنصيبه[1] من تلقاء نفسه ،
٧٦/ حتى وقع به الأمر كما حكى ذلك في تنزيله/ على رسوله ، بقوله جل اسمه : ﴿ . . . قَالَ يَا بُنَي إِني أَرى في المَنَامِ أَنِّي أَذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى قَالَ يَا أَبَتِ افعَل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُني إن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[2] . فعني بالذبح تنصيبه وإقامته ، وأما قوله : وفديناه بذبح عظيم ، يعني إقامته في مكانه في منزلة الحججية أحد لواحقه ، والعامة وعلماء الظاهر يزعمون أنه كبش أخرج من الجنة لابراهيم حتى يذبحه فداء لإسماعيل ، ولعمري أنهم أصابوا في ظاهر اللفظ بعض المعنى ، لكنهم عموا عن معرفته وجهلوه ، ولم يعلموا من أراد الله فيه .

وقد ذكر ذلك رسول الله (ﷺ) لما وصف كبش الأضحية فقال : يجب أن يكون في سواد ، ويأكل في سواد ، ويمشي في سواد ، فالكبش دليلاً[3] على المتم ، والسواد هو علم التأويل ، وهو علم مستور لا ينال إلا بالعهود والمواثيق ، محجوب عن كل العيون ، إلا أهله وأربابه .

ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : كل أحد يظلمني حتى أخي عقيل فإنه كان إذا رمدت عيناه ، وأراد أن يذروهما له ، يقول : ما أخليكم تذروا عيني حتى تذروا عيني على قبلي ، ظلماً منه لي وحسداً ، وكان نظير حسد

---

(١) تنصيبه : نصبه في ب
(٢) سورة ٣٧ من الآية ١٠٢ .
(٣) دليلاً : سقطت في ب

أخي اسماعيل له على منزلته الأساسية .

/٧٧ وقد روي أن الحسد مذموم/ في كل المواطن إلا في العلم، والترتب فيه دليل على أن الحسد في درجات العلم ومراتبه محمود ، ومذموم مستقبح في غير ذلك ، فكانت ختانة إسماعيل كشف منزلته في الأساسية ورتبته ، وإظهار حده في الإمامة ، إذ كانت رتبة لا تنال إلا باختصاص ، ومنزلة لا تلحق إلاّ باصطفاء .

وقد كان ابراهيم سأل ربه في إصراف الإمامة حيث ارادته ، بقوله : ﴿ . . . وَمِن ذُرِيتي . . . ﴾[1] فما أعطى سؤاله بل أجابه بقوله : ﴿ . . . لا يَنالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ ﴾[2] أعلمه بأن من ذريته ظالمين ممنوعين من رتبة الإمامة ، وقد قال في اسماعيل ، وما اختصه به من الوصية والإمامة ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً في عَقِبِهِ . . . ﴾[3] فلينظر من له لب وعقل وقلب ، ولينظر من له بصر ، وليعلم من له فطنة وتفكر ، أن نصب الأساس والأئمة في كل دور وعصر إنما هو بأمر الله لا باختيار الناصب ، والمسلم يؤيد ذلك قول الله عز وجل : ﴿ . . . الله أعلم حيث يجعل رسالته . . . ﴾[4] .

وقد روي عن الصادق جعفر بن محمد أنه لما سئل عن الإمام بعده من هو ؟ فقال : يتوهمون أن ذلك إلينا الإختيار فيه ، والله ما هو إلاّ باختيار الله ، واصطفائه . ولما علم الله جل اسمه من خليله ابراهيم ميله إلى إسحق ولده ومحبته
/٧٨ له ، وللسابق في علومهم الجليلة من درجة العقل أمره/ بنصبه في ظاهر شريعته ، وخدمته فيها ستراً على درجة الإمامة والأئمة وأصحاب المراتب والتأييد ، ففعل ابراهيم ذلك عن أمر الله ، وأوصى ابراهيم إسماعيل ولده أن يأمر ولده قيدار بتسليم تابوت السكينة إلى يعقوب ابن عمه اسحق ، وذلك لما سبق في علم الله ، ولعلة نحن نشرحها ، ونبينها بياناً شافياً بحسب الإستطاعة ، والقول .

---

(١) سورة ٢ من الآية ١٢٤

(٢) سورة ٢ من الآية ١٢٤

(٣) سورة ٤٣ من الآية ٢٨

(٤) سورة ٦ من الآية ١٢٤ .

ولقد تقدم آنفاً بأن كان ميلان[1] ابراهيم لإسحق ، واصطفاء الله لإسماعيل ، فلم يجب لإسماعيل أن يسلم ما في يديه من ظاهر شريعة أبيه ، أي لأجل أن لا يقع أنه سلم ، فتبطل دعوته ، وينصرف الأمر عنه ، ولا وجب أن يأمر قيدار ولده بتسليمه إلى إسحق عمه ظاهر شريعة جده ابراهيم ، إذ ليس له القيام بذلك ، ولا هو مؤهل له ، إذ كان الوقت لا يمكن فيه ذلك لاستتار الأئمة ، وكتمان حد الإمامة للأمر المحتوم ، والقضاء المبروم ، وموجب المكتوم .

ولم يمكن أن يترك الناس سدى ، ولا يبقى الوقت بلا قائم لله بحق يدعو الناس إليه ، ويتعبدهم به ، فاستعبدهم بظاهر شريعة ابراهيم ، ورمز لهم بالباطن المكتوم[2] ، وأعلم أن له حاجزاً وحجراً محجوراً ، يعني به العهد المأخوذ ، والميثاق
٧٩/ المؤكد ، فبسط ظاهرها وأظهرها ، وكنى عن باطنها وسترها ، إلا بالعهود/ والعقود ، فكانت وصية اسماعيل بن الخليل إلى ولده قيدار[3] ، وهو أكبر أولاده ، وصاحب منزلته ، وخليفته من بعده ، والإمام والوصي الذي ظهر من الناطق والوحي ، أن يسلم إلى يعقوب ابن عمه تابوت السكينة ، وهو التابوت الذي حوى جسد آدم ، وكان مع نوح في السفينة ، فلذلك وقع بإسماعيل الإختبار ، إذ الإختبار مثل قطع المفاتحة ، إذ لم يتم له مائة داعي .

وذلك أن ابراهيم الخليل لما نصب اسماعيل في مقام الوصية والأساسية ، ومنزلة الإمامة المرضية ، أمره أن يستر نفسه ، ويكتم حده ، ويقيم لاحقه في مقام الإمامة ، ليبين للناس ظاهر ما أتى به الناطق من تنزيل وحي الله ، فكان يعقوب القائم عن قيدار[4] بمرتبة الدين وإقامة الشريعة .

وكان ضده وفرعونه أخوه العيص ، وكان يعقوب لاحقاً ، وكان العيص منافقاً ، وإنما كان العيص قد أهل نفسه لينال المنزلة ، ويبلغها الموضع ، لسبقه بالولادة ، فلما رزقها يعقوب وحرمها العيص ، حسده عليها ، وتعزز عليه ، وقد

---

(١) ميلان : مليان في جـ
(٢) المكتوم : الملكوم في ب
(٣) قيدار : قيذار في ب
(٤) قيدار : قيذار في ب

حكت التوراة أن ابراهيم لما ختن اسماعيل ، يعني أمره بالإنقطاع عن القيام بالظاهر ، لأنه المخصوص بالتأويل الباطن ، كما أن الختانة الظاهرة قطع الجلد الذي يعلو الكمرة ، وتنكشف عن غلفتها ، كذلك وجب انقطاعه عن الظاهر ،
٨٠/ وقيامه بالباطن ختن/|معه أولاد المؤمنين ، وكافة عبيده ، وأتباعه .

وذلك أنه كشف لأهل شريعته أمر اسماعيل أساسه ، إذ هو الوصي بعده ، وأما ختانة ابراهيم لاسحق فهو ما عقد أنه كشف لأهل شريعته أمر اسماعيل أساسه ، إذ هو الوحي بعده ، وأما ختانة ابراهيم لاسحق فهو ما عقد عليه بطاعته لأخيه إسماعيل ، وإقراره بإمامته ، وكذلك فعل ابراهيم في تنصيبيه[1] لوط في منزلة الحجحية ، وأسر ابراهيم إليه بالدعوة لإسماعيل سراً ، على رقبة وخيفة في جزيرته وبلده ، وقدمه إلى إسماعيل ، فأخذ اسماعيل عليه العهد لنفسه سراً ، وعهد إليه أن لا يكشف لأحد إلا بعد اختباره له ، وبعد تأكيد العهود ، فكان لوط أحد لواحق اسماعيل ، وبين يديه يدعو إليه ، فأوصى إليه كذلك ، وجعل وصيه على أهله وولده ، ولم يحرمه من منزلته التي هي له ، لما كان بمنزلة الأم المرضعة له في أيام فرعون ، وضديته .

ولما لم يكن العصر إظهار الأئمة من ولد إسماعيل ، لحالتين : إحداهما غلبة الفراعنة والأضداد ، وإجراء الأمر على ما تقدمت به السنة ، والإستتار للأئمة ، وظهور أرباب الفترات الثلاث ، وقوام اللواحق في مقام الأئمة ، لتتم كلمته ويعلو نوره ، كما قال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفواهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَو كرِهَ
٨١/ الكافِرُونَ ﴾[2] وقوله في ذرية ابراهيم دليل/ على الإمامة في عقبه من اسماعيل ولده ، فقوله : ﴿ وإذْ يَرفَعُ إبراهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإسماعِيلُ . . . ﴾[3] تبيناً للإمامة والأساسية في إسماعيل دون اسحق أخيه ، وقوله : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً في عَقِبِهِ . . . ﴾[4] أعني الإمامة ، إنها في ولد إسماعيل وعقبه ، ولا يخلى أن

(١) تنصيبيه : نصبه في جـ
(٢) سورة ٦١/ ٨
(٣) سورمن الآية ١٢٧
(٤) سورة ٤٣ من الآية ٢٨ .

أضدادهم وفراعنتهم منهم العقب ، مما تقدم ذكرنا له في قصة آدم ، وأنه مجبول من طين خبيث ، وطيب مخلوق منهما ، فما كان من الشره ، والحسد ، والحقد ، والكفر ، والشرك ، والنفاق ، والمروق ، والنكث ، والفرعنة ، والضدية ، والشيطنة ، وغير ذلك مما هو منسوب إلى هذه الأشياء ، فمن الصعيد الخبيث المهازج للطيب ، وما كان من الصدق والوفاء ، والأمانة ، وفعل الخيرات ، وإقامة الصلوات والزكاة ، والطاعة ، والرضاء ، والولاية ، وما أشبه ذلك من مكارم الأخلاق فمن الصعيد الطيب المهازج للخبيث في الخلقة ، فلذلك قام الضد من الولي ليميز الله الخبيث من الطيب ، فكانت الكلمة الباقية التي هي الإمامة في عقب إسماعيل ، وكانت البركة والسكينة اللذين هما ظاهر الشريعة في عقب يعقوب بن اسحق ، والحالة الثانية لتنتهي البركة في ولد اسحق بإظهار الشرائع ، وتمام الأدوار ، فلذلك صار ولد اسحق لواحقاً ، وأبواباً لولد اسماعيل .

وقد ذكروا في التاريخ والسير أن الله ع . ج لا يقبل توبة نبي ولا اصطفاء
٨٢/ ولي ، ولا إقامة وصي ، ولا/عمل طاعة من عامل ولو تقطع في العبادة والإجتهاد ، إلاً بولاية علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فمن أتى بغير ولاية علي أسقط نبوته ووصيته وولايته وضاع عمله ، ولا زكى له عمل ، وعلي من ذرية إسماعيل ابن ابراهيم لا من ولد اسحق ، وأي فضل أعظم من هذا الفضل الذي ما له شريك فيه ، بل هو خصيص به وحده ، فكما أن الله واحد فرد صمد لا شريك له فيه ولا صاحبة له ولا ولد، كذلك علي واحد في فضله أحد فرد صمد لا شريك له فيه وليس له كفو أحد ، بل الأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله ، كلما قام إمام منهم واحد زمانه أحد فيهم لا شريك له ، فرد صمد ليس له كفو أحد إلى حيث انتهى بنا القول من ذكر الحالة الثانية ، واللحوقية التي قامت بها النبوة والرسالة من ولد اسحق .

وقد ذكرنا من أمر يعقوب وتسلمه تابوت السكينة هو ظاهر للشريعة ، لأن التابوت يحوي ما في جوفه ويحوطه ، ويصونه ويستره ، كما جاء في قصة موسى لأمه فاجعليه في التابوت ، فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ، يعني أودعيه علم التأويل

فإذا أنت خفت أن يبديه قبل أوانه ، فيكون في ذلك هلاكه فالقيه في الظاهر ، أي اذني في الكلام بالظاهر المتعارف وليستر به ما أودع من علم التأويل ، فقام يعقوب
٨٣/ بظاهر ابراهيم ، والخبر المشهور في التوراة والسِّيَر بأن ابراهيم/أخذ عهد الله وميثاقه على اسحق وولده من بعده ، بإقامة الدعوة الباطنة لإسماعيل وولده من بعد ما تعاقبوا إلى قيام قائمهم .

وكذلك أخذ عهد الله وميثاقه على إسماعيل أن يسلم ظاهر شريعته ودعوته الظاهرة لاسحق وولده ، وأن يوصي ولده بذلك ، وأن يأخذ السلف في ذلك عن الخلف ، وبالوفاء بعضهم لبعض إلى أن يقع التسليم من الفريقين إلى القائم من ولد اسماعيل ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فيتسلم عند ظهوره المنزلتين منزلة التأويل من آخر دور ، ومنزلة ظاهر الشرائع من آخر لواحق ولد اسحق المشار إليه بأنه متم دور المسيح ، وكان اسماعيل تسلم من أبيه ابراهيم الأساسية والإمامة والتأويل ، فكانت كلمة باقية في ولده من بعده ، وتسلم اسحق من أبيه ابراهيم أمر النبوة والتنزيل فكان ذلك حال باق في ولده من بعده يتوارثونه إلى ظهور صاحب المنزلتين من اسماعيل واسحق ، وكانوا أولاد اسحق مستودعين ، وكان أولاد اسماعيل مستقرين ، لأن الأمر إليهم رجع ، وفيهم نجع ، وهم العقب أصحاب الكلمة الباقية ، والجواب من الله ع .ج لابراهيم لما قال له : ﴿ . . . إني جَاعِلُكَ
٨٤/ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِيتي . . . ﴾[1] فعلم الله/ موضع هواه في اسحق فقال : ﴿ . . . لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ ﴾[2] إعلاماً بأن الظالمين من ذرية ابراهيم غلو أرباب الكلمة الباقية في عقبه الذين يرجع الأمر إليهم ، واجتمع فيهم ففعل يعقوب بأمر الله ووحيه وتسلم التابوت من ابن عمه ، وأحيا[3] شريعة جده ابراهيم ، ورزق إثني عشر ولداً أصغرهم يسمى يوسف ، وكان يعقوب قد استهتر به وآثره على أولاده ، وأخذ عليهم العهد المتقدم ذكره لولد اسماعيل بالإقامة ،

---

(١) سورة : ٢ من الآية ١٢٤
(٢) سورة : ٢ من الآية ١٢٤
(٣) وأحيا : وحياه في جـ

وإقامة الدعوة الباطنة وكشف له عن المرتبة ، وأمره بالكتمان والستر وقال له : (يا بني إنه سر الله أودعك إياه وأئتمنك عليه ، فاحذر أن تبديه لأحد ، وراعِ عهد الله في ذلك) . وكان ما قصه الله في تنزيله .

وكان ضده وفرعونه (لابان) أخوه ، لموضع حسده له على منزلته ، وعرضنا الذي قصدناه وبينا عليه كتابنا هذا ، وإنما ذكرنا ذلك تبياناً للحجة ، وإقامة الدليل ، لما أردنا شرحه وبيانه ، واشتهار قصص ولد اسحق وفراعنتهم وأضدادهم ، وامتحانهم يغني عن ذكره في كتابنا هذا ، وقد كشفنا منه بقدر الإجتهاد والطاقة والإستطاعة ، وإمكان الوقت في كتابنا الذي ترجمناه (رسوم
٨٥/ الدين إلى معرفة/ التأويل)[1] . . . بالقول إلى حد الإمامة من ولد إسماعيل ، وانتقالها منَ إمام إلى إمام ، وكذلك الضدية وانتقالها من ضد إلى ضد . . . والله الموفق للصواب والهادي إلى حسن الإعتقاد .

إن قيدار لما قدم على ابن عمه يعقوب بأرض الشام ليسلم إليه التابوت كما تقدم ذكره ، وكان قيدار قبل ذلك الوقت يرى بين عينيه نور شعشعاني مشرقاً يتلألأ لا يكاد أحد أن يملأ عينيه من النظر إليه من ضياء نوره وبهائه وهيبته وعظمته وذلك نور الإمامة بين عينيه لم يرد كما عهده ، فقال له : يا ابن عم واقعت أهلك قبيل خروجك إلينا ؟ فقال : نعم . فحبس يعقوب كلامه عنه ، وعلم أن نور الإمامة قد انتقل منه فأخفى يعقوب ذلك في نفسه ، ولم يبح به ، ولا أطلع عليه أحداً ، وقبل من قيدار ما جاء به من ظاهر أمره ، وستر عن الخلق ما رآه من قدومه وتسليمه ليعقوب التابوت .

وإن اسماعيل كان له اثني عشر ولداً عظيماً فكان العلم والإمامة والحكمة ونور الإله الأعظم المتوارث من آدم اجتمع في قيدار بعد أبيه اسماعيل الذي هو
٨٦/ أساس ابراهيم ، ووارث علم النبيين والوصيين/ والأولين والآخرين ، وإن ذلك

---

(١) هذا الكتاب مفقود ولم نعثر عليه رغم تنقيباتنا الكثيرة .

النور لم يزل ينتقل والعلم ينمو وينبسط ، وميراث الإمامة يستمر ، فانتقل ما كان في قيدار من الإمامة إلى حمل ولده وهو أكبرهم ، فنال مرتبة الإمامة ، وكانت العرب عن بكرة أبيها على ما كانت عليه من عبادة الأصنام يتحاكمون إلى حمل ، ويشاورونه ويقتدون به ، ويصدرون عن رأيه .

وكان يحكم فيهم بشريعة جده ابراهيم ويسمونه قاضياً ، ونور الإمامة يتلألأ بين عينيه ، وحسده أخوه على المنزلة إلى حين أوان نقلته ، فسلمها إلى ولده سلامان ، وافتقد النور فوجده قد بان عنه واتصل بسلامان ، فقام في الناس قاضياً يحكم فيهم بشريعة جده ابراهيم ، والناس يفزعون إليه ويتحاكمون عنده .

ولم يرزق إلا ولداً واحداً ، وكان عمه صنو أبيه الذي كان عدو الله وضده ، وعدوه هو أيضاً وضده ، فأوصى إلى ولده نبت بالإمامة وسلم إليه المرتبة ، فكان نبت على ترتيب ما رتب إياه له ، وأن نبت رزق خمسة أولاد كتم أمره عن أربعة منهم ، ونص على الخامس وهو أكبرهم منزلة وأعلاهم رتبة ، وهو الهميسع فأودعه من حد الإمامة ما ستره عن إخوته ، وأمره بتسليمها إلى صاحبها من ولده من
/٨٧ بعده ،وهو أدد بن الهميسع فقام/ بها أدد بعد أبيه على منهاج من تقدمه يحكم بحكم ظاهر شريعة ابراهيم ، وأمره بتسليم ما في يده لولده آد .

ولم يكن له ولد غير آد ، فلم يزل عنده ذلك النور يضيء بين عينيه ، وأعقب آد ستة أولاد فسلمها إلى ولده عدنان عند انتقال النور إليه وهو أكبرهم ، فحسده أخوه على المرتبة ، وكانت العرب تحتكم إليه ، ويستشيرونه وتصدر عن رأيه وأمره ، وكان عصره عصر فترة ، وأخفى أمره ، وستر نفسه وخرج من مستقره إلى الشام مهاجراً عند الخوف ، كما خرج رسول الله محمد بن عبد الله من مستقره ومولده مهاجراً إلى دار هجرته ، وهو الإمام في عصر موسى وثقته ، وهو صاحبه .

وكان شعيب لاحقه وبابه وحجته صاحب فترته وستراً عليه ، وهو المخاطب لموسى من الشجرة بلسان حجته وبوساطته ، وهو ممتحنه بالخضر ، وهو حجته ،

وهو العبد الصالح ، وكان آد يؤثر عدنان على أولاده الستة لموضع نور الإمامة الذي بين عينيه ، وهو رابع الأئمة من إسماعيل صاحب القوة والنور ، لأن سادس الأئمة أبداً متم ، والسابع صاحب النور والقوة ، فلما حضرت آد النقلة سلم لولده عدنان وأوصاه أن يكتم ما أودعه إياه من الإمامة ، وتقدم إليه ألا يذيعه إلا لمن يثق
٨٨/ به *إلى أن يؤهل صاحبها ، وكان عدنان مارزق/ولداً ذكراً فأعقب بعد كبر سنه* بمعد ، وقد قربت نقلته فأوصى إليه أن يخفي أمره ، ويكتم سر الله حتى يدفعه للإمام من عقبه ، فأعقب معد ثلاثة أولا ، أحدهم نزار وارث مقامه ، والإمام بعده .

وكان كل واحد منهم يُدعى في عصره قاضياً ، يفزعون إليه في أحكامهم ويطيعونه في أوامره ونواهيه ، ويهابونه ويكبرونه لما أوقع في قلوبهم من الهيبة والإعظام ، ولم يزل نزار تحت الإستتار والخفية عن أضداده ، وتظاهر الفراعنة عليه ، فكان عصره عصر فترة وترقب ، إلى حين أوان نقلته إلى رضوانه ورحمته ، فسلم إلى ولده مضر ، وكان قد قرب ظهور المسيح عيسى بن مريم ، ولم يزل مضر مستتراً إلى أن أعقب بالياس فسلم إليه الإمامة ، وأعلمه بسر الله ، وأوصاه بكتمان أمره ، فلم يزل تحت التقية مستتراً لقوة الفراعنة المتغلبين .

ولم يرزق ولداً غير مدركة فسلم إليه ميراث النبوة ونور الإمامة ، منتقل بين أعينهم خلفاً عن سلف ، وأعقب مدركة بخزيمة وثمانية أولاد ذكور ، فظهر في عصره فراعنة دور المسيح عيس بن مريم ،وأظهروا الفساد والقتل ، فخاف خزيمة على نفسه فاستتر واختفى ، وأقام لاحقه في مقامه إخماداً لأمره ، وهو زكريا كافل
٨٩/ مريم ومربيها ، وإن مريم كانت حجته وبابه ، وإن رسول الإمام اجتمع/بها وفتح عليها ، وبشرها بظهور المسيح منها ، وإنه صاحب العصر ، وهو ما حكاه الله ع .ج بقوله : ﴿ . . . فَأَرسَلنا إِليها روحَنا فتَمثَّل لَهَا بَشراً سَوِياً . قالَت إني أعُوذ بِالرَّحمنِ مِنكَ إن كُنتَ تَقياً . قَالَ إنما أنا رَسُولُ رَبِّك لأهَبَ لَكَ غُلاماً زَكياً ﴾[1] إلى

(١) سورة : ١٩من الآية ١٧ ، ١٨ ، ١٩

آخر الآية . فأنالها من علم التأويل ما لم يصل إلى زكريا علمه ، ولا وقف عليه ولا علمه ، وهو ما حكاه الله ﴿ . . . كُلَّما دَخَلَ عَلَيها زكَرِيا المِحرابَ وَجَدَ عندَها رِزقاً قالَ يا مَريَمُ أنّى لَكِ هَذا قالَت هُوَ مِن عِندِ اللهِ إنَّ الله يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ ﴾[1] فتعجب من قولها هو من عند الله ، وإنما عنت به رسول الإمام وداعيه إليها .

وقد شرحنا هذه القصة شرحاً شافياً في كتاب (أصول الدين بمعرفة التأويل) . لم يمكن ظهور الإمام لكثرة الأعداء وتظاهرهم ، فلما ظهر عيسى وأرسل قام بشريعته وحرص في سياحته ، واجتهد في طلبه الإجتماع بالإمام ، كما اجتمع موسى بإمام عصره فلم يقدر عليه ، ولا استطاع وجوده ، فلذلك لم يقم له دعوة ، ولا كانت له دار هجرة ، ولا كملت له منزلة ، ولم[2] يجتمع بإمام زمانه ، ولا نصب له دار هجرة ، وأعقب خزيمة بخمسة أولاد ، أحدهم كنانة سلم إليه العلم والميراث ، وظهر النور بين عينيه ، فأظهر الدعوة في عصره في العرب فتقربت
/٩٠ إليه وأطاعته ، وأعقب/ كنانة بثلاثة أولاد ، فكان الأمر في النضر ولده دون إخوته وأخفى أمره عن إخوته وكتمه عنهم[3] إلى حين أوان نقلته .

وأعقب النضر بمالك وحده ولم يرزق ولداً غيره ، وأعقب مالك بفهر ولم يعقب لمالك غيره ، وانتقل النور بين عيني فهر بغالب وحده ولم يرزق ولداً غيره ، وانتقل النور إليه وأعقب غالب لؤي وحده ولم يرزق غيره وانتقل النور إليه وأعقب لؤي بكعب وحده ، وكان كعب أقواهم نوراً وأكثرهم هيبة ، قد أذعنت له وانطاعت لأنه سابع أئمة دوره ، وأعقب كعب بولده مرة وثلاثة أولاد ، فكتمه وأخفى أمره عنهم إلى أن حضرته النقلة فسلم إلى ولده مرة ما كان عنده ، فأعقب مرة بكلاب ، فأقام في رتبة الإمامة .

وتسلم من أبيه المنزلة وانتقل النور إليه وأعقب بقصي وولدين ، فسلم إلى

---

(١) سورة ٣ من الآية ٣٧
(٢) ولم : ولا في جـ
(٣) عنهم : منهم في جـ

قصي ميراث الإمامة وانتقل النور وقويت الأضداد في عصره وقرب انقطاع شريعة عيسى ، وأعقب بعبد شمس وعبد مناف فتحاسد الإخوان وتضادا فظهر النور في عبد مناف وتسلم المنزلة من أبيه قصي ، وقوي حسد أخيه عبد شمس له ، فأضمر له السوء والعداوة ، وأعقب عبد مناف بإبنه هاشم واسمه عمرو ، وهو هاشم الأكبر ، واسمه أيضاً العلا ، فتغلب على سائر العرب وسادها وشرف عليها ،
٩١/ وانطاعت له وانقادت له ، وكانت له سدانة البيت ، والطواف حول/ البيت ، وميراث زمزم .

وكان لقصي اثني عشر ولداً ذكر اسباطاً شبيهاً بأولاد قيدار بن إسماعيل الإثني عشر اسباطاً ، وشبيهاً بأولا يعقوب بن اسحق اثني عشر اسباطاً ، والإثني عشر أولاد قصي أفخاذ قريش ، فكان ولد يعقوب إثني عشر إسباطاً أحدهم الولي ، وهو يوسف ، والباقون له أضداد .

وكذلك ولد قيدار إثني عشر اسباطاً واحد منهم الولي ، وهو الحمل والباقون له أضداد وحساد ، وكذلك قصي له إثني عشر ولداً منهم الولي وهو عبد مناف والباقون أضداده وحساده ، وكان هاشم قد تسلم ميراث النبوة من متم آخر دور المسيح من ولد إسحق فصار إليه الحدان النبوة والإمامة ، وسلم إلى عبد المطلب ما صار إليه من منزلة النبوة والإمامة فأقام عبد المطلب في حد النبوة والإمامة اثني عشر نقيباً منهم عمر بن نفيل ، وأُبيّ بن كعب ، وزيد بن عمر ، وعبد الله بن عثمان ، وحارث بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب ، والزبير بن عبد المطلب ، وأبو طالب ، وهو عبد مناف بن عبد المطلب ، وعبد الله بن عبد المطلب ، وصهيب الرومي ، وزيد بن أسامة ، وورقة بن نوفل .

وكان اسم عبد المطلب عامر وشيبة ، وإسم أبي طالب عمران وعبد مناف وذو الكفل ، فسلم عبد المطلب ما أصاره الله إليه في حياته إلى ولده عبد الله ،
٩٢/ فتسلم عبد الله منزلة النبوة ومنزلة الإمامة، وانصرفت عن عبد المطلب/وزالت عنه موادها ، فلما حضرت عبد الله الوفاة بعد ظهور محمد ولده ، ولم يكن رجوعها

القهقرى ، أحضر أخاه أبا طالب وكان شقيقه ، وكانا توأمان ولدا في بطن واحد سبعة أشهر فنص عليه ، وأوصى إليه واستكفله لمحمد ولده ، وسلم إليه المنزلتين ، فسمى أبو طالب ذو الكفل لكفالته محمد (ﷺ) ، فلم يزل في كفالته إلى حين انتقاله إليه .

واستخدم أبو طالب بين يديه في مرتبة الحجية خديجة بنت خويلد ، وميسرة ، وبحيراء ، والمرقال ، ولم يكن له اثني عشر نقيباً ، إذ كان صاحب وديعة كما جرى في عصر موسى بانتقال أخيه ووصيه هارون في حياته ، فلم يكن رجوع الأساسية القهقرى ، ولم يكن له ولد إسحق المنزلة فاستخلف يوشع بن نون ، وأوصى إليه وجعله في مقامه ومنزلته ، إلى أن يكبر صاحب المنزلة من ولد هارون فيتسلمها ، فكان يوشع مستودعاً ، وكان الرسول يقول : تسلمت من خمسة ، وسلمت إلى خمسة ، فذهب أكثر الشيعة إلى أنه عني الحدود الروحانية المسمون بالسابق ، والتالي ، والجد ، والفتح ، والخيال .

وهذه الأسماء واقعة على العدم ، وحاشا رسول الله أن يحيلنا إلى العدم وقد
٩٣/ أشار إلينا في بعض كلامه بأن هذه/ الحدود المتقدم ذكرها أنها موجودة مشاهدة ، وذلك قوله : إذا رأيتم دحية الكلبي عندي فهو جبرائيل يأتيني في صورته ، فدل بإشارته بوجود الحدود في حال التجسيم المشهود ، وإنما عني بالخمسة الذين تسلم منهم ، زيد بن عمرو ، وعمرو بن نفيل ، وميسرة ، وخديجة ، وأبا طالب ، مطبقين في التربية حداً فوق حد كما وقع التطبيق بالخمسة الروحانية ، السابق والتالي والجد والفتح والخيال ، حداً فوق حد فأعلاهم حداً وأرفعهم منزلة السابق ، وأدناهم حداً وأقلهم منزلة الخيال المتصل بالناطق ، فأبو طالب على السابق ، وخديجة على التالي ، وزيد بن عمرو مثل الجد ، وعمرو بن نفيل مثل الفتح ، وميسرة مثل الخيال .

وقد كشفنا من علم ذلك ما أمكن كشفه ، ومثلها في الإنسان العقل ، والنفس ، والذكر ، والذهن ، والفكر . فالعقل هو السابق والنفس هي التالي

والذكر هو الجد والذهن هو الفتح والفكر هو الخيال ، فلما تسلم الرسول المرتبة واتصلت به المواد العلوية وقام بمجد النبوة ودعا قومه إلى طاعة الله والإيمان به ، فأظهر له ضده وعدوه الحسد ، وقد كان له فرعونان ضدان أحدهما قوي وهو أشد
٩٤/ فرعنة وعنوا لأنه كان يدّعي منزلة الإمامة ، وقد/نصب نفسه فيها يدعو الناس إلى نفسه ويصدهم عن طاعة ربهم ، ويسول لهم سوء أعمالهم ، فرأوه حسناً ، وهو عبد العزى ، والآخر أبو جهل بن هشام .

وقد أنزل الله فيهما تنزيلاً خصهما به وقد كان رسول الله يقول : لكل نبي شيطان ولي شيطانان ، يعني أبا جهل ، وعبد العزى ، وقد تقدم قولنا في أول كتابنا هذا أن ضد كل نبي منه قال الله تعالى : ﴿ . . . إنَّ مِن أزواجِكُم وأَولادِكم عَدُواً لَكُم فاحذَروهم . . . ﴾[1] ﴿ وَمِن شرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾[2] فكان عبد العزى فرعون رسول الله وضده ، والباقون أتباع له في العداوة والضدية ، وكان عبد شمس فرعون عبد مناف وضده ، والباقون أتباع له في العداوة والضدية ، وكذلك فريد فرعون قيدار وضده ، والباقون أتباع له في العداوة ، وكذلك لا بأن فرعون يوسف وعدوه ، والباقون أتباع في العداوة .

وكان صخر بن حرب ، وأُبيّ بن خلف ، وعبد اللات بن عثمان ، وعمرو ابن الإعرابي ، وعمرو بن عبدود ، والأسود بن الأسود ، والعاص بن العاص ،
٩٥/ والحكم بن العاص ، / حجج عبد العزى وأبوابه في العداوة والضدية ، وهم المؤلبون على رسول الله ، والواثبون عليه .

وقد كان عبد العزى هرب إلى هرقل ملك الروم لأن الزبير بن عبد المطلب أراد قتله لما ظهر منه الشيطنة واللعنة ، وأن الزبير سار في طلبه حتى وصل إلى هرقل وسأله أن يسلمه إليه فاستوهبه منه هرقل وسأله أن لا يقتله ، وكان محمد متسلم المنزلتين ، منزلة النبوة والرسالة من ولد اسحق ، ومنزلة الإمامة والأساسية من ولد

(١) سورة : ٦٤ من الآية ١٤
(٢) سورة : ١١٣/ ٥

اسماعيل ، فكان الرسول سادس دور اسماعيل ، وسابع أئمة دور المسيح .

وقد كانت العرب تقول في عبد المطلب واسمه شيبة الحمد وعامر ، وفي عبد الله أبو رسول الله ، وفي أبي طالب عبد مناف أنهم سحراء ويرمونهم بالعظائم الباهرة ، لموضع اتصال التأييد ، وقد روي أن أُبيّ بن كعب أول من عقد على محمد ، وأول من سلم إليه قبل عمرو بن نفيل ، وأنه هو الذي رفعه إلى عمرو بن نفيل ، وأنه كان عارفاً بمجد ومنزلته ، لأنه كان يقيم الدعوة في دور المتم ، وأن بحيراً كان أحد دعاته السيارة ، وهو المسلم إلى رسول الله (ﷺ) حد النبوة
٩٦/ والرسالة، وما كان في يد ولد إسحق كما تسلم من أبي طالب حد ما كان/ في يد ولد اسماعيل من الإمامة والأساسية ، فكان نبياً ورسولاً وأساساً وإماماً .

وقد كان الرسول يمدح أُبيّ في كل أوقاته قبل مبعثه وبعد مبعثه ، ويقول : أقرأكم أُبيّ ، يعني أنه كان يقري بالعلم ويؤمن كما يقري أحدهم ضيفه في الطعام والشراب ، وقد روي عنه أنه قال : أقمت مع جبرائيل سنين ، وأقمت مع ميكائيل عشرين سنة ، يعني بمقامه السنين مع أُبيّ بن كعب المشار إليه باسم جبرائيل حتى إذا استفرغ وعاءه ، وأخذ جميع ما عنده رفعه إلى زيد بن عمرو ، والذي وقع عليه اسم ميكائيل فأقام معه عشرين سنة التي ذكرها ، فلما استفرغ ما عند زيد وتسلم ما عنده رفعه زيد إلى حجة الوقت وهي خديجة ، وعند تسليمه من خديجة كان أوان بلوغ أشده ، وذلك أنك إذا عددت آدم ووصيه وستة أئمة دوره ، ونوح ووصيه وستة أئمة دوره ، وابراهيم ووصيه وستة أئمة دوره ، وموسى ووصيه وستة أئمة دوره ، وعيسى ووصيه وستة أئمة دوره ، كان عددهم أربعين حداً ، وكانت خديجة خاتم الأربعين ، كما قال الله عز وجل : ﴿ ... إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَربَعينَ سَنَةً ﴾[1] فصار محمد المتسلم من الأمر عندما بلغ حده من النبوة
٩٧/ والرسالة ، فقام محمد/ بحده وألف شريعته بعد تسلمه من خديجة ، وشهادته على نفسه بذلك ، فدعا الناس إلى ظاهر شريعته ، وأقام فيهم أحكام الدين كفعل من تقدمه .

---

(١) سورة : ٤٦ من الآية ١٥

وكان قوله : تسلمت من خمسة ، يعني تسلمه على الترتيب الذي ذكرناه ، وذلك ما روي أن خديجة أسلمت يوم الإثنين مع الظهر ، وهو اليوم الذي بعث فيه الرسول واتصلت به المواد ، وأسلم علي يوم الثلاثاء مع الظهر ، وكان بين إسلام علي وإسلام خديجة خمس صلوات تجمع أربعة وعشرين ساعة ، وعلة ذلك أن عليا تسلم من الرسول ما تسلمه الرسول من خديجة ، فكانت خديجة مسلمة له مراتب حدود النبوة والرسالة ، فتسلم الرسول من الخمسة الذين أقامهم مقام الصلوات الخمس ، الذين بين إسلام خديجة وبين إسلام علي على الحدود الأربعة ، النبوة ، والرسالة ، والأساسية ، والإمامة .

وهو ما روي أنه كان شاطره ، أي أنه أناله نصف ما ناله الرسول قال الله الكريم : ﴿ قَد نَرى تَقَلُّبَ وَجهِكَ في السَّماءِ فَلَنُوَلِيَنَّكَ قبلةً تَرضاها فَوَلِّ وَجهَكَ شطرَ المسجِدِ الحَرامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّواْ وُجُوهكُم شَطرهُ . . . ﴾[1] فقوله لرسوله
٩٨/ قد نرى تقلب/ وجهك في السماء ، عني به توجهه في مرتبة النبوة والرسالة من إمام العصر المسلم إليه ، لأن الإمام مثله مثل السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، وهذا خطاب الإمام له لما سلم إليه المراتب الأربعة التي تقدم ذكرها ، قال له لاختارت لك من ترضاه يكون وزيرك ووصيك وقسيمك في المراتب ، ولا وقفتك على مرتبة ابراهيم مع مقاسمته لإسماعيل الذي رفع معه قواعد البيت كما عمل ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، فعني بوجهه علي وصيه ، وبالشطر نصف ما اتصل من المواد التأييدية من الكلمة بوساطة الجاري ، والمسجد الحرام ابراهيم لأنه قسم بين ولديه اسماعيل واسحق بظاهر شريعته وباطن تأويله ، فأقام النبوة والرسالة في اسحق وولده .

وأقام الأساسية والإمامة في إسماعيل وولده ، فافترق ما كان مجتمعاً في ابراهيم الخليل في ولديه ، ولم يتفقا في واحد بعد ابراهيم إلا في الحسين بن علي وابن فاطمة بنت الرسول ، فكملت في الحسين كما كملت في ابراهيم فكان تسليم

(١) سورة : ٢ من الآية ١٤٤

الرسول يعني شطر ما تسلمه وهو حد الأساسية والإمامة ، فكان متسلماً مسلماً
٩٩/ بإقامة خمسة حدود بين/ [1]المسلمين ، وكان تسلمه من الحدود الممدة له الأربع
مراتب : النبوة ، والرسالة ، والأساسية ، والإمامة .

وكان تسليمه لمن هو مستفيد منه مرتبتين ، مرتبة الأساسية ، ومرتبة
الإمامة ، ولذلك كان يقول : علي مني كمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي
بعدي . إعلاماً به ما سلم مرتبة النبوة فكانت الأساسية والإمامة شطر ما سلمه
فألف الشريعة بعد تسلمه ، ودعا الناس إليها ، وأقام فيها أحكامها ، وجاهد
عليها من أباها ، كما فعل من تقدمه من النطقاء الماضين ، فلما نصب شريعته
وقامت أحكامها بالسيف والسوط ، والرهبة والرغبة ، والوعد والوعيد ، وقتل
الأنفس ، وغنيمة الأموال ، وسبي الزراري والأولاد ، وأخذ الجزية من أهل
الكتاب عن يد ، وهم صاغرون .

ولم يبق مجهود إلاً بلغه ، ولا أبقى غاية إلاً عملها ، ولم تأخذه في الله لومة
لائم ، وقع به التعنيف ، وخوطب بالوعيد والترهيب ، وقيل له جميع ما شرعته
وأقمته وبلغته وبنيته ما بلغت عن الله رسالته ، إن لم تقم وصيك علياً علماً وتنصبه
لك أساساً وحكماً ، وتشهر مقامه ، وتوجب طاعته ، وتبين مرتبته على رؤوس
الإشهاد حيث يسمع الحاضر والباد ، فإن لم تفعل فما بلغت رسالة ربك ، ولا
١٠٠/ نفعك إقامة شريعتك، ولا أغنى عنك فرائض ملتك وسننك ، / ومحيت من ديوان
النبوة ، فنصب علياً أساسه ، وجعله وصيه وإمامه ، وأخذ على الناس بيعته ،
فدل على أنه لا دين لله إلا بطاعة علي وولايته ، ولا نعمة إلا مودته ومحبته ، فلم
يغن الأمة ما شرع لهم الرسول ، ولا قبل منهم فرض ولائه ، ولا عمل مفترض إلا
بطاعة علي زوج البتول ، وموالاته ، ومحبته .

ولذلك نصب عليا وأقامه بعد خطاب تهديد ووعيد ، وكان الخطاب له بعد
نصبه لعلي وإقامته إياه خطاب ترغيب ، بقوله في الخطاب الأول : ﴿ يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ . . . ﴾[1] ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المهات ثم لا تجد لك علياً نصيراً .

وكان خطابه بعد نصبه قوله : ﴿ . . . اليَومَ أَكمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُ الإِسلاَمَ دِيناً . . . ﴾[2] وقد كانوا مسلمين قبل نصب الرسول لعلي في مقام الأساسية والوصية ، فلم يكمل لهم إسلامهم ، ولا تمت نعمته عليهم ، فكانوا تحت النقص والتقصير ، وقد كانوا قائمين بشريعة الرسول ومحافظين على تلاوة التنزيل ، حتى والوه وأطاعوه ، وأحبوه وتبعوه ، فتمم دينه ، وأكمل تقصيرهم ، وثبت تنزيلهم باعتقاد التأويل والرضى بالوصي والتسليم له ، وأن الرسول لما علم أن لا ولد له يرث مقامه ، / وخاف أن تخرج الإمامة من عقبه ، زوَّج لعلي ابنته ، لتكون الإمامة والوصية باقية في عقبه .

ولذلك حكم فرعون هذه الأمة وطاغوتها بأن النبوة لا تورث ، لأنه كان عارفاً بشريعة عيسى ، وخدم في دوره ، وعطل عبادة الأصنام بزعمه ، وتأهب للأمور ، وظن أنه هو فأخرجه ظنه من الشرك إلى الكفر ، ولما لم يصل إلى ما أمله ، ولا رضي به ادعى المنزلة لنفسه ، وطلب الرتبة بغير حق وجب له ، وساعده شيطانه على ذلك وعاضده عليه ، فتشيطن وبغى وتمرد ، واعتدى .

وقد كانت سبقت له بذلك سابقة في الفرعنة لأنه كان أخذ حجج فرعون الناطق أكبرهم منزلة عنده قبل ظهور الناطق سبق إليه وهمه ، وحقق له ظنه ، أن ذلك صاحب رتبة الإمامة ، وأن لقوته معه وخدمته له لما سبق إليه أن يؤهله لها من بعده ، فلما بعث الرسول ونطق بالتبليغ ، أن من مكره وشره أن يتبع الرسول ويخدم بين يديه ، فقال لفرعونه وإمام ضلالته الذي كان تابعاً له ، وكان بين يديه في منزلة الحجية ، أن بن أخيك قد ظهر بنا وبك في الرتبة ، ويدعوك أنت وعشيرته إلى اتباعه/ وطاعته .

(١) سورة : ٥ من الآية ٦٧ (٢) سورة ٥ من الآية ٣

وهذا الأمر فهو فيكم بني عبد المطلب لن يعدوكم ، لأنكم المخصوصون به ، وقد رأيت أن أمضي إليه وأدخل في شريعته دخول استخبار ، فإن يكون هو المراد لن يفوتني الدرجة التي أملتها ، وإلا بلوته واختبرته وراجعتك ، وإنما أعلمتك بذلك ليكون ذلك موادعة بيني وبينك وبين قريش كلها ، ألا أشهر في وجوههم سيفاً ، ولا أشرع في نحورهم رمحاً ، ولا أضمر لهم عداوة ، فوادعه على ذلك .

وأتى رسول الله (ﷺ) وأسلم على يديه ، وهو أول من أسلم بعد علي على ما جرى به النص ، فدليل ذلك أنه ما رأى من أيام رسول الله كلها في حربه وغزواته جرد سيفا في وجه قريش ولا غيرها ، ولا بارز أحداً ، ولا كان لهم إلا سلماً ، ولا أثر فيهم ولا أثروا فيه ، للموادعة التي كانت بينه وبينهم ، فحفظ لهم ذلك وحفظوه له ، لأن يتوهم أن أمر الرسول لا يتم ، فلما تم أمر الرسول وقويت قوة الإسلام ، ورأى عبد العزى إلى محاق وتلاشي ، طلب مرتبة الإمامة لنفسه وسعى واجتهد ، فلما نصب الرسول وليه ووصيه وسلم إليه المرتبة وأقامه في المنزلة ، تفرعن وطغى ، وتمرد وعصى ، وتوثب على المنزلة وادعى المقام والرتبة ، ١٠٣/ واتبعوه على ذلك، وانقادوا له كما فعل فرعون موسى الوليد بن/ مصعب بموسى، طغى عليه وتفرعن ، وذلك أنه كان أحد حجج إمام زمانه ، وأرفعهم منزلة في العلم .

وكان أعلى الحجج منزلة ، فلما غاب الإمام ورأى أن ليس في عصره أقعد بالأمر منه لحد استتار الإمام وظهور الفترة ، وطلب المنزلة ، وادعى المرتبة ، ودعا الناس إلى نفسه ، فأجابوه وأطاعوه ، واستقدر على موسى وبغى عليه حتى أقدر الله موسى وأعلى كلمته ، وأظهر حجته ، وأهلك فرعون وجنوده ، وإنما شرحنا هذا استقصاء للحجة فيهم ، وإعلاماً أن ضد كل ولي من أخيه ، فكان عبد العزى ضد أخيه عبد مناف صاحب المرتبة والمنزلة ، كفيل محمد ومربيه ، حسداً منه على ماخص به من الإمامة والكفالة ، فأضمر لأخيه العداوة ، واستجلب عليها بخيله ورجاله ، وآزره على ذلك أبو جهل وعاضده .

واستنصر صخر بن حرب واستعانه لعلمه بعداوة عبد شمس لبني عبد مناف ، ولم يكن في عصر الرسول من بني عبد شمس أشد فرعنة وأقوى شكيمة وأقوى ضدية من صخر بن حرب ، فلما علم عبد العزى بقوة ضديته وشدة فرعنته ، ندبه بذم المظاهرة ، وأظهر صخر بن حرب نفسه لحرب رسول الله (ﷺ)
١٠٤/ واستجلب عليه ، فيقاتل وبطونها في مواطن كثيرة ، موطن بعد موطن ،/ وكان صخر بن حرب عدواً ظاهراً ، وكان عبد اللات بن عثمان عدواً باطناً يخفي عداوته ، ويظهر مسالمته .

وذلك لما أسلم اتخذ لنفسه على باب داره مسجداً يظهر الصلاة فيه والخشوع ، مضاهاة لبيت الله الحرام ، ومجمعاً من يأتيه من قريش وغيرها للمعاقدة على رسول الله ، وابتغاء الغائلة به ، فلما علم الله من كيده ومكره خسف بالمسجد الأرض وبقي موضعه غوراً مخسوفاً إلى يومنا هذا ، ﴿ وَرَدَّ اللهُ الذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ المؤمِنِينْ القِتَالَ . . . ﴾[1]

وكان الله قوياً عزيزاً وأن الله جل اسمه ما أنزل على رسوله آية من كتابه إلا وهي أخبار من أمر كان ، أو تحذير من أمر يكون ، ونبيه بحكم الوقت ليستوفي الحجة على عباده ويقيم لديهم المعذرة ، ويبين لهم طريق الرشد من الغي ليهلك من هلك ، وعز نبيه ويحيي من حي عن بينة . عن الصادق جعفر بن محمد (ﷺ) أنه قال : نزل القرآن على ثلاثة أثلاث ، ثلث فينا ، وثلث في عدو ، وثلث قضايا وأحكام . وعنه في مواطن أحزانه قال : نزل القرآن على أربعة أرباع ربع أمر ونهي، وربع فرائض وأحكام ، وربع قصص واحتجاج ، وربع في الحلال والحرام ،
١٠٥/ والثلاثة أرباع راجعة إلى الربع ، وقال رسول الله (ﷺ)/ : نزل القرآن على سبعة أحرف ، كل حرف منها شاف كاف ، فالمعنى بالقرآن وصيه وأساسه ، لأنه صاحب تأويله ، ومظهر غرائبه وعجائبه ، وبالأحرف السبعة الأئمة من ولده كل إمام منهم شافي لأهل عصره كافي لهم .

---

(١) سورة ٣٣ من الآية ٢٥ .

وقد بنينا كتابنا هذا على ما جاء في التنزيل من ذم أبي لهب عم الرسول المنتجب وابن عبد المطلب ، وضد أخيه أبي طالب ومن ادعائه حد الإمامة ، والتعويل ما كشف عن ضمائرهم وأبان عن عقائدهم مما سقناه على نسقه ، واستخرجناه من مستقره ، وكشفنا عن مكنونه ، وأوضحنا عن مستوره ، ما يتدبره أولو الألباب ، ويتفكروا أولو النهي والصواب ، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، وتقوى مع معلومة يقينهم ، ويعرفوا الولي بحقيقته فيطيعوه حق طاعته ، ويعرفوا الضد بضديته فيتبرأوا منه حق البراءة على علم ويقين ، فيكونوا قد خلصوا الولاية لأهلها ، والبراءة من عدوها ، فأحسنوا أيها المؤمنون اليقين ، واتبعوا سبيل المهتدين ، واثبتوا على صراط الله المستقيم ، ولا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، ما هم منكم ، ولا أنتم منهم ، يقولون على الله الكذب ، وهم يعلمون ، أعاذنا الله وإياكم من الزيغ بعد الهدى ، وجنبنا وإياكم طرقات الردى ، وأعاننا وإياكم على
التقوى ، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ، إنه سميع الدعاء ، /حسن العطاء ، ١٠٦/
عظيم الرجاء ، يجازي بالحسنى ، ويثيب بالنعماء ، وصلى الله على صفوته من بريته ، وعلى أولي أمره ووصيه ، وعلى الأئمة من نجله ، كلمته الباقية في عقبه ، وسلم عليهم تسليماً .

ابتداء سورة تبت يدا أبي لهب

فنقول والله الموفق والمعين فيما تلوناه ونتلوه من بيان التنزيل بمنة ولي أمرنا وإمام عصرنا ، ومواده التأييدية المتصلة بنا بوساطة دعاته الأكرمين ، وحججه المبينين ، ما أمكن به الوقت واستطعناه ، واتسعت طاقتنا به وقدرناه ، لا انا استوعبنا فيه الكمال ، إذ ما أتينا به ونأتيه ، وبيناه ونبينه ، وأوضحنا ونوضحه .

ومن بحور أولياء الله نغترفه ، ومن موادهم نستمد ، وعنهم نأخذه ، فما كان من صواب فمن أولياء الله إلينا ورد ، وعنهم صدر ، والغلط والنسيان منسوب إلينا ، وفوق كل ذي علم عليم .

قال الله الكريم ذي العرش العظيم : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تَبت يَدَا أَبي لَهب وَتَبَّ : ما أَغنى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيصلَى نَاراً ذات لَهبٍ . وَامرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ . في جِيدِهَا حَبلٌ مِن مَّسَدِ ﴾[1] وكلام الله وتنزيله لا يحمل على ظاهر لفظه ، إذ الظاهر ربما لا يكون له معنى ينصرف إليه إلا من وجه تأويله وباطنه ، إذ كلام الله أمثال تدل على ممثول ، وقصص ماضية تدل على ما هو أت ، وأخبار من تقدم واعلاماً بأن ذلك الحال كائن فيمن تأخر ، ليعتبر الآخر بالأول
١٠٧/ ويتدبر ، ورموزات وإشارات جعل أوليائه/ القائمين والعالمين لها ومبينين تأويلها وحقيقتها ليتدبر من تدبر ، ويزدجر من تفكر ، ويكون على بينة من أمره من ذكر ، إقامة بحجته ، ودلالة على براهينه ، استخباراً وامتحاناً ، واستبصاراً وابتلاءً ، لقوله جل اسمه: ﴿ وَلَنَبلُونكُم حَتَى نَعلَمَ المُجاهِدينَ منكُمْ وَالصَّابِرينَ. . ﴾[2].

---

(١) سورة : ١١١/ ١ ـ ٥

(٢) سورة : ٤٧ من الآية ٣١ .

ونبلوا أخباركم ، والإبتلاء على وجوه كثيرة ، ونحن نبين تأويل السورة ، وبيان ما رمز فيها وستر ، بحول الله وقوته ، وبمنة أولياء الله ، فنقول ، والموفق المعين الله تعالى في قوله : تبت يدا أبي لهب أي قطعت يداه ، والمراد بيديه داعييه اللذين كانا يدعوان إليه سراً ، ويستتران به ، اللذين أقامهما لنفسه ، واختصهما لأمره ، لأن المراد بقوله : تبت يدا أبي لهب ، يداه اللتان من جسده ، وكذلك من ذلك قول الله وفي تنزيله: ﴿ وَقالتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ. . . ﴾[1] غلّت أيديهم والله جل اسمه ما له يد محدودة كأيدي خلقه، وإنما يده نعمته الباسطة على عباده، وهو وليه وإمام زمانه، فكان قول اليهود يدا الله مغلولة، أي وليه منقبض عن الإنبساط تحت التخفي والإستتار.

وقوله : ﴿ . . . غُلَّتْ أَيدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُواْ . . . ﴾[2] يعني انقطاعهم عن وليه وعن حجته ، إذ هما يدا الله ، ولعنه لهم ابعاده لهم عن رحمته ، وعن معرفة وليه وطاعته لكفرهم به ، وقوله : ﴿ . . . بَل يَدَاهُ مبسُوطَتانِ . . . ﴾[3] عني به الإمام والحجة ، اللذين هما منبسطان بإقامة الدعوة ، والداعين إلى عبادة
١٠٨/ الله ، ومعرفة/ توحيده .

وكانت يدا أبي لهب داعييه اللذين نصبهما وأقامهما مضاهاة لرسول الله ، ومباينة بالعداوة ، ومساواة له في أمره الظاهرين ، صخر بن حرب وأُبيّ بن خلف ، وداعييه الباطنين عبد اللات والإعرابي اللذين كانا أقرب الناس إلى رسول الله ، وإنما قربهما من نفسه خوفاً من براءتهما ، فأنزل الله فيهما قرآناً أبان فيه عنهما ما يضمراه ، بقوله عن اليمين وعن الشمال غرين أيطمع كلاً منهم أن يدخل جنة نعيم كلا ، وإنما كان أقام أحدهما وأطلقه بالملاينة ليظفر بأمنيته ، وينال طلبه من محمد رسول الله ، لقوة عداوته ، وضديته .

وصحب ذلك الداعي الرسول ، وأظهر له الود والنصيحة ، وهو ينقل

(١) سورة : ٥ من الآية ٦٤
(٢) سورة : ٥ من الآية ٦٤
(٣) سورة : ٥ من الآية ٦٤

أخباره ، ويتعقب آثاره ، ينتظر به الدوائر ، فمنعه الله منه وحماه عنه ، فلما طال الأمر بأبي لهب ورأى أنه لا يتم له مراد ، ولا يبلغ منزلة ، أقام له داعياً آخر ثاني سراً ، وأوعز إليه ما يبديه ، وجعل له من دنياه حظاً، وأجزل له في الجزاء، وعاهده على قتل محمد جهراً ، فحمل نفسه على قتله ، وسار يريد أن يظفر به ، فينال مودعه ، ويبلغ مجهوده . يعني وصل إلى حجرة رسول الله (ﷺ) وطرق الباب عليه ليخرج إليه فيناله بالقتل ، فلما سمع رسول الله (ﷺ) الدق على الباب خرج

/١٠٩ ففتح الباب ، وأخذ بضبعيه وهزه هزة منكرة، كادت تغرق بين/روحه فتزعزع كل مفصل في بدنه ، وداخل قلبه الرعب والهيبة ، وقال له في هزته إياه : أما آن لك يا ابن الخطاب أن تقولها فقل ، وإلا فسأقتلك ، فأذعن بالشهادة بالوحدانية ، والإقرار له بالنبوة والرسالة تحت الفزع ، والخوف عندما شاهده وعاينه .

ولما دخل إلى حجرة رسول الله (ﷺ) وجد جميع أصحابه محدقون وهم يومئذ تسعة وثلاثون رجلاً ، فقال في نفسه : اليوم أنصب حيلة أهلكهم بها ، وذلك أنه فارق أبا لهب وسادات قريش بفناء البيت مستعدون معدون ينتظرون قدومه عليهم ليقتلوه ، فقال : يا رسول الله . وأنت في هذه الطائفة وتعبد الله سراً ، والله لا كان ذلك فاخرج بأصحابك إلى نادي قريش بإزاء البيت فأدعهم إلى الله جهراً، واعلن أمرك وها أنا بين يديك شاهر سيفي لا يريدك أحد من قريش إلا كنت دونك عليك أبلوه .

وعلم رسول الله (ﷺ) إلا حجة له عند الله في التخلف والقعود عن تبليغ رسالته ، وإنذار عشيرته ، من وعيد ربه ، والأعذار لهم فيما جاء به ودعاهم إلى خلاص توحيد الله عز وجل عندما كمل له الأربعين بعمر بن الخطاب ، وذلك أنه نبي وأرسل ابن أربعين وأظهر دعوته عند تمام الأربعين ، فخرج مع أصحابه وعمر في أوائلهم يقدمهم وهو مصلت سيفه يعلن بالشهادة برفيع صوته ، لا يشك في أن قريشاً تثور إليهم فأتى عليهم .

ولما أشرف رسول الله (ﷺ) على جميع قريش بأحلافها ، كبرّ (ﷺ) وهلل

١١٠/ وأعلن/ بالشهادة ودعا قومها إليها وقال : معاشر قريش وعامة العرب ، إن محمد رسول الله أرسلني إليكم خاصة ، وإلى جميع الناس كافة ، أدعوكم أن تقولوا لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وتقروا بأني محمد رسول الله يكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، أجيبوا داعي الله إذا دعاكم لما يحييكم . فشخصت قريش بأبصارها وتطاولت بأعناقها ، وتصايحت بشجعانها ، وهموا برسول الله ومن معه فمنعهم الله منه ، وألقى هيبته في قلوبهم ، وألقى عليهم الرعب ، فتفرقوا ، وتبددوا .

ولما رأى عمر ذلك كبر عليه ولم يسعه الرجوع إلى قريش لأن يقتلوه لما عاينوه أو يقتله رسول الله متى علم ارتداده ، رأى إخفاء ما أسره وكتمان ما كان أبرمه ، فأظهر إسلامه ، وأخفى نفاقه ، وقد كان رسول الله يحذره في أكثر أوقاته ، وإنما سقنا مثل هذا وكشفناه ليتبين حد الضدية الكامنة والعداوة ، وكذلك شبههما بقوله: ﴿ضَرَبَ اللهُ مثلاً لِلَّذين كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ . . .﴾[1] وخيانتهما ومروقهما.

ولو جئنا بشرح القصة على حسبها لأوردنا جملة أوراق كثيرة ، وخرجنا عن حد ما بنينا عليه كتابنا هذا ، وقد ذكرنا جميعه ، وكشفناه كشفاً بيناً في كتابنا الموسوم (بنصيب الدار) وأجملنا جميعه في كتابنا الموسوم (بالكشف) نرجع إلى حيث انتهى بنا القول من قوله : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ . وقد ذكرنا أن يديه في ظاهر الأمر داعياه صخر بن حرب وأُبيّ بن خلف ، ويديه في الباطن عبد اللات والإعرابي ،

١١١/ وأن انبتانهم انقطاعهم ، / وقوله ﴿ وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، ﴾ يعني انقطاع أبي لهب عن طاعة صاحب المنزلة وولي الأمر ، وادعائه المرتبة ، وعنى بماله تمويه وزخرفة ، وما كان يظهره ، وذلك أنه كان قد استرق شيئاً من العلم ، وانكشف له شيء من وجوه البيان ، فتمسك بذلك واعتمد عليه ، وهو لا يعلمه ولا يقف عليه ، ولا على تأويله .

وكان قوله ﴿ وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ اعلاماً بأنه قد انقطع عنه ذلك الذي كان قد علمه من البيان ، واتيانه زخرفاً من القول وزوراً ، فما نفعه

(١) سورة : ٦٦من الآية ١٠ .

علمه به ، ولا أغنى عنه اكتسابه ، ثم قال توعيداً له ، وتهديداً وتخويفاً وتحذيراً ، فقال : ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ ، إشارة إلى حدوده الذين أقامهم ، وإلى المستجيبين له مضاهاة لحدود الله ، وتكذيباً بآيات الله ، وجهلاً بالله ، لأنه قد علم أنه لا تقوم منزلة الإمامة إلا بإقامة الحدود على ترتيب الدعوة ، إلى الخالق المعبود .

وتوهم أن ذلك حال ينال بالدعاوى ، فأقام له حدوداً ممدين ومستمدين ، ونصب له حججاً ولواحقاً ودعاة ومستجيبين ، فجعل النار التي يصلاها ذات لهب ، وشرر جهنم التي للكافرين ، كما قال رب العالمين : ﴿ وَإِن مِنكُم إِلاَّ وَارِدُهَا كان عَلَى رَبِكَ حَتماً مَّقِضياً ﴾[1] حتم لورودها ، وقد اختلفت رواة
١١٢/ الشيعة/ وأهل الظاهر في جهنم ، فقالت طائفة منهم : عني بجهنم ظاهر الشريعة ، وقالت طائفة : عني بها عذاب الآخرة ، وعلماء أهل الظاهر مختلفون في ورودها ما هي ، فقالت طائفة منهم هي التي يمد الصراط على متنها فيعبر عليها كل الأمم ، فمن كان من المتقين نجا منها ، ويمر الصراط والباقون يقعون فيها لا نجاة لهم ولا خلاص .

وقالت طائفة عني بها الآخرة محشر الخلائق والأمم ، وفيها يقع الجزاء ، فمن عمل صالحاً واتقى نجى وجوزي بالحسنى ، ومن كان ظالماً لم ينج من عذابها وبقي جاثياً ، وقالت طائفة إنما عني بها ظاهر الشريعة المعراة من الباطن ، لا ينجو منها إلا من اعتقد الباطن وتمسك به .

وقالت طائفة هي الولاية ما من أحد إلا وتعرض عليه فمن قبلها ودان بها كان من المتقين ، فنجى من النكث والجحود ، فمن أنكرها ولم يدن بها فهو الظالم ، إذ هو ستر الحقائق وأخفى ، فكانت هذه الطائفة أقرب إلى الحق من غيرهم لأنهم قد حاموا حوله ، ولم يقفوا على حقيقة المعنى فيه ، والمراد في وجه التأويل أنها آية خاطب الله بها أهل اجابته والمؤمنين به خاصة دون غيرهم ، فقال : وإن منكم إلا

---

(١) سورة : ١٩/ ٧١

واردها ، يعني المؤمنين بأئمة أعصارهم كل أهل عصر داخلين في دعـوة إمامهم
١١٣/ وعهده ، وهو ورودهم ،/ فكانت الدعوة التي دخلوها هي التـي وردوها ، أي دخلوها ليعمهم بدخولها ، ولم يتقيهم بقبولها لعلمه أن منهـم من يدخلهـا رياء ونفاقاً .

وآخرون يردونها اختباراً بغير اعتقاد ، وأصحـاب الحقيقـة الـذي يردونهـا فجميعهم وردوها ، وفرقهم التقى والظلم ، فكان قوله : ﴿ ثـم ننجـي الـذين اتقوا ﴾ ، عني معتقديهـا والمتحققـين بهـا والموفـين لهـا ، كما وصفهـم بقولـه : ﴿ والموفون بعهدهم ﴾ إلى آخره هم المتقون ، فاعلم أن المتقـين هـم المعتقـدون والموفون بما عوهدوا عليه ، فقال ينجيهم من تبعات الشياطين وغواية الطواغيت الملاعين ، فتكون نجاتهم متعلقة بالنجاة من العذاب المهين ، وإبان من الفـزع الأكبر يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين إذا نجوا بالنيات والإعتقادات ، ثم قال : ﴿ ونـذر الظـالمين فيهـا جثياً ﴾ ، فالظـالمون هـم الناكثـون لعهدهـم والناقضون لميثاقهم ، الظافرون بالدعوة رياء وسمعة ، والخارجـون منهـا نفاقـاً وبدعة .

والظلم هو ستر الحق وجحوده ، فبقوا في بيعة العهد المنـكوث ، والميثـاق المنقوض جثياً ، يعني بالجثي الباركين على ركبهم لا يستطيعـون نهوضـاً ، فكان المراد بقوله : ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ ، أي الدعوة التي هي النار واللهب ،
١١٤/ هو انبساطها واصلاه إياها ، أنه كان أقام له دعاة يدعون إليها ذات لهب ، أي/ انبساط واشتهار تلهب من استجاب لها ، واصلاه فيها طول مقامه عليها ، فإن تاب وآمن واتقى نجا منها بخروجه عنها ، ولحق بالمؤمنين أهل التقى واليقين ، ثم قال : ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ ، يعني بامرأته قرينه ومعاضده على الخلاف والجحـود وشكله ومزاوجه ، وهو أبو جهل بن هشام بن عتبة ، والحطب الذي تعب بحمله هو ما كان يحطب به من المحال ويأتي به من الكذب والبهتان رمزه ، فإنه عن اتباع النبي وعن ولاء وصيه علي .

واصرفوا من استجاب لهم عن دعوته وطاعته فهو حجة لهم ، ويحطب بعلمه

وزخرفة عليهم، الذي يشوي بهوجهه ووجوههم لأتباعهم له في كل عصر وزمان. معنى قوله في الإضافة ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ إلى قولـه ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب﴾، هو أن أمد حجته وشكله ومزاوجه من لهب ناره مما يحيطوا به من المحال المزخرف الذي يوردونه ليصيدوا به من استغـووه، ويضلـوا به من أتبعهـم، كما استمدوا من شياطينهم الذين اتخذوهم أربابـاً من دون الله، فكان عبـد العـزى مستفيداً من عبد شمس بن قصي مفيداً لعمرو بن هشام، المنسوب إلى مزاوجته وقرينه وشكله، المسمى بامرأته حمالة الحطب، ثم قال نعتا لما تقدم ووصفا لفعال الشكل والقرين، ﴿ في جيدها حبل من مسد﴾، / فالجيد في اللغة العنق الحامل للرأس، وهو موضع متقلد الأمانة وتطويق العهد، ومنه يقال: إذا استجار الرجل الخائف برجل ليؤمنه قال له: دمي في عنقك، وهو موضع الطوق، ومنه يقال فلان طوق فلانا، أي قلده الطوق. /١١٥

وقال رسول الله (ﷺ) : لا يجوز للمرأة أن تصلي إلاَّ وفي عنقها طوق أو قلادة، ولو من يسير. والطوق هو العهد، والمرأة هي الحجة، أي لا يجوز للحجة أن يطلق داعياً لإقامة الدعوة حتى يأخذ عليه عهد الله، فعني أن جميع ما يأخذونه من العهد ويقيمونه من الدعوة فهو أمانة في عنق الحجة، والحبل هو ما أبرمه واتقنه من المسائل الصعبة التي لا مخرج لها إلا من وجه التأويل الحق الـذي قامـت به الحجج عن الأئمة، شبهت بالحبل المبروم الذي لا يقدر على قطعه ولا على حله، والمسد هو حبل الليف المبروم الشديد البرم.

وهذا ما لا يمكن في ظاهر الأمر أن يكون في عنقها حبل ليف مبروم، وقد مدح الله عباده المؤمنين بذكر الحبل المتين، فقال وهو أحد القائلين: ﴿ وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفرَقُوْا . . . ﴾[1] فأبان عن حبله أنه ولاية أوليائه وأئمة دينه، كما ذم امرأة لهب بالحبل دال أيضاً أن حبلها ولاية أولياء الشيطان، والأئمة الداعين إلى النار. فهذا معشر الإخوان تأويل الحبل المسمى بالذم، والحمد الذي قلد رقاب

(١) سورة: ٣ من الآية ١٠٣

/١١ المؤمنين فهم به مستمسكون وبه معتصمون، الممدوح/ في الكتاب المبين ، والذي في رقاب الكافرين والظالمين والمشركين هو ما يعتقدونه من المسائل المحال التي لا أصل لها ، التي هي شكله وقرينه ومعاضده ومعينه ، بتقليدها حبل الضلال الداعي إلى غير إمام ، إذ هو حبل أبرمته ودسراً وصلته ، ونفاق أظهرته ، ومكر مكرته ، لتكيد به من استفزته ، وتضل به من استغوته ، أعاذنا الله وإياكم معشر المؤمنين من الوقوع في مهاوي النيران ، واستخلصنا وإياكم بالفضل الجاري منه إلى الحدود ، الواصل منه إليكم بالإحسان ، إنه ولي العفو والغفران .

ولقد شرحنا من تأويل سورة تبت يدا أبي لهب بحسب طاقتنا واستطاعتنا ، وفوق كل ذي علم عليم ، ونحن نأتي في عقبه ما يؤيد ما تقدم ذكره ويقويه ، ويبين مرموزه ، ويوضح معانيه ، ليبلغ السائل سؤاله ، وينال أمنيته ، ويدرك طلبته ، ليزداد يقينه ، وحسن اعتقاده وضميره ، وبالله نستعين ، وهو ولينا ومؤيدنا ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل .

ذكر الشرح الثاني بعد سورة تبت :

قال الله الكبير المتعال ذو الطول والنوال ، كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدهم عند المسجد الحرام فما استقاموا ، فاستقيموا الهم إن الله يحب المتقين ، عاتب الله نبيه محمداً بهذه الآية لما عاهد قريشاً يوم
/١١١ الحديبة ، فاشترطوا/ عليه ما لا يجوز ، فصبر عليهم ، ووفى بعهدهم .

وذلك أن رسول الله (ﷺ) خرج من المدينة يريد مكة فيعتمر فيها ، وقد كانت قريش وأحلافها وأهل بيت النبي وغيرهم من العرب على كثرة العداوة بينهم ، إذا أتوا البيت الحرام للحج اهدوا الدماء ، وأسقطوا بينهم التبعات ، والمطالبات بالثارات أيام الحج كلها ، إذ هي أيام شج وعج ، في نفر من أصحابه عددهم[1] سبعون رجلاً ، فلما اتصل بقريش خروجه من المدينة يريد مكة ليعتمر

(١) عددهم : مبلغهم في جـ

بها أنكرت قريش ، وقالوا : لسنا ندعه وما يريد ، فخرجوا معتدين للقائه في حشد من الملأ ، وساروا نحوه ليردوه عن العمرة ، ويمنعوه عن دخول مكة .

ولما نزل بالحديبة وافته قريش بجمعها تريد حربه وصده ، فأرسل إليهم يلاطفهم فرضوا بأن يعقدوا بينهم عهداً مؤكداً بعد أن ثبت عليهم الحجة بقوله : ما خرجنا لقتال وإنما للعمرة أردنا ، وما دعيت لأمرين لاخترت أيسرهما ، واشترطوا عليه أن لا يقبل من يأتيه منهم مسلماً ، وأن يرده إليهم ، فأجابهم إلى ذلك ، وأمر علياً بأن يكتب بينهم الموادعة ، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالوا : ما نعلم الرحمن الرحيم وما هو ، اكتب لنا باسمك اللهم فأخذ رسول الله الكتاب من يد علي فمحا بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتب باسمك اللهم ، من محمد رسول
١١٨/ الله ، فقالوا : ما علمنا رسول الله، ولو صح لنا منك ذلك لاتبعناك/ وأطعناك ، فاكتب لنا من محمد بن عبد الله ، فغضب علي حتى بان الغضب في وجهه ، وهم بقتالهم ، فقال له رسول الله : أمسك عليك يا أبا الحسن كأني بك وقد دعيت إلى مثلها ، فلم تجد بدأ من الدخول فيما دعوك إليه ، أكتب لهم من محمد بن عبد الله ، فكتب لهم كما أرادوا ، ونحر رسول الله هدية حيث أوقف ، ورجع فعارضه عمر ، فقال : يا رسول الله ألست رسول الله ؟ فعلم رسول الله ما في نفس عمر وما أضمره ، فقال : يا ابن الخطاب بعثت بالرحمة والرأفة ، ما عرض عليّ أمرين إلاّ اخترت أيسرهما .

وأنزل الله عليه تصديقاً لقول رسول الله : ﴿ ... لَتَدْخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرامَ إن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤسكُم ومُقَصرِينَ لاَ تخَافُونَ فَعلِمَ مَا لَم تَعلَموا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتحاً قَرِيباً ﴾[1] فكانت هذه الآية المتقدم ذكرها نزلت عليه إعلاماً له ، بأن المشرك في أمته ، وهم المرادون بالخطاب .

وقد أبان في معاهدة مشركي قريش عن معاهدة مشركي أمته بقوله ﴿ بَرَاءَةٌ

---

(١) سورة : ٤٨من الآية ٢٧

مِنَ اللهِ وَرَسُولِه إلى الذينَ عَاهَدتُم مِنَ المُشرِكينَ فَسِيحوا في الأَرضِ أَربَعَةَ أَشهُر وَٱعْلَموا أَنَّكُمْ غَيرُ مُعجِزي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الكَافِرينَ ﴾[1] وإنما المراد بذلك ليبين فضل علي ومعجزته ، وشرف مقامه ومنزلته ، وإعلاماً لرسوله بوغر صدورهم وكيدهم ومكرهم ، وما يضمرونه ، وإنما كانت معارضة عمر للرسول بما تقدم به القول ، علماً منه أن قريشاً في عدة ونجدة ، وقوة وكثرة ، وأن رسول الله (ﷺ)
/١١٩ / كان في قلة وضعف ، فأراد من الرسول منابذتهم الحرب ليظفر بأمنيته ، وينال مطلوبه ، إذ قد فاته ذلك في الموطنين المتقدم ذكرهما ، فلم يبلغه الله مراده ، فكان قول الله جل اسمه كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، اعلاماً بنكثهم ، ونقضهم .

وذلك بعد أن بايعوا رسول الله البيعتين ، ومما يبين أنهم المخاطبون بالمشركين ، قوله وهو أصدق القائلين : ﴿ وَمَا وَجَدنَا لأَكثرِهِم مِنْ عَهدٍ وَإن وَجَدْنَا أكثرهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾[2] إعلاماً بأن الخطاب للمتسمين بالمسلمين ، فلإعتقادهم النفاق ، وإضمارهم الخلاف والشقاق ، كانوا من المشركين ، وسموا فاسقين بخروجهم عن الطاعة ، واعتقادهم الكفر بعد الإيمان ، وبعد أن كانوا في جنود الرحمن .

وقد نعتهم الله في كتابه بأنهم ما آمنوا ، ولا زايلوا كفرهم ، بقوله : ﴿ . . . وَقَد دَّخَلُوا بِالكُفرِ وَهُم قَدْ خَرَجُواْ بِهِ واللهُ أَعلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾[3] بل كانوا مستسلمين فرقاً وخوفاً ، وطمعاً ومكراً وخداعاً ، فلتبديلهم آيات الله وكفرهم بما جاءهم به رسول الله من أمر الله له بنصبه من اختاره لوصيته ، وجعله باب حطة ، ومكروا مكرهم ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ، إنا دمرناهم وقومهم أجمعين . فسرى الكفر والنفاق ، والشرك والشقاق في قلوب الأمة ، وزينوا لهم سوء
/١٢٠ / أعمالهم ، فرأوه حسناً ، إلا من ارتضاه الله لدينه فلم يجعل لهم عليه سبيلاً ، / كما

(١) سورة : ٩/ ١ ، ٢
(٢) سورة : ٧/ ١٠١
(٣) سورة : ٥ من الآية ٦١

قال تبارك اسمه لإبليس لما سأله النظرة قال : ﴿ . . . وَلأُغوِيَنَّهُم أجمعين . إلاَّ عِبَادَكَ مِنهُم المُخلِصِينَ ﴾[1] فقال له : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فهم المستقيمون على الوفاء بوعدهم ، فسموا بذلك المؤمنون ، كما سموا المنافقين الناقضين لعهد الله ، والناكثين بالمشركين ، وهم فيها يزعمون المسلمين ، كما قال في موضع آخر : ﴿ وَإِنْ نكَثُوا أيمانَهُم مِن بَعدِ عَهدِهِم وَطَعَنُوا في دِينكُمْ فَقَاتِلُوا أئِمةَ الكُفرِ إنهُم لاَ أيمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُم يَنتَهُونَ ﴾[2] أي أكسروهم بالحجج الغوامض ، والبراهين اللوامع ، حتى تزيلوهم عن اعتقادهم الشرك والكفر ، وتخرجوهم من ظلام الجهل إلى نور الإيمان ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم .

ومما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : ظهرت في عبد مناف ، وانتقلت في الأصلاب الزكية إلى الأرحام الطاهرة ، حتى ظهرت في أطيب مغرس ، وأكرم محتد ، وظهرت الشيطنة والفرعنة والضدية بإزائي في أخبث وأشر مغرس في بني عبد شمس ، فرعين من أصل واحد ، طيب وخبيث ، كما تقدم القول في آدم أنه مجبول من طين طيب وخبيث ، ممتزجان فاخترقا في ولديه هابيل وقابيل ، وكان سبب
/١٢١ افتراق الخبيث من الطيب الحسد ، فقابيل هو عبد العزى/بن عبد المطلب وهابيل هو عبد الله بن عبد المطلب ، وشيث هو عبد مناف بن عبد المطلب ، وإنما هم ينتقلون في كل عصر وزمان باختلاف الصور والخلقة ، كالثياب التي يتبدل لابسها في لباسها فهو واحد والثياب مختلفة ، كذلك منزلة الإمامة حال واحدة ، ينتقل في الأئمة إماماً بعد إمام ، فكان اختلاف صورهم وتنقلهم في الأعصار كالثياب المختلفة الألوان ، واللابس واحد .

وكذلك الإمامة التي هي حال واحد وكذلك الفرعنة والضدية والشيطنة والابليسية كالثياب الكثيرة ولابسها واحد ، والضدية حال ما ، كما الإمامة حال

---

(١) سورة : ١٥ من الآية ٣٩ ـ ٤٠ و ٣٨ من الآية ٨٢ ـ ٨٣

(٢) سورة : ٩/ ١٢

ينتقل في الأعصار والأزمنة ، فتنقل الإمامة إلى حين ظهور الرسول ، فافترقت فيه وفي وصيه لتمام الأمر المحتوم ، واجتمعت في الحسين ، ولم يفترق من بعده أبداً ، لأنها كلمة باقية في عقبة .

وكذلك الضدية افترقت في عبد العزى وعمرو بن هشام واجتمعت في ولد العباس بن عبد المطلب ولن يَفترق منهم أبداً ، فكل فرعون وضد قام في عصرنا لحق ودوره فهو عبد مناف في حد القوة إلى حد الفعل ، حال مضطرة إلى حين أوان ظهور القائم علينا سلامه ، هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ، ويردوا إلى الله مولاهم الحق الإله الحكم وهو أسرع الحاسبين ، فيهلك الضد والفرعون ويضمحل وتندرس آثاره ، ويزول الخبيث ويبقى الطيب ، كما قال ،ويكون/ ١٢٢/
الدين كله لله ، يعني تكون الطاعة كلها للإمام الذي هو صاحب الجزاء والثواب والعقاب ، فكان في بداية ظهور الرسول واستعلاء الأضداد ، وما كانوا يمكرون قول الله ، هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً .

وكان قوله عند ظهور القائم زوال الباطل وتعطيل الشرائع هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت ، يعني أنهم يمتحنون بسالف أعمالهم ، أي يجازون عليها ، كما قال يوم لا ينفع نفساً أيمانها إن لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في ايمانها خيراً ، فأعلم جل وعز أن أوليائه يرون أعمال عباده ، الطائع منهم ، والوصي ، والتائب ، والخاطىء والمؤمن ، والكافر والبر والفاجر ، يعلمون أفعالهم ، ويحصون عليهم آثارهم ، ويطلعون على سرائرهم ، لأنهم شهود عليهم ، إذ هم عماد أمر الله ، وأبواب رحمته إلى خلقه ، وسبب سخطه ونقمته ، وهم المستغفرون لمن والاهم واستغفرهم ، وعذاب واقع بمن عاداهم وكفر بهم ، فمن رحموه كان مرحوماً ، ومن لعنوه كان ملعوناً ، ألم يقل جل اسمه :﴿ الذين يَحمِلُونَ العرشَ وَمَن حَولَهُ يُسبِّحُونَ بِحَمدِ رَبهِم وَيُؤمِنُونَ به وَيَستَغفِرُونَ للذينَ آمَنُواْ رَبَّنا وَسِعتَ كَلَّ شيءٍ رَحْمَةً وَعِلماً فاغْفِر للذينَ تَابُوا واتَبَعُوا سَبيلكَ وَقِهِم عَذابَ الجَحيمِ رَبَّنا وَأَدخِلهُم جنَّاتِ عَدنٍ الَّتي وَعَدتهُم وَمَن صَلَحَ مِن آبائِهم وَأَزواجِهِم وذُرياتِهِم إِنَّكَ

أنتَ العزيزُ الحَكيمُ . وَقِهِم السَّيئاتِ وَمَن تَقِ السيئاتِ يَومئِذٍ فَقَد رحِمَتَهُ وَذَلِكَ هُوَ
١٢٣/ الفَوزُ العَظِيمُ ﴾[١] فعني بحملة العرش ومن حوله أوليائه الطاهرين ، وذكرهم/ كما ذكر من أحلّ به نقمتِه ، ولعنته ، فقال : ﴿ قُلْ أرأَيتُم إن كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ ثُمَّ كَفَرتُم بِهِ مَن أَضَلُّ ممن هُوَ في شِقاقٍ بَعيدٍ ﴾[٢] .

وقال : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالوا يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نكذبَ بآياتِ رَبِّنَا وَنَكونَ مِنَ المُؤمِنِينَ ﴾[٣] أي طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما كذبوا بالأولياء فما سمع دعائهم ولا قبل ندائهم ، بل أخسأهم في العذاب ولعنهم ، فكانت سنة من الله متقدم الدهور إلى متأخرها إلى حين أوان الظهور بالجزائر والحبور . وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً . الذِّين ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحياة الدُّنيا وَهُم يَحْسَبُونَ أنهم يُحسِنُونَ صنعاً أُولئِكَ الذين كَفَروا بآياتِ رَبهِّم وَلقائِه فحَبِطَتْ أعمالُهم فَلاَ نُقيمُ لَهُم يَوْمَ القيامةِ وَزنـاً ﴾[٤] فأخبر بأن خسـارة الأعمال الكفـر بالأئمة .

وقوله : ﴿ فلما جاءَتهُم آياتُنا مُبصِرَةً قَالُوا هَذا سِحرٌ مُبينٌ . وَجَحدوا بها واستيقنتها أنفُسُهُم ظُلماً وَعُلُواً فانظُر كيفَ كَانَ عاقِبَةُ المُفسِدِينَ ﴾[٥] فالآية المبصرة هو أمير المؤمنين علي وصي الرسول وأساس الدين فجعلوه سحرا مبيناً يريدون أن السحر يبطل ولا يصح وجحدوه وأنكروا إمامته وعصوا مقامه وادعوا منزلته فكانوا ظالمين بما فعلوه ، فقد روي عن رسول الله أنه قال : إذا ثبت الحسد والحقد في سواد القلب محيا عنه رسوم الرحمة والإيمان ومليانه غدراً وكفراً ، وقـد سئـل أمـير المؤمنين عن شيعته ما حالهم في عرصة القيامة فضحك وقال : إذا كان يوم القيامة
١٢٤/ جاء/ شيعتنا ومحبونا صفاً صفاً كما يجيء الطير إلى أعشاشها ، ومعهم لواء يعزمون به حتى يدخلوا الجنة بلا وقوف ولا حساب ، فيقول الأمم من هؤلاء الذين جللهم

(١) سورة : ٤٠/ ٧ ، ٨ ، ٩
(٢) سورة : ٤١/ ٥٢
(٣) سورة : ٦/ ٢٧
(٤) سورة : ١٨/ ١٠٣ ـ ١٠٥
(٥) سورة : ٢٧/ ١٣ ، ١٤

الله رحمته وتوجهم بكرامته ، فيقال هؤلاء شيعة علي والأئمة من ولـده ، فعندهـا يقولون يا ليتنا كنا تراباً ، أي مؤمنين بعلي كما آمنوا هؤلاء ، وهو والله قول الله : ﴿ ... وَيَقُولُ الكافِرُ يَا ليتني كُنتُ تُراباً ﴾[1] .

وقد تقدم القول فيما ذكرناه أيضاً وسقناه في التأويل ، وباطن التنزيل أن عبد العزى قابيل ، وعبد الله هابيل ، وعبد مناف شيث ، ونفس المراد وحقيقته إذ هو حق أن عبد اللات بن عثمان قابيل ، إذ هو منفعل من عبد العزى كانفعال قابيل من إبليس ، وإنما نسب إلى آدم بالولادة الجسدانية الظاهرة كانتساب عبد اللات بن عثمان إلى ناطق الزمان ، ورسول الملك الرحمن ، بالإتباع له في ظاهر شريعته التي هي الخلقة الظاهرة .

ولم يكن مثل شيث متصل بالتأويل ، فكان الخبيث الـذي كان ممتزجـاً بالطيب من الطين المخلوق منـه آدم ، كما يقـدم به الشرح ، لم يزل ينفعـل في الأجيال حتى وقع تمييزه فبان خبيثه من طيبه ، فكان عبد الـلات زبـدة الخبـث وجمهوره ، كما أن وحي الرسول الممثول بهابيل زبدة الطيب وجمهوره .

ونحن نشرح ذلك بما هو أشفى من هذا وأوضح برهاناً وأبين ، وذلك قول
/١٢٥ رسول الله (ﷺ) لما أن سبقت إرادته أمره أظهر من خلقه ناره وخبثه فجعل الجنة/ أبواباً ثمانية بعضها أرفع من بعض وجعل للنار ادراكاً سبعـة بعضهـا من بعض فأوجب في حكمته وقدر في مشيئته أن لا يسكنها أحد إلا باستحقاق وإيجـاب ، وقدر لكل دار منها خلق معلوم وجزء مقسوم ، وجعل الوصـول إلى دار الثـواب وحسن المآب الطاعة والقبول ، وسبب وجوب العذاب الأليم الخلاف والعصيان .

وجعل الحقـد والحسـد طريقـاً إلى العصيان ، والغـواية والمكر طريقـاً إلى الخلاف ، فلما أوجب تقديره ، وأظهر تدبيره ، فجعل آخـر مخلوقاتـه من أرضـه وسماواته وما قدر فيهما ، وأودعهما من عجائب صنعته الإنسـان المهيأ للقبـول

(١) سورة : ٧٨من الاية ٤٠

والطاعة ، والخلاف والعصيان ، فكان الإنسان آخر المطبوعات والمصنوعات ، وجعل له قوة واستطاعة للمعصية والطاعة ليقوم حجته على خلقه بإيجاب رحمته وعقوبته .

وحجب عن سائر المخلوقات والمعلومات مما أودعه الأرضين والسموات ، ولم يجعل له وصولاً إلى علم ما شاء من ذلك إلا بمعلم يعلمه بترتيبات ومنازل ودرجات على ما قدر من الأبواب والإدراكات ، أوجبت الحكمة أن لا يكون المعلم إلا مجانساً للمتعلم في الخلق والصورة التركيبية والنعت والصنعة ، ليستأنس به ويأنس إليه ، فلعلمه جل اسمه أنه لا يجب أن يكون المعلم إلا عالماً بجميع الأسماء والمسميات ، وسائر المخلوقات والمقدورات والمسبوكات ، مما كونه في الأرضين
١٢٦/ والسموات ، المحجوب علمها عن كل الخلائق أجمعين ، وحجب علم بعض عن/ بعض إلا من طريق المعلم لإقامة الحجة كما ذكرنا فيما تقدم ، ولم يجب للمتعلم أن ينسب نفسه إلى قدرة الله ، وإن كانت القدرة محجوبة ، فنصب لنفسه بابا وأقام له حجاباً ، فتأنس لخلقه بخلقه وتظاهر لهم بحده ، وأقام لهم حدوداً في أمره ، إذ كان غيباً لا يدرك وعلماً لا يحاط به ولا يستدرك ، كما قال جل من قائل : ﴿ . . . يَعلَمُ مَا بَينَ أيديهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيء مِنْ عِلمِـهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَموات وَالأَرضَ وَلا يَؤُدُهُ حفظُهُما وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾[1] .

وحتم ألاَّ يُطَال إلا من بابه المنصوب ، ولا يعرف إلا من حجابه ، وإبان ذلك بقوله : ﴿ . . . وَأتُواْ البُيُوتَ مِن أبوابِهَا وَاتَّقُواْ الله . . . ﴾[2] يعني احذروا أن تأتوه من غير بابه فيحل بكم عذابه ، فقال ادخلوا عليهم الباب ، فإذا الإمامة نهاية الحدود ولا فوقها حد وهي خاتمة دعائم الإسلام ، كما كانت بدايته ، لما رتبت الدعائم جعل فاتحتها الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والولاية ، وهي السابعة التي ختم بها .

---

(١) سورة : ٢ من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة : ٢ من الآية ١٨٩ .

وجعل الجهاد الحد السادس لأنه لا يجب جهاد أحد إلا بعد الأعذار والإنذار والأمر والنهي ، فلذلك تقدمت الفرائض الخمسة فمن قبلها وعمل بها وآمن بها وصدقها لم يجب مجاهدته ولا محاربته ومن أسقط الفرائض أو واحد منها متعمداً تعطيلاً لها وجب جهاده وقتله ومنع من نهب ماله وسبي أهله وولده ، إن كان ممن
١٢٧/ أسلم ، وإن كان على حال كفره لم يسلم وجب/نهب ماله وسبي أهله ، إلا أن الإمام السادس يكون متماً لشريعة ناطق الدور ، وما قامت به الأئمة الخمسة قبله الذي هو سادسهم ، والسابع نهاية دور الناطق وبداية ما يستقبله .

ولذلك كان آدم بداية لظهور هذا الخلق المتجسم نهاية لما تقدمه من نور العلم المحض فجعلت بدايته بالتجسيم موجبة العمل والتعب والنصب ، فيعود إلى بدايته الأولى التي هي علم بلا عمل ، فجعل العمل واسطة بين البداية والنهاية .

ولما أوجبت الحكمة أنه لا يمكن مساواة الخلائق في البقاء والمقام ولا بد من الأعصار والأزمان والأدوار ، وأنه متى بقوا في حال التعب والنصب على حالة واحدة لم يكن ذلك عدل من الله في حكمته أن يكون يقيم الخلق يعمل بنصب ألف سنة ، أو ما عسى من ذلك ، ويظهر بعد الألف سنة أو ما عسى من ذلك ، خلق يعمل أيضاً فيكون الأول بقية على الألف الماضية ، والآخر يعمل في الألف الأولى ، على هذا الترتيب يظهر خلق بعد خلق فالخلق الأول قد نال من التعب والنصب أكثر مما نال الخلق الذي بعده بمقدار تفاوت بينهم إلى حيث نهاية يرجعون إلى حد العلم المتقدم ذكره أنه البداية في وقت متقابلاً ، لا متقدم ولا متأخر .

وجعل الموت سبباً لتساق بهم في التعب والنصب ، وحجب عنهم علمه ووقته ، ولم يوجدهم له حيلة ولا مدفعاً يدفعونه فقال :﴿. . .وَمَا تَدرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكسِبُ غَداً وَمَا تدري نَفسٌ بأي أَرضٍ تَمُوتُ إنَّ اللهَ عليمٌ خَبيرٌ ﴾[1] . وأعلمهم

(١) سورة : ٣١من الآية ٣٤

بإيجاب الموت وحتمه بقوله : ﴿ كُلُّ نَفسٍ ذَائِقَةُ الموت وَإنما تُوفونَ أُجُورَكُم يَومَ
١٢٨/ القيامةِ فَمنْ زُحزِحَ/ عَنِ النَّارِ وأُدخِلِ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ وَمَا الحياةُ الدُّنيا الاَّ مَتَاعُ الغُرورِ ﴾[1] .

وقال : ﴿ . . . فَإذا جَاءَ أجلُهُمْ لاَ يَستَأخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَستَقْدِمُونَ ﴾[2] . وهذا حتم من الله أوجبه على عباده لا يقدر أحد يستقدم أجله ولا يستأخر وما حكمه وأمضاه فلا راد له ولا دافع لحكمه .

فقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : لا يدعون أحدكم بالموت فلن تموت نفس دون أجلها ، ولكن يورثه ذلك الفقر . وقد جاء عنه (ﷺ) من وجه أنه قال : إن الدعاء يدفع البلاء إذا أبرم إبراماً ، وقال الصدقة تدفع البلاء . وقد روي أنه (ص) أن إعرابياً أتاه وهو جالس في مسجد بين أصحابه فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، إني رجل اشتكي الغلمة وليس له زوجة ولا استطاعة . فقال رسول الله : إن كنت صادقاً فاخرج فأي امرأة رأيتها أي لا بعل لها فهي زوجتك . فخرج الإعرابي يشق طرقات المدينة وأزقتها وجالاتها لم ير امرأة إلا سألها ألك زوج ؟ فتقول نعم . فيولي عنها حتى مر بدار بعض الأنصار إذ هو حيال امرأة في علو الدار فقال لها ألك زوج ؟ فقالت لا أنا امرأة عاتق ، فقال لها الإعرابي فأنت إذا زوجتي . قالت ومن زوّجني بك وكان لها أب وإخوة فتوهمت أن أباها أو بعض إخوتها زوجها منه ، فقال : رسول الله زوجني منك ، فلما سمعت ذكر رسول الله نزلت من علو الدار وفتحت الباب وقالت له إن كنت صادقاً فلج الدار فدخل الإعرابي فوطئت له حيث يجلس وجلست بين يديه فورد إخوتها فشاهدوا الإعرابي فقالوا لها من أين لك هذا ؟ قالت لهم زوجي فتوهموا أن أباهم
١٢٩/ زوجها منه فأمسكوا وجاءها أبوها/ فلما رآه قال لها من أين لك هذا ؟ قالت زوجي فتوهم أبوها أن أحد أولاده زوجها منه فقال لها من زوجك منه ؟ قالت رسول الله (ﷺ) قال رضيت بما رضي به رسول الله ثم التفت إلى الإعرابي فقال له يا أخا

---

(١) سورة : ٣/ ١٨٥

(٢) سورة : ٧ من الآية ٣٤

العرب متى زوجك رسول الله ابنتي ؟ فدعا عليه ما كان منه ومن رسول الله وما قاله رسول الله فقال لها أبوها قد رضيت قم بنا إلى رسول الله لنسأله فإذا كان ما قلته حقاً فقد رضيت بما رضي به رسول الله وهي زوجتك وإن تكن كاذباً كان عليك كذلك على رسول الله وعقوبة ما جنيته .

وقاما حتى أتيا رسول الله في مسجده فقال الأنصاري يا رسول الله إني جئت إلى منزلي فأصبت هذا الإعرابي جالساً في منزلي مع ابنتي فذكر أنك زوجتها منه فقال رسول الله نعم أتاني هذا الإعرابي فشكى إليّ الغلمة فقلت له أخرج فأي امرأة أصبتها أي لا بعل لها فقد زوجتها لك ، فقال الأنصاري رضيت يا رسول الله ما رضيته ، فأمر رسول الله أباها يعقد نكاحها عليه وأدى رسول الله (ﷺ) عنه ، فقال أبوها سله أن يصبر علينا مدة شهر فنأخذ فيما نحتاج إليه ونصلح من شأنها فسأله رسول الله الصبر فقال ما أطيق فنقصوا في الأجل ، وهو يقول : لا إلى أن بلغ أجلهم ثلاثة أيام ، فهم الإعرابي بالصبر وهم بالإنصراف فهبط جبرائيل على رسول الله فقال له يا رسول الله إن الله يأمرك أن تدفع إلى الإعرابي زوجته في هذه الليلة فما بقي من أجله غيرها ، فدمعتا عينا رسول الله ، وقال للأنصاري
/١٣٠ ادفع إليه/زوجته ، ولم يعلمهم بما نزل عليه فأخذ الأنصاري بيد الإعرابي ومضى به إلى منزله وسلم إليه زوجته .

ولما أصبح رسول الله قال لأصحابه اعزموا معي إلى جنازة أخيكم الأعرابي ، ونهض رسول الله وأصحابه محدقون به حتى ورد إلى داره فلم ير أثر الموت فبقي واقفاً متفكراً في أمره إذ هبط عليه جبرائيل فقال يا رسول الله إن الأعرابي صنع في ليلته هذه صنيعاً فوهب الله مثل عمره فاسأله عن صنيعه ، فتقدم رسول الله فطرق الباب فوثب الأعرابي إلى الباب ففتحه فإذا رسول الله فقال أهلاً ومرحباً بك يا رسول الله أدخل أنت ومن معك فقال له رسول الله ما صنعت في ليلتك هذه فقال يا رسول الله ما علمت أني صنعت شيئاً فقال له بحقي عليك ألا أخبرتني ، فقال يا رسول الله ما علمت أني صنعت إلا أني لما خلوت بأهلي وكنت منها بحيث يكون

الرجل من المرأة ، إذ بباب الدار يطرق وسائلاً يقول أطعمونا من فضل ما رزقكم الله كفاكم البلاء فقلت زوجتي لن تفوتني وأخاف أن يفوتني السائل .

وقمت ملتحفاً إزاري وخرجت ففتحت الباب وقلت للسائل أدخل فدخل فقدمت له فضلات العروس فامتنع من الأكل وبكى فقلت له امتنعت من الطعام فقال إن ورائي عيلة وأطفالاً جياعاً وما كنت بالذي يأكل دونهم فقلت له كل وطب نفساً وآحمل ما استطعت إلى عيالك فأكل حتى انتهى من الطعام فقلت أحمل جميع ما تراه فقال لا طاقة لي بحمل ذلك فقلت أحمل طاقتك وأنا أحمل معك الباقي فحمل

١٣/ طاقته/وحملت بقية الطعام معه وجئت به إلى منزله وعدت إلى منزلي فقال النبي يا أخا العرب إن الله قد وهب بصنيعك مثل ما مضى من عمرك فقال الإعرابي ببركتك يا رسول الله .

وروي عنه أنه أتى بعشرة أسرى فأمر علياً بضرب أعناق تسعة منهم وبقي العاشر فأمر بتخليته فقال له يا رسول الله أتوك بعشرة أسرى فضرب رقاب تسعة وبقي العاشر فقال : نعم إن الله أوحى لي أنه سخي والله يحب كل سخي فاستحيت من الله أن أقتل سخيا .

وقد قال رسول الله : الصدقة تدفع البلاء ، فالصدقة في التأويل التصديق وهو مأخوذ من الصدق ، وقال عز وجل : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكَانَ خَيراً لَّهُم ﴾[1] يعني لو صدقوا الولاية لكان خيراً لهم . وكذلك في نفس التأويل دعوة أولياء الله بالعهود والمواثيق المذكورة والإيمان المغلظة والبلاء المدفوع بالصدقة والدعاء هو موالاة الأضداد الأعداء أئمة الكفر الأشرار الداعين إلى النار ، وأي بلاء أعظم من الكفر بالأولياء والإعتقاد ولاية الأدعياء .

وآعلم أن الزيادة في الأجال والنقصان منها من قبل الأعمال فبالأعمال تنال الدرجات وتحسن الطاعات وبالأعمال تزل بعد ثبوتها الأقدام وتختل الدرجات

(١) سورة : ٤٧من الآية ٢١

وتبدل الحسنات بسيئات ، قال الله رب الأرضين والسموات : ﴿ فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ وَمَن يَعمل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾[1] .

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : إن الله تعالى ليزيد في أجل العبد بمقدار عمله إذا شاء وينقص من عمره ويميت بمقدار عمله إذا شاء كما قال جل من قائل : ﴿ وقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالْمُؤمِنُونَ . . . ﴾[2] وهذا
١٣٢/ الخطاب بالأمر بالعمل للمؤمنين / فأي المؤمنين عني أنهم يرون أعمال العاملين من المؤمنين والكافرين المنكرين بالله ورسوله أغير الأئمة الطاهرين الشهداء على العالمين كل إمام شهيد على أهل عصره وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وكان عملهم بغير الله وفي غير مرضاة الله والأخبار في زيادة الأعمال ونقصانها تطول وتخرج عن حد كتابنا هذا وإنما اختصرنا باليسير من القول لأن لا يخلو كتابنا من ذكره ، ونحن نبين من علم ذلك ما أمكن تبيانه بالدلائل الواضحة والبراهين اللائحة ، فأما قوله : ﴿ فَإذا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[4] .

فقد روي أن قوماً سألوا رسول الله عن هذه الآية عندما سمعوه يقول إن الله يزيد في الأعمار وينقص منها فقال إن الله جعل الأجل المحتوم الذي لا يستقدم ولا يستأخر نهاية الدنيا وانقضائها ، وهو ظهور القائم صاحب دور الجزاء وخاتم دور العمل ، فلا يكون في دوره إلا علم محض كما قال الله تعالى : ﴿ أَلا للهِ الدينُ الخَالِصُ . . . ﴾[3] وقال : ويكون الدين كله لله هناك يتلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق إذا الدنيا دار عمل وتعب ونصب وهم ساكنوها وعامروها، فلا تقدر عند نهايتها وانقضائها وظهور القائم بإسقاط الأعمال ، وانقضاء الشرائع ، لا يتقدم بزيادة ولا يتأخر بنقصان ، وإنما الزيادة إلى الأعمال ، والنقصان منها ، يعني دار الدنيا ، إذ الأعمال قائمة ، والشرائع ظاهرة ، والأدوار دائرة .

---

(١) سورة : ٩٩/ ٧ ، ٨

(٢) سورة : ٩من الآية ١٠٥

(٣) سورة : ٣٩من الآية ٣

(٤) سورة : ٣ من الآية ١٨٥

وذلك أن الله جعل لكل إنسان أجلين في الدنيا وأجل في البرزخ ، والبرزخ هو مقام الميت في قبره إلى يوم النشور فإذا أراد الله أن يزيد في عمر أحد في دار الدنيا
/١٣٣ نقص من عمره في البرزخ بمقدار ما يزيد/ في الدنيا ، وكذلك إذا أراد أن سحت عمره في البرزخ كان بمقدار ما نقص منه كما قال : ﴿ . . . ربِّ ارجعُونِ لعلي أعملُ صالحِاً فيماَ تَركتُ كلا إنها كلِمةٌ هُوَ قائِلُها ومِن ورائِهِم برزَخٌ إلى يومِ يُبعثُونَ ﴾[1] .

واعلم أن البرزخ هو المقام في البلي بعد الموت حائز بين الخلائق في الأعصار والأدوار فيكون الإنسان تعباً نصباً في دنياه ، فإذا مات زال عنه تعب العمل وصار موقوفاً في حد الراحة ، والذي لم يمت باقي في تعبه ونصبه ، كذلك يتداولون بالموت جيلاً بجيل إلى يوم الفصل والحساب حيث يصبح لهم الجزاء من ثواب وعقاب ، كما قال الله : ﴿ فَأَمَا الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فيُوفِّيهِم أُجُورَهُم ويَزيدُهُم مِن فَضلِهِ وأَمَّا الذِّينَ استَنكَفُواْ واستكبَرُوا فيعَذِّبهُم عَذاباً أليماً . . . ﴾[2] عدلاً من الله في خلقه وإيجاباً لفضله وسبيلاً إلى التوبة إلى معرفته بوساطة القائمين بفرضه وسنته الذين اصطفاهم الله أنبياء واختصهم رسلاً وجعلهم أئمة يهدون بأمره .

وأما قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالحاً فِيماَ تَرَكْتُ كَلاً إنهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُها وَمِن وَرَائِهِم بَرزَخٌ إلى يومِ يُبْعَثُونَ ﴾[3] ففي نفس تأويلها عني بقوله : قال رب أرجعوني الظالم الأول إذ عاين العذاب وحقت عليه كلمته كما قال أيضاً يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يعني أنه لما حلت به الندامة لما عاينه تمنى أنه أطاع الرسول في ولاية علي وحبه الذي هو سبيل الله ولم يطع شيطانه ولا اتخذه ولياً ، لأنه الذي قوى ضلاله وصده عن طاعة وليه وإمامه ، حتى ادعى منزلته وقام في مقامه ،
/١٣٤ ولقد هم غير مرة بالانابة والرجوع وتسليم الحق إلى معدنه ،/ فأغواه شيطانه ومنعه ،

(١) سورة : ٢٣ من الآية ٩٩ - ١٠٠
(٢) سورة : ٤ من الآية ١٧٣
(٣) سورة : ٢٣من الآية ٩٩ - ١٠٠

فالذكر الذي ضل عنه هو الوصي صاحب المنزلة والمقام .

ولما قويت شيطنته وتمكنت ، تبرأ منه وهو خليله وشيطانه ، وقال على رؤوس الإشهاد من الخاص والباد كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، فأهدر دم نفسه لأنه هو الذي عاود إليها فكان معاضده ومعاونه فلما توجل تبرأ منه كفعل الشيطان مع الإنسان كما قال الباري جل ذكره : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيطانِ إذ قَالَ لِلإنسانِ اكفرْ فَلَمّا كفرَ قَالَ إني بَرِيءٌ مِنكَ إني أخافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ ﴾[1] .

وكان الإنسان الأول والشيطان الثاني فكانت طلبته الرجعة بعد مفارقة دار العمل وحلوله دار الجزاء بالعقاب والعذاب لعلِّي أعمل صالحاً يعني لعلِّي أتوالى عليا وأطيعه فولايته العمل الصالح كما قال : ﴿ . . . فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّه فَليعمَل عَمَلاً صَالحاً وَلاَ يُشرِك بِعبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[2] إعلاماً بأن العمل الصالح ولاية علي وطاعته إذ هو رب الدعوة وصاحب المنزلة فمن كان يرجو لمعاده تولاه وأطاعه ، فكانت ولايته له عمله الصالح فهو قوله لعلي إعمل صالحاً فيما تركت كلا ، يعني أنه لو ردكما تمنى فاعمل صالحاً ولا توالي عليا لكنها كلمة هو قائلها طامعاً أن يخفف عنه من عذابه ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون يعني بالبرزخ الحاجز الذي يمنع وهو ممثول العهد الذي هو حاجز بين الظاهر والباطن والبعث قيام الرسل بالشرائع كما قال : ﴿ وَلَقَدْ بَعثنا في كُلِّ أُمةٍ رسُولاً . . . ﴾[3] وقال : ﴿ . . . فهذا يَوْمُ البَعثِ وَلَكِنكُم كُنتُم لاَ تَعلَمُونَ ﴾[4] إشارة إلى رسوله أنه مبعوث فيهم برسالة ربه واعلم أن رسالته لا تتم ولا يبلغها على حقيقتها/ حيث لم يقم أساسه وينصبه . ١٣٥/

فلما نصبه وأقامه بأمر الله له به وعصمته له تمت رسالته وكملت شريعته

---

(١) سورة : ٥٩/ ١٦
(٢) سورة : ١٨من الآية ١١١
(٣) سورة : ١٦من الآية ٣٦
(٤) سورة : ٣٠ من الآية ٥٦

وخوطب بالتمام والكمال فكان حينئذٍ بعث لأنه إنما بعث لنصب الأساس وإقامته بحد التأويل الذي هو حد حظه وقسطه وإنما سمي يوم القيامة وهو يوم ظهور القائم المبعوث بيوم البعث ، لأن القائم من جملة النطقاء المبعوثين وهو سابعهم لأنه صاحب التأويل والعلم المحض الذي هو معرى من العمل لأنه صاحب الجزاء على ما تقدم من الأعمال في الأدوار والأعصار وسمي يوم الحشر والخلائق إليه يحشرون وعنه مسؤولون .

وقوله تعالى : ﴿ وللآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ﴾[1] إن الآخرة دار الجزاء وينال كل أحد من الجزاء بقدر استحقاقه من العمل في الأولى ، فالإمتنان بالإستفادة في الآخرة جزاء بالعمل الأوفى كما قال : ﴿ وَجَعَلناهُم أَئِمةً يَهدُونَ بِأمرنَا وَأَوحينا إليهِم فِعلَ الخيراتِ وَإقَامَ الصلاةِ وَإتياءَ الزكاةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدينَ ﴾[2] .

والأئمة يهدون بأمره أوليائه الذين أوجب طاعتهم وولايتهم على جميع خلقه فأوحى إليهم ، أي الهمهم أن يعرفوا أهل أعصارهم بفضل الولاية التي هي فعل الخيرات وإقامة الدعوة التي هي الصلاة ، وتزكية النفوس من الشبهة والشك والإرتياب يوضح ذلك ويصدقه قوله : ﴿ ... فَلاَ تُزكُّوا أنفُسكُم هُو أعلَمُ بِمَنِ آتقَى ﴾[3] وقوله حكاية عن قول موسى لفرعون : ﴿ ... هَل لَكَ إلى أن تَزكى وأهديكَ إلى رَبِكَ فَتَخشَى ﴾[4] فقرن التزكية بالهداية وهذا موجود في الناس إذا أراد
١٣٦/ بعض/ من بعض حالاً قال له أريد من أن أزكيك وفرق بين منزلة الإمتنان ومنزلة الجزاء بالإستحقاق وأبان فضل الجزاء على الإمتنان إذ قد يكون الممنون عليه بما قل شكره وعصى ربه كفعل آدم فيما تقدم به الذكر إذ كان ممنوناً عليه فعصى ربه وخالف أمره حتى أخرجه من جنته فأبراه من منته .

ولما تاب عليه استعمله واستكدره وأتعبه وأنصبه ليبلو صبره فيجازيه على

(١) سورة : ٩٣/ ٤
(٢) سورة : ٢١/ ٧٣
(٣) سورة : ٥٣ من الآية ٣٢
(٤) سورة : ٧٩ من الآية ١٨ ـ ١٩

عمله وتعبه ونصبه أن يرده إلى منزلة الراحة التي كان مباحاً له بالإمتنان وهذا دليل أن المنة من غير استحقاق ربما فسدت وكفرت وعصت ومن بعد الجزاء بالإستحقاق مثل المنة بالعفو عن الخطية والزلة تكون لها حلاوة ولذة وكانت ممنوعة بالفساد والعصيان . قال الله ع . ج لنبيه محمد : ﴿ وَالرجز فَاهجُر وَلاَ تَمنن تَستكثِرُ وَلِرَبكَ فاصبر﴾[1] .

وبذلك نهاه عن الإمتنان عند بذل الإحسان وأمره بالصبر عند الإمتحان وأوجب التثبيت بالإحسان عند صحة النية بالإيمان والعمل بما يرضي الرحمن بقوله ذي العزة والجلال : ﴿ وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاَّ رَحمَةً لِلعالمينَ ﴾[2] وقال لقد مَنَّ الله على المؤمنين ولم يقل على العالمين إيجاباً للمنة من آمن به إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

وقال عز وجل : ﴿ إنَّما يَستَجِيبُ الذَّينَ يَسْمَعُونَ وَالموْتَى يَبْعثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إليهِ يُرجَعُونَ ﴾[3] فأخبر عن بعث الموتى إعلاماً بأن الموت هو الكفر والجهل وبعثه إياهم ومفارقتهم لكفرهم وجهلهم واستجابتهم لداعي الله فيهم كما قال :
١٣٧/ ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيَّاً وَيحق/ القَوْلُ عَلَى الكَافِرينَ ﴾[4] وقوله : ﴿ يَا أَيُّها الذَّينَ آمَنُوا استَجِيبُوا للهِ وَلِلرَسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لما يحُيِيكُمْ . . . ﴾[5] إيجاب أن البعث هو الحياة وحقيقة الحياة الإستجابة لداعي الله الذي هو رسوله ونبيه كما قال يوم يبعث الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا قال حكاية عن قول الكفار : ﴿ قَالُواْ يا ويلنا من بَعثَنا مِن مَّرقَدنا هذَا مَا وَعَدَ الرحمنُ وَصَدَقَ المرسَلُونَ ﴾[6] .

وعنوا بمرقدهم غفلتهم عما فيه حياتهم إذ النوم هو الغفلة فلما استيقظوا من رقدتهم أي انتبهوا من غفلتهم عرفوا طريق رشدهم فقالوا : من بعثنا من مرقدنا هذا ؟ أي من أنقذنا من غفلتنا ونبهنا من نومتنا وأحياناً من ميتتنا إن هذا إلا ما كانوا

---

(١) سورة : ٧٤/ ٥ ، ٦ ، ٧
(٢) سورة : ٢١/ ١٠٧
(٣) سورة : ٦/ ٣٦
(٤) سورة : ٣٦/ ٧٠
(٥) سورة : ٨ من الآية ٢٤
(٦) سورة : ٣٦/ ٥٢

يوعدون به أنبياءنا ورسلنا وكذبناهم وكفرناهم فهل إلى رجوع من سبيل ، فأبان فضل من اختاره واصطفاه بقوله : ﴿ وَيومَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمةٍ شَهيداً عَلَيهم مِن أنفُسهِمْ وَجِئنا بِكَ شَهيداً عَلَى هؤلاءِ ونَزَّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شيءٍ وَهُدىً وَرَحمَةً وَبُشرى لِلمُسلمينَ ﴾[1] .

وكان قوله ويوم نبعث من كل أمه شهيداً عليهم من أنفسهم كما أخبر عز وجل يبعثه في من سلف من الأمم إذ يقول : ﴿ إنا أرسلنا إليكُم رَسُولاً شَاهِداً عليكم كما أرسَلَنا إلى فرعَونَ رَسُولاً فَعصَى فِرعَونُ الرسُولَ . . . ﴾[2] وقال : ﴿ . . . وَإن مِن أُمةٍ إلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذيرٌ ﴾[3] كما قال : ﴿ لَقَد جَاءَكُم رَسُولٌ من أنفُسِكُمْ . . . ﴾[4] . فأخبر أنه يقيم على أهل عصره الحجة بمن يصطفيه منهم ويختاره من بينهم وأنه لا يخلي أرضه من مأمورين منهيين وأمر لهم وناهياً منهم

١٣٨/ المعارف مصطفي مختار لتقوم حجة الله على خلقه/ بما أخبر من استشهاده لمحمد رسوله على من شاهده وكان في عصره دليل على شهادة المبعوثين الذي ذكره الله ع . ج في الدنيا لقوله لمحمد رسوله : ﴿ . . . وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتَابَ تبياناً لِكُل شيء . . . ﴾[5] .

أن لا يستشهد على من حضر من الأمم شاهد غائب عنهم مما قد سلف ولا لمن يأتي وإنما يستشهد عليهم من هو حاضرهم ومعهم في سرهم ونجواهم .

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال على رؤوس الإشهاد وهو أخذ بيد علي وقد علا به المنبر معه والناس محدقون به فقال : الحمد لله والثناء عليه والصلاة على نفسه والأنبياء قبله ثم قال : معاشر الناس هذا أخي وابن عمي وزوج ابنتي وأبو ولدي ووصي الخليفة من بعدي منزلته مني كمنزلة رأسي من بدني فاسمعوا له وعوا عني وكمنزلة عيني من رأسي وكمنزلة روحي من جسدي وكمنزلة قلبي من صدري وكيف لا يكون كذلك وهو سيف نقمتي وأبو عترني وساتر عورتي ومفرج كربتي

---

(١) سورة : ١٦ : ٨٩
(٢) سورة : ٧٣ من الآية ١٥ ـ ١٦
(٣) سورة : ٣٥/ ٢٤
(٤) سورة : ٩ من الآية ١٢٨
(٥) سورة : ١٦ من الآية ٨٩

ومنجز عداتي وغافر خطيئتي وأولى الخلق بأنه لا يخاف واحداً في . ثم قال : معاشر
الناس هذا علي بن أبي طالب خليفة الله فيكم وخليفة كتاب الله فيكم وخليفة
كتاب الله المنزل عليكم وبابه وحجابه الذي لا يؤتى إلا منه والقائم من بعدي ،
والقائم فيكم مقامي فاسمعوا له وأطيعوه فمن أطاعه وتولاه كان من العالين ورقى
إلى عليين ومن تخلف عنه وعصى كان في الآخرين . معاشر الناس والله ما قلت ما
قلته محاباة ولا ارتكاب هوى فيه ولا قلت إلا ما قاله الله لي مما أتى به جبرائيل عن
رب العالمين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم
١٣٩/ سرادقها معاشر/ الناس لا تعادوا علياً فتعادوا الله فهو سيف الله وآية الله ونور الله وأما
أوليائه ما سمى الله نبياً ولا رسولاً ولا إماماً ولا وصياً ولا ولياً باسم الصلاح إلا
بولايته علياً وإقراره به .

وهو صالح المؤمنين ويعسوب المسلمين وحبل الله المتين لولاه ما قام لله دين لأنه حجة الله وعينه على الخلائق أجمعين .|اللهم قد بلغت كما أمرتني فاشهد عليهم . ثم ضم علياً إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال : يا أبا الحسن أبشر فإنه لا يضرك كيد الخائنين وأنت ولي رب العالمين . ثم نزل عن المنبر آخذاً بيد علي وهو يقول : وليك وليي وعدوك عدوي فأبان عن مرتبته وكشف عن حقيقته وعرف بمنزلته وأنه روح الله القدسية التي خضعت لها كل المخلوقات وجعله السبب إلى توحيده والدليل على وجوده إذ نعته بصفته فهو جنب الله وعينه وأذنه ووجهه ويده ونفسه ليستأنس الخلق به إلى معرفة توحيده بإقامة حدوده فكان الحاد للحدود والظاهر بالوجود .

وروي عن رسول الله أنه قال : لما عرج بي إلى السماء الرابعة رأيت علياً جالساً على كرسي الكرامة والملائكة حافين به يعظمونه ويعبدونه ويسبحونه ويقدسونه فقلت حبيبي جبرائيل سبقني أخي علي إلى هذا المقام فقال لي : يا محمد إن الملائكة شكت إلى الله شدة شوقها إلى علي لعلمها بعلوه ومنزلته وسألت النظر إليه فخلق الله هذا الملك على صورة علي وألزمهم طاعته فكلما اشتاقوا إلى علي نظروا إلى هذا فيعبدوه ويسبحوه ويقدسوه وذلك قوله : ﴿ وَهُوَ الذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ

/١٤٠ وَفي الأَرْضِ إِلَهٌ و/ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ ﴾(١) .

وقد قال رسول الله (ﷺ) : النظر إلى وجه علي عبادة أعظم من الطاعة ، وأي طاعة تتم إلاَّ بطاعته ، فلذلك توجهت العباد إليه .

وقد روي عن أسد الهجري أنه قال : سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول في محضر من شيعته وأصحابه : ما آمن بالله ولا أقر بنبوة رسوله من لم يقر بولايتي ويطيعني حق طاعتي وإن سليمان بن داود سأل الله أن يعطيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأجاب الله سؤاله وأطاع له الجن والأنس وعلمه منطق الطير وأتاه من كل شيء فأعجز بملكه وما أوتيه فعرضت عليه ولايتي فتوقف عن ولايتي فسلبه الله ملكه وابتلاه بالجسد على كرسيه وسقطت نبوته يوماً حتى آمن بي وأقر بولايتي فزاد الله عليه ما سلبه وكشف عنه بلاءه الذي ابتلاه به .

وكذلك داود أمر بالحكم بين الناس فحكم وأعجز بما صار إليه فعرضت عليه ولايتي فتوقف فابتلاه الله بما خطر في قلبه حتى أقر بولايتي ورجع إلى طاعتي وأناب وتاب ، وكذلك أيوب عرضت عليه ولايتي فتوقف فابتلاه الله بما ذكره من بلائه وامتحنه امتحاناً عظيما فوجده صابراً على البلاء حتى أقر بولايتي فعافاه الله مما ابتلاه وكشف عنه ضره وكذلك يونس عرضت عليه ولايتي فتوقف فابتلاه الله بالحوت الذي ابتلعه كما قال الله جل وعز : ﴿ فَلَولاَ أَنَّه كانَ مِنَ المُسبِّحينَ لَلَبِثَ في بَطنِهِ إلى يَوم يُبعَثُونَ ﴾(٢) . فلما أقر بولايتي وعرفني خلصه الله مما أبتلاه ، فما من نبي إلا وعرضت عليه ولايتي فمن سارع إلا الإجابة بالولاية كان من المرسلين ومن بطأ عن الإجابة بولايتي والإقرار بي كان غير مرسلاً وإن ولايتي ولاية الله وهو
/١٤١ قوله هنالك/ الولاية لله الحق فهي ولايتي فمن أقر بولايتي فقد أقر بالله واعترف بوحدانيته وأقر لمحمد بالنبوة ومن أنكرها فقد أنكر الله وكفر به وأنكر رسوله ومن لم يؤمن به .

(١) سورة : ٤٣/ ٨٤ (٢) سورة : ٣٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤

وروي عن أبي ذرجندب أنه قال سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو يقول : أنا دين الله حقاً أنا نفس الله حقاً لا يقولها غيري ولا يدعيها مدع إلا كذاباً وأنا الذي عظمني الله فقال في قسمه : ﴿ فَلاَ أُقسِمُ بِمواقِعِ النُّجُومِ ﴾[1] وأنه لقسم لو تعلمون عظيم وأنا العلي الكبير وأنا اذن الله التي ذكرها فقال : ﴿ . . . وتعيها أُذُنٌ وَاعِيةٌ ﴾[2] أنا جنب الله الذي ذكره فقال : ﴿ أَن تَقُولَ نَفسٌ يا حَسرتي عَلى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ . . . ﴾[3] وأنا وجه الله الذي ذكره بقوله : ﴿ . . . فَأَينمَا تُوَلواْ فَثَمَّ وَجهُ اللهِ . . . ﴾[4] اسمي في القرآن حكياً وفي التوراة كلاً وفي الإنجيل حتماً وفي الزبور بشراً وفي صحف ابراهيم أولاً وآخراً وإناباً لغيب خبير وبما يكون عليم وفي العالم قديم وفي السموات بصير وبما في الأرضين عارف فتدبروا أيها المؤمنون لما مَنّ عليكم من الحكمة البالغة بمعرفة الحدود الدالة على حقيقة المعبود تدبروا أينما تسمعونه وعوه واحفظوه يصح لكم التوحيد بقيام الشاهد والمشهود فيوردكم دار الخلود .

واعرفوا الأولياء بحقيقة الولاء وتبرأوا من الأضداد الأدعياء تكونوا سعداء فلن يصح موالاة ولي إلا بالبراءة من عدوه فقال في البراءة من الأضداد والأعداء لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم
/١٤٢ وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح/ منه ،
فلم يثبت لهم الإيمان إلا بالبراءة من الأهل والأقربين وتجنبهم الأعداء الأبعدين فلما صح لهم البراءة أيدهم بالروح الذي هو حقيقة الولاء .

وقد تقدم ذكر الروح وما هي في نفس التأويل فيما تقدم فاعرفوا أيها المؤمنون المستمعون كيف تبرأوا من أعداء الله وأعدائكم كما عرفتم تتولوا إمام عصركم وولي زمانكم فلن تصح البراءة إلا بمعرفة الأعداء بأسمائهم وأعيانهم وصفاتهم ونعوتهم كما لا تصح الولاية إلا لمن عرف الولي في كل عصر فاعتقدوا ولايته بنية صادقة وعزيمة وتسليم إليه .

---

(١) سورة : ٥٦/ ٧٥
(٢) سورة : ٦٩ من الآية ١٢
(٣) سورة : ٣٩من الآية ٥٦
(٤) سورة : ٢ من الآية ١١٥

ولم يتعقب أفعاله بالعارضة وعمل بأوامره ونواهيه فهذه صفة المؤمنين بالغكم الله حسن اليقين وثبتنا وإياكم على ولاية أوليائه وعداوة أعدائه إنه ولي الإحسان وأهل الغفران .

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد نبيه وعلى عترته وأهل بيته الطيبين الطاهرين الأكرمين أئمة المؤمنين المنتجبين ليوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . تمت السورة بتأويلها وشرحها وما جمع إليها بعون الله وإحسانه ومنه وليه تأليف جعفر بن الحسين بن أبي علي بن الفرج بن حوشب منصور اليمن . قدس الله روحه وحشره مع مواليه الأئمة الطاهرين آل طه وياسين صلوات الله عليهم أجمعين .

قد وقع الفراغ من انتساخ هذا الكتاب المستطاب المسمى بسرائر النطقاء يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م كتبه أقل الأقل عبد الحسين علي محمد بن سوري هدية للشفيق المستفيق للبذل في صالح الأعمال مهجته وطارفه وتليده المنفق الملا محمد على رنالاوي .

القسم الثاني من كتاب

سرائر وأسرار النطقاء

١٤٣/ / لقد تركنا بعض التكرار الذي تقدم ذكره في الأول من قصة ابراهيم من كتاب أسرار النطقاء ونحن الآن نبتدىء بذكر ولادته في الباطن .

اعلم أن أمه التي هربت به داعية ، وذلك أن ابراهيم قد كان تربى بين يدي أبيه تارخ وقد جاء في التوراة أن ابراهيم تزوج سارة ابنة هاران عم ابراهيم ، وهو لوط بن هاران ، وقد قيل إن هاران أيضاً أخ لابراهيم فسارة ابنه عم ابراهيم وهي سارة ابنة هاران بن قامر ، يعني هاران الأكبر عم هاران الأصغر ، وهاران وابراهيم ابني تارخ وإنهما إخوة لأم وأب ، وأنه قد كان وقع إليه شيء من العلم المخزون عن أعداء الدين فكان يناطح به أهل الباطل من أهل ذلك العصر .

وهو يلح في الطلب والبحث فما خفي عنه وجود الحق ، إذ كان الوقت الذي تربى فيه خاف عليه أبوه من ضده لما رأى فيه من القوة والطلب ، فعندما علم الله من نيته فاعلمه أباح له شقيقه وحبيبه وهو ما حكاه عنه الكتاب أنه لاح له الكوكب وذلك عند هدوء الليل وقوة الظلمة يدعو إلى دين الله وتوحيده ، وأخذ عليه عهد الله وميثاقه في ترك ما كان عليه من دين حام بن نوح وولد كنعان بن نوح لعلمه أن أبيه متصل بدعوتهما فلما حصل ما حصل لابراهيم من النور في الكوكب وراء ما سره أقبل يسعى في ظلمة الليل فمتى أضاء له من خليله نور باق مشى فيه وإذا أظلم
١٤٤/ عليه من هيجان الظلمة على النور استتر عن أعدائه فعندما/ رآه من برهان خليله وقوة تأييده ، شهد له بالربوبية وأنه كان متيقناً ولم يشك في أمره بل هو متبع مهتدي بهديه ، والمواد يطرأ منها شيء بعد شيء حتى استوعب نور الكواكب وذلك عند وفاء أيامه وانقضاء مدته .

ولما حضرته الوفاة وهو قوله : ﴿ . . . لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾[1] وحضرته الغيبة رفعته إلى حجته وهو القمر الذي حكاه الكتاب عنه أنه رآه فسكن ما به عند رؤيته من الإضطراب ، وسأله الكوكب أن يقيمه مقامه ، وأن يورثه منزلته ، إذ كان أعز ولده عليه ففعل به الحجة ذلك فلما اتصل به من نور القمر ما فاق نور الكوكب قال هذا ربي ولم يزل يسعى بين يديه إلى أن حضره الأفول وهو الغيبة كما قلنا رفعه القمر وهو الحجة إلى إمام زمانه وسأله أن يقيمه في منزلته عنده فأجاب مسألة فصار .

ولما حضر إمام الزمان وهو صالح النقلة أوحى إليه أن سلم نور النبوة وميراث الأولياء إلى ابراهيم ففعل وأحضر نقبائه وسلم بمحضر منهم وكان من أمره ما قصه الكتاب وهو ما حكاه الله تعالى بقوله : ﴿ وَاذكُر فِي الكِتَابِ إِبْراهِيْمَ إِنَّهُ كانَ صدِيقاً نَبياً﴾[2] . فعند ذلك قال ابراهيم لقومه : ﴿ . . . إنـي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إنـي وَجَّهتُ وَجهِي لِلَّذي فَطر السَّموات وَالْأَرضَ حَنيفاً . . . ﴾[3] فأراد بذلك أنه توجه للذي نصب انطقاء وهم السموات ، والأسس وهم الأرضون ، وإنـي بريء من أئمتكم الذين أشركتموهم بأئمة ناطق زمانكم وجعلتموهم آلهة من دونهم ، حنيفاً ،
١٤٥/ والحنيف/ هو المائل عن الشيء بقوله قد ملت عن باطنكم وما أنا ممن يشرك إمام ضلال بإمام هدى .

وقد روي أنه لما أقيم في الحجية قبل أن يرقى إلى درجة النطق كان قد أطلق له مجادلة رؤسائهم بنفسه حتى كسر عليهم ما في أيديهم وذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبيراً لَّهُم لَعَلَّهُم إليه يَرجِعُونَ ﴾[4] وهو الذي كانوا يرجعون إليه في أمر دينهم ويقتدون به ، وإنه كان أقر بابراهيم سراً ، وإن ابراهيم رجى أن

---

(١) سورة : ٦ من الآية ٧٦
(٢) سورة : ١٩/ ٤١
(٣) سورة : ٦ من الآية ٧٨ ـ ٧٩
(٤) سورة : ٢١/ ٥٨

يرجعون إليه كما رجع ذلك الرجل وهو قوله : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوه عن تحقيق ما قلته .

ولما جادلهم صاحبهم بذلك لزمتهم الحجة ورجعوا إلى أنفسهم يعني أكابرهم بالأئمة وقالوا لهم إنكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم ، أي أحال القوة على رؤسائهم لأنهم عنهم أخذوا بألسنتهم نطقوا ، أي ما لهم حجة تقوم ، ولا علم يشتفي من موجد القلب فعندها قال ابراهيم : ﴿ ... أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ ... ﴾[1] يعني وليكم الذي هو منصوب بأمر الله من لا دين ولا سلطان من الله ، أف لكم ولما تعبدون .

وعندما اجتمعوا رؤساء الطواغيت إلى ضده ، وأوقدوا عليه نار الفتنة ، واجتمعوا إلى مكروه ليطفئوا نور الله بأفواههم فجعلهم الله الآخرين أعمالاً ، واطفاء نيرانهم التي أوقدوها عليه .

وقد روي أنه لما قدم إلى المنجنيق ليرموا به في النار ضجت الملائكة إلى الله فقال لهم إذا استغاثكم عبدي فأغيثوه ، ووجه جبرائيل إليه وهو في كفة المنجنيق فقال له يا ابراهيم هل من حاجة ؟ فقال أما إليك فلا . قال فإلى الله قال ولا إلى الله
١٤٦/ فقذفوه/ في النار ، ثم اهبطه فإذا هو في روضة خضراء فقال له جبرائيل ما معنى قولك لما قلت هل لك من حاجة ؟ قلت أما إليك فلا قلت فإلى الله ، فقلت فلا ؟ فقال ابراهيم إني رأيت المنجنيق قد نصب وجباراً قد غضب ، وناراً قد أضرمت ، وأنا قدمت فقلت أسأل أن ينقض حكمة أبرمها بمحبة الجميع منا وقد كان في ذلك الوقت قائم يدعو إلى شريعة .

وهذا تأويل نوح وكان كل من أجاب دعوته من المؤمنين يأمرهم بالرحيل من دار الضد وذلك لقصر يده عن نصرتهم ، ولعلمهم بالمحنة الجارية عليه وقلة صبرهم ولذلك كان يأمر رسول الله (ﷺ) أهل إجابته في وقت قيامه بالدعوة إلى

---

(١) سورة : ٥ من الآية ٧٦

إمامة بحيراء والقيام بشريعة عيسى ، وهو قوله لأهل إجابته من لم تكن له عشيرة تمنعه من ضده فليفر إلى أرض الحبشة .

وقد جاء في التوراة أن ابراهيم لما اتصلت[1] به المادة من ربه أوحى إليه أن اخرج من دار ضدك والبلد الذي ربيت فيه إلى البلد الذي أورثك إياه ، فعند ذلك أرسل ابن أخيه لوطاً إلى الشام ليطلب له دار هجرة فخرج له لوط من دار الضد لما أرسله ابراهيم فلم يزل يدور البلدان حتى نزل أرض المقدس وهو موضع قبر ابراهيم ، وهو مع ذلك يدعو من أجابه إلى إقامة ابراهيم فأجابه أهل ذلك البلد وقبلوا دعوته ، فلما قويت يده وكثر نسله كاتب ابراهيم بالمسير إليه فخرج ابراهيم من دار ضده ممن بقي معه من دعاته وأكابر المؤمنين الصابرين في البأساء والضراء
١٤٧/ وكانت عدتهم في ذلك/ اليوم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أهل الثقة والديانة .

ومما يروى أنه إذا تم الإمام هذه العدة جامعاً حدوده بعد أن يكونوا بهذه الصفة من الثقة والديانة ، وأن براهيم لم يزل يجد المسير حتى دخل مدينة (حران) وكان ملكها أيضاً بصيراً بعلم النجوم وأهلها على ذلك الحال إلى وقتنا هذا ، وقد كان وصل إليهم من مذهب الحق لأن بعض دعاة صالح وقع وأنه رأى في نجامته ما رآه من حال ابراهيم بأن رجلاً يولد بالعراق ويكون خراب بلده وزوال ملكه على يديه ، وأن ابراهيم لما دخل حران أقام بها أياماً وخلص على يديه جماعة من المؤمنين ممن عقد عليهم لوطه وفي كل بلد يقول لما أجابه أن انزح من دار ضدك فيأمره بالمسير إلى الشام لعلمه بما يكون من المحنة .

وذكر أن سارة وهي ابنة الملك قد كانت قرأت الكتب ودرست أخبار الناس واتصل بها شيء من مذهب الحق من جهة أبيها فجعلت على نفسها أن لا تتزوج إلا من رأت فيه[2] شيئاً من تلك العلامات ، وسألت أباها في ذلك فأجابها إلى ذلك ،

---

(١) في ب : اتصل

(٢) في ب : فيها

فابتنت لها مجلساً عظيماً كبيراً حسناً وجعلت في أعلاه مسترقى تجلس فيه للنظر فترى من يدخل البيت ولا يراها أحد .

وأمرت بعمل الطعام حين رأت في نجامتها من الصفة وتبين قرب الأجل ، وأنها لم تزل ترصد الأوقات إلى ذلك اليوم وأمرت بعمل الطعام وأن يدعو أهل البلد إلى طعامها كل ذلك لطلب حاجتها وما تحقق في قلبها وأنه لم يزل الناس يدخلون
/١٤٨ ذلك المجلس وموائد الطعام منصوبة/فوج بعد فوج يأكلون وينصرفون حتى أتت على جماعة أهل البلد خاصة وعامة وهي تنظر إليهم من ذلك الموضع من حيث لا يراها أحد ، فلما لم يبق أحد من خاصتها من أهل بلدها ، أمرت بالطعام للغرباء ومن طرق البلد .

وكانت قد عملت تاجاً جليل عظيم المقدار مرصعاً بالدرر والجواهر ، وأقسمت[1] على نفسها أنها إذا رأت الرجل الذي تصيب فيه الدلائل تجعله على رأسه ، فلما كان في بعض الأيام وهو الوقت الذي تحققت فيه الأمر أحضر ابراهيم وأصحابه وهم المؤمنون المستجيبون لدعوته البلد غرباء ، فأحضرت جماعة الغرباء للطعام ، وجلسوا على مائدة يأكلون ، وكان ابراهيم معهم فلما استقر بابراهيم المجلس ورأته أيقن قلبها بأنه هو ، فعند ذلك سيرت إليه من يخاطبه فلما سمعت منه بعض ما كان وقع إليها ، أنزلت جارية لها والتاج معها فلم تزل تتخطى رقاب الناس حتى أتت إلى ابراهيم فجعلت التاج على رأسه .

وعند ذلك حمل لوقته إلى الملك فسأله عن حاله وبلده ومن أين أقبل وإلى أين يريد فأخبره بخبره فصحّ عنده أنه المطلوب ، فقال له الملك : إن ابنتي قد آلت على نفسها أن لا تتزوج إلا ممن اختارته لنفسها وقد جعلت لها ذلك ، وقد اختارتك من بين هذا الخلق ، فقال ابراهيم : إني رجل غريب ، وأنا على سفر ؛ فقال له

(١) وأقسمت : وجعلت في ب

الملك : هي زوجتك أدخل بها إن شئت كما تقيم ، فتزوج ابراهيم بسارة كما تزوج موسى بصفراء بنت شعيب ، وأقام معها أياماً .

/١٤٩ وقد روي أنه عقد عليها/ وعلى أبيها ببيعته، وأقام أباها في بلده يدعو إليه ورحل بها ومن كان معه من المؤمنين . وروي أن زواجها كان على الروحانية والجسمانية ، وأطلق يدها في الدعوة وأنه من تزوج امرأة على الروحانية والجسمانية لا يتزوج عليها امرأة ، ولا يتسرى جارية إلا برضاها ، ولا يعارضها في شيء من ذلك من دينها ودنياها ، وكذلك فعل ولده رسول الله بخديجة الكبرى ، وعلي بن أبي طالب بفاطمة الزهراء .

وكذلك من بعدهم من ولدهم جعفر الصادق بأم اسماعيل وموسى ، وسار ابراهيم بأهله حتى نزل بعلبك ، وكان آخر عمل حران وآخر عمل مصر ، وكان صاحب مصر ملك القبط عظيم الشأن كبير السلطان بصيراً بعلم النجوم فرأى في نجومه كما رأى غيره من زوال ملكه على يد رجل يخرج من العراق فجعل الرصد بعلبك ووهبها لابنته وهي هاجر ووجه معها من يثق به من أهل خاصته وأمره بحفظ البلد والتفتيش على الداخل إليها بسبب ابنته المقيمة بها ، وأنه لم يزل على ذلك الذي أوصاه به من التفتيش ويرفع جميع الأخبار إلى مولاته إلى أن وصل ابراهيم إلى بعلبك فرآه المقيم بها ، فهاله ما رآه من هيبته وحسن منظره ، ففتش فلم يجد له شيئاً يتعلق به عليه ولا غيرها .

وأنه لما قام يفتشه رأى سارة فأفتتن بحسن منظرها فسأل ابراهيم عنها ما هي منه فقال أختي وأشار بالأخوة إلى طريق الدين لما تقدم من المزاوجة إياها على

/١٥٠ الروحانية فذهب الخاسر إلى غير ما ذهب إليه ابراهيم/ فسأله تزويجها فامتنع من ذلك فاعتقله ، وحبس ابراهيم معروف إلى وقتنا هذا ببعلبك وأخذ سارة منه ووجه بها إلى مولاته هاجر ولم يعلم الخاسر كيف يجري أمر الله في أوليائه وهو يقول : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ . . . ﴾[1] وقال : ﴿ . . . فَلاَ يَأمَنُ مكْرَ اللهِ إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾[2] .

---

(١) سورة : ٣من الآية ٥٤ (٢) سورة : ٧من الآية ٩٩

وابراهيم لم يهاله شي من أعماله لثقته بربه ، وإن سارة لما دخلت على هاجر هالها ما رأته منها وهابت موضعها فأمكن سارة الفرصة منها ، ولم تزل تلاطفها حتى سكن ما كان بهاجر من الهيبة لسارة ، فعقدت عليها إمامة ابراهيم عند إمكان الفرصة وأعلمتها أنه هو المنتظر الذي هي وغيرها ينتظرونه لما رأوه في نجومهم .

وقد روت العامة أن سارة لما راحت إلى الظالم ومدّ يده إليها جفت يده فاستغاث بها فأغاثته وأنه أصابه ذلك ثلاث مرات وذلك أن مولاته هاجر دعت لوقتها وأوقفته على حال الرجل وما هو عليه وأنه مدّ يده إلى سارة فعقدت عليه إمامة ابراهيم وكف الله يد الظالم عن أوليائه وأنه أطلق سبيله وعرض عليه أموالاً وخلعاً فلم يتقبلها منه وأنه أقامه على حاله ببعلبك يدعو إليه وخرج بأهله .

وروي أن هاجر لما رأت سارة قد خرجت من عندها قالت : لا حياة لي بعد مولاتي فلذلك روت العامة أنها جاريتها ، وسار بأهله حتى نزل بفلسطين . وقد جاء في التوراة أنه لما استقام أمره بفلسطين أوحى الله إليه أن مدّ عينك شرقاً وغرباً
/١٥١ فكل ما تراه فقد وهبته/ لك وجعلت جميع أهل الأرض عبيداً ، وأما لعقبك من بعدك وأنه لم يزل هو ولوط مصلحان إلى أن كثر جمعهما وقويت دعوتهما فضاقت بهم الأرض التي كانوا فيها ، وأقبل دعاتهم يتخاصمون على الرعي والمأمن ضيق الموضع فأوحى الله إلى ابراهيم أن اقسم الأرض بينك وبين لوط .

وأنه جعل من تنجيس لوطا حظه لما تقدم له من الخدمة والنصيحة في الشريعتين في آخر شريعة نوح مع صالح وما ابتدأ به من اتخاذ دار هجرة لابراهيم فأحضره ابراهيم فقال له : اختر لنفسك أي بلد شئت فسر إليه فوقع اختيار لوط على سدوم وعمور فجمع أصحابه وسار إليها وكانت كثيرة الخير والعمارة والخصب ، وكان أهلها قوماً أشراراً عاصين له ، بهم كثيرين من الخطأ على أنفسهم .

وأقام ابراهيم بفلسطين من بعده إلى أن كثر ماله وسرجه وعبيده وأهل إجابته ، فقال له ملك فلسطين : قد ضيقت عليّ فاطلب لنفسك أرضاً تنزح إليها

فانتزح ابراهيم إلى بير سبع وهي برية مكة فعمرها وأقام بها سبع سنين ، وقد جاء في التوراة أنه أشرف يوماً على سدوم وعمور فأوحى الله إليه أن قومها قد كثر خطأهم وعظم بلائهم وكثر ضجيج مظلومهم على ظالميهم ، وها آنذا مهلكها ومن فيها وقد أعلمتك بذلك لأن من عاداتي في أوليائي انتقمت منه وأوقفتهم على فعله بأعدائي إذا كثر بلائهم ، فقال ابراهيم : حاشاك يا رب حاشاك أن تهلك الصالح بذنب
/١٥٢ الطالح والمحسن بذنب المسيء/ولعل أن توجد فيهما خمسون صالحاً ، فقال له : يا ابراهيم فإن وجدت فيهم خمسين فأنا وهبت المسيئين لهم ، قال ابراهيم : فإن نقصت من الخمسين خمسة فتهلك الخلق هذه الخمسة وإني لم أزل أراجعه وأنقص خمسة خمسة إلى أن وقف الأمر على عشرة فقال إن وجدت عشرة فإني لا أهلكهم ، فعند ذلك أيس ابراهيم وأرسل الله في تلك الليلة إلى سدوم ملكين وأمرهما بقلبها ، وإن الملكين أقبلا إلى المدينة فأصابوا لوطاً قاعداً على بابها فتلقاهما بالسير وسألهما أن يضيفانه فامتنعوا من ذلك فلج عليهم وخضع وهم يمتنعون ، إلى أن قبل الأرض بين أيديهما فأجابوه .

ولما حصلوا عنده وتمكن بهما المجلس أقبل عليهم بالسؤال من أين جئتما[1] وإلى أين تريدان ؟ فقالوا : إن الله أرسلنا إلى هذه المدينة وأمرنا بقلبها لأن ظلمهم قد ارتفع إلى الله وقد تمّ وعده فيهم ، فبينا هم على ذلك من السؤال إذ أقبل أهل المدينة إلى دار لوط فقالوا له : أين الرجلان اللذان باتا عندك أخرجهما إلينا لننكحهما ، قال لوط : وما دعاكم إلى ذلك وبناتي أطهار أبكار وهن أطهر لكم . فقالوا لا حاجة لنا في بناتك ، وإنا لا نخلي عن ضيوفك ، فلما طال خطابهم قالوا له : أنت جئت إلينا بالأمس لتسكن عندنا فاليوم صرت تسيطر علينا ، وهمُّوا بالدخول إليه فأغلق الباب في وجوههم فعزموا على كسره فأخذ الرجلان فأدخلا وأوثقا الباب .

/١٥٣ وأقبلوا يضربون الباب بالسكك[2] فاجتمع إليهم أصحابهم من ناحية/

---

(١) جئتما : سقطت في ب

(٢) بالسكك : بالكرس في جـ

فعندها قال الرجلان للوط : إجمع أهلك ومـن كان معـك من المؤمنـين بك فإنا مهلكوهم في هذه الساعة ، وسألهم الصبر فأبوا عليه فدعا لوط بابنتـه وزوجتـه وسائر المؤمنين وخرج من المدينة وتأكد عليهم الرجلان أن لا يلتفت خلفه ولا يلتبث في شيء من أعمالها ، وسار بأهله وخرج الرجلان معهم حتى أخرجوهم من المدينة إلى صحرائها فأمطر الله عليهم كبريتاً أحمر بنار فأحرقت المدينة ، وسائر من بقي من أهلها .

ولما سمعت زوج لوط بوقوع المطر التفتت تنظر ما صنع الله بأهلها فصارت تصبيه ملح ، وسار لوط وابنته ومن كان معه من المؤمنـين إلى الخـروج من سائـر البلد ، فرأى مضارة فأوى إليها وبات بها ، وأقبل بالدعاء والإبتهال .

وقال في دعائه : اللهم ارزقني موضع استترفيه ، ولم يزل على ذلك إلى أن أصبح ، فسار بأهله حتى أتى قرية صغيرة كثيرة الخير فقال لأهله : إن هذه قرية لا تقوم بنا ولكني أقيم بها إلى أن يسهل الله غيرها لنا ، وإن ابنة لوط الكبرى قالت للصغرى : إنا قد عدمنا الرجال فتعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه لنشفي منه وعسى أن نعقب نسلاً فأسقتاه الخمر فشرب وهو لا يعلم ما في نفسيهما فلما تمكن منه السكر ضاجعته الكبرى فنكحها بغير معرفة منه بما فعله حتى استملت بحمل ، فلما كان في الليلة الثانية فعلت به الصغرى ما فعلته أختها فنكحها فعلقت/منه فولد للكبرى ق ١٥/
ولد سمته مات ، وإليه ينسب أهل مات كلهم إلى اليوم ، وللصغرى ولد سمته عمان وإليه ينسب أهل عمان إلى وقتنا هذا .

وأقام لوط في ذلك الموضع إلى أن كثر نسله وفشا أمره ، فخرج إليه ملك من ملوك فلسطين ومعه خمسة ملوك فقاتلوه حتى قتلوا جماعـة ممـن كان معـه وأسروه وغنموا ما كان معهم ، فبلغ ذلك ابراهيم فجمع علمائه وجماعته المخصوصين به وأهل دعوته ودعاته وأتباعهم من المؤمنين فكان عدد ما كان معه من المخصوصين ثلاثمائة رجل سوى الأتباع وسار فيهم إلى أن لحق عدوه بنابلس وما يليها فوقـع بالقوم فقتلهم عن آخرهم حتى أنه ملأ بهم الأنهار والجبال .

واستخلص لوطا وجماعة المؤمنين من أيديهم ، ثم نادى في أصحابه المخصوصين به أن لا يأخذون شيئاً من غنائمهم وأن يسلموها إلى الأتباع ، فأتوه وقالوا : إن هذه الغنائم قد أثقلتنا وقد منعت عبيدك وأصحابك منها . فقال : والله لا يأخذ أحد منها خيطاً فما فوقه إلاّ النفوس لي والأموال وغيرها لكم .

وأنه لما بلغ ملوك فلسطين ما فعله ابراهيم وجهوا إليه بخلع وأموال عظيمة وهدايا فامتنع ابراهيم من أخذها ، وقال للرسل : تقولون للملك أنت بالأمس تهربنا من بلدك واليوم تهادينا . فرد الرسول وهو يقول : رغبة في اخائك ومسالمتك وقد جاوز لك بخير ولا يبرد الشك ما لم يبدك منا فأبى عليه وسار إلى بلده ، وكان
/١٥٥ ملك/ فلسطين خرج بنفسه إلى لقائه في بير سبع فاصطلحا ورجع معه ابراهيم وقسموا الأرض بينهما ، وقسم كل واحد منهما لصاحبه على ألا يبدي له منه سوء وأشهدا بذلك على أنفسهما ، وأقام كل واحد منهما في قسمته ، وأقام لوط بعمان إلى أن ماتا جميعاً ؛ ولو تقصينا ما كان من طلوعهما لطال الشرح عن حد الكتاب .

وقد روي أن ابراهيم لما طال به المقام ولم يرزق من سارة ولداً يرث مقامه ، وقد كانت تراه يطيل النظر إلى هاجر وقد كان يجري بين هاجر وسارة شروط عندما كانت ترى ابراهيم يطيل النظر إليها وهو ما جاء في التوراة أن هاجر هربت من سارة فتراءى لها ملك فقال لها : يا أمة الله أرجعي إلى سيدتك فإنك ستحملين وتلدين ابناً وتسميه اسماعيل ، وتكون يده العليا ، وسيولد له اثني عشر ولداً عظيماً ، وتذلل له الشعوب كلها .

وإن سارة لما أيست من الولد قالت لابراهيم إني أراك تطيل النظر إلى هاجر فأزوجك إياها على شريطة ، قال : وما هي ؟ قالت : إن ولدت غلاماً أخرجتها هي وولدها من بلدي . وإن ولدت جارية سلمتها إليّ لتربيتها كما ربيت أمها ، فضمن ذلك ابراهيم ! وذلك كما قلنا ان الإمام لا يتزوج عليامرأة يأتي من عقبها إمام إلا برضاها وإن ابراهيم تزوج بهاجر فولدت منه اسماعيل .

وقد ذكر في التوراة أن اسماعيل ولد ولابراهيم من عمره أربع وستون سنة
١٥٦/ /وإن الله جل اسمه لما علم من نية سارة ما علمه رزقها حملاً وهو اسحق بعدما/ كبرت وأيست من ولد ، وأن ابراهيم لما كمل له تسع وستون سنة اختتن وقطع غلفته بالقدوم ، وأنه ختن اسماعيل وهو ابن تسع سنين ، واختتن اسحق وهو ابن سبعة أيام .

وإن سارة لما رأت اسماعيل قد ولد، قالت لابراهيم : أين العهد الذي عاهدته على نفسك في هاجر وولدها؟ فأخذ ابراهيم اسماعيل وسار به إلى برية مكة بيت أبيه آدم وجعله له دار هجرة ، ولعقبه من بعده إلى تمام دوره ، بالقائم من ولده .

ولما خرج اسماعيل بن ابراهيم من دار أبيه طلب لنفسه دار هجرة كذلك اسماعيل بن جعفر من دار أبيه فطلب لنفسه دار هجرة ، ولذلك العرب لم تزل من حول مكة مدة ما كان أمر اسماعيل مستوراً ، وبذلك عقد عليهم قيدار بن اسماعيل فانهم كانوا يتوارثون الموضع خلف عن سلف حتى إنهم يجاهدون عليه ويقتلون وهم صابرون، ويبشرون بظهوره بقيام الولد محمد ، ويكشف لهم أمره ، ويدعو إليه .

وإنه لما ظهر وانكشف أمره سلم إليه ما كان ينتظروا فيه من أهل البصائر والمعرفة من العرب والعجم ، وعنده أهل الرأي والقياس ، أهل العمى والإلتباس ، عبدة إبليس كان زمان الذين يزعمون أن الله قد أخلى أرضه من حجة قائمة بقسطه .

شرح ما أشار به ابراهيم من ختان وغيره مما يقرب معنا

وقد جاء في التوراة أن ابراهيم لما سار باسماعيل إلى مكة وافق رفقة من جرهم قد تولوا شعابها فأضاف إليهم اسماعيل وعقد عليهم إلى إمامته ، وأنهم
١٥٧/ أعطوا لاسماعيل سبع أعنز ، فكانت أصلاً لماله ، ونشأ اسماعيل/ معهم وتكلم

بعلمهم ، وتزوج منهم ابنة معاد بن عمر الجرهمي ، فولد منها اثني عشر ولداً عظيماً كما جاء عن الملك ، وكان أكبرهم قيدار وهو الذي عمر البيت بعد أبيه اسماعيل .

ولما بلغ الختان الذي اختتن ابراهيم وهو ابن تسعة وتسعين سنة فإنه لم يزل مستوراً بشريعة نوح إلى أن كمل له تسع وتسعون داعياً ، منها ثلاثون داع بلاغ ، وأما اختتانه لاسماعيل فإنه لما تم المائة الداعي ، وذلك أنه نصبه عليهم ، وهذه *التسعة والتسعون النعجة لداود أنه أراد أن يتمها بزوجة أوريا بنت حنان* ، وذلك أنه ادعى برتبة التامية أنه كان خليفة ، وسنأتي به في موضعه إذا انتهينا إليه .

وأن ابراهيم لما كملت له حدوده المائة المتقدم ذكرها قطع ظاهر نوح ونصب اسماعيل بين يديه ، فصار ممداً لهذه التسعة وتسعين حداً ، وذكرت الرواة أنه ختن معه أولاد المؤمنين وكافة عبيده وأتباعه ، وذلك أنه كشف لأهل إجابته أمر أساسه والوصي بعده وهو اسماعيل ، وأما ختان اسحاق معه فهو ما عقد على اسحاق إلى إمامة أخيه اسماعيل .

قصة لوط

وأن ابراهيم لما نصبه حجة أفشى إليه سراً بأن يقيم الدعوة إلى اسماعيل في بلده ، وقدمه إلى اسماعيل وأخذ عليه الميثاق لنفسه ونصبه حجة بين يديه ، وأوصى إليه كما نصب موسى يوشع بن النون وجعله وصيه على ولد هرون ، ولم يحرمه من حظه من ميراثه لما كان أمه المرضعة في أيام شعيب ، ومملكة فرعون ، وأنه لما ملك
/١٥ موسى الدعوة جعله أحد نقبائه ، ولما مضى هارون جعله خليفة على/ ولده ونقبائه .

وأن الله أنزل على ابراهيم عشرين صحيفة وسار إلى مكة بعد نصب لوط وبعد أن بث نقبائه في الأرض للدعوة إلى اسماعيل إلى مكة ليعمرها وهو ما حكاه الله عنه : ﴿ وإذْ يَرفَعُ إبراهِيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيتِ . . . ﴾[1] واسماعيل فكان بيته المرفوع شريعته المرفوعة على شريعة الماضي ، وأمر أهل الشريعة المنسوخة بالدخول في شريعته من قبل أساسه .

ولذلك يقول فيه : وإذ يرفع القواعد من البيت واسماعيل ، فجعله شريكاً معه بقيامه بتأويلها ، وكانت قواعد حرمه الأربعة ، وهم الطيور التي أشار بها إلى جبال الشريعة المنسوخة ، وعقدوا عليهم إقامة الدعوة إليه وإلى وصيه اسماعيل ، وأعلموهم أن ذلك بأمر الله ووصيه إليه .

وقد جاء في الأثر أن ابراهيم سلم إليه هذه الأربعة الحرم فأشار بهم في جزائر الأرض إلى النقباء الذين هم جبال الأرض وأوتادها ، وأمرهم بإقامة الدعوة إلى الساعة ؛ وقد جاء في الأثران ابراهيم لما حضرته الغيبة أخذ على اسحاق بإقامة

(١) سورة : ٢ من الآية ١٢٧

الدعوة الباطنة إلى اسماعيل وولده إلى قيام قائمهم وهو محمد (ﷺ) ، وأخذ على اسماعيل بتسليم الظاهر ودعوته إلى اسحق وأمره بالقيام به هو وولده من بعده ، وأن يأخذ السلف منهم على الخلف بالوفاء بعضهم من بعض بإقامة الدعوتين ، وتسليم من لحق منهم الأمر إلى قائم ولد اسماعيل يعني به محمداً .

وأجابوا إلى ذلك الولدين على ما شرطه عليهما ، هو ما حكاه الله عنه بقوله لاسماعيل : ﴿ ... يا بنيَّ إني أرَى في المنَامِ أنـي أذبَحُـكَ ... ﴾[1] وقـول
١٥٩/ اسماعيل : ﴿ ... يا أبَتِ افْعَلْ مَا/تُؤمَرُ ... ﴾[2] ولم يقل افعـل ما رأيت في منامك ، وقوله : ﴿ ... ستَجدُني إن شاءَ اللهُ من الصَّابِـرينَ ﴾[3] فعنـد ذلك سلم ابراهيم لاسماعيل أمر الإمامة وإلى اسحق أمـر النبـوة ، وهـو ما حكاه الله بقوله : ﴿ ... يا إبراهيمُ قَد صَدَّقتَ الرُّؤيا ... ﴾ وقوله : ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾[5] .

وسمي هذا البيت الذي عقد به ابراهيم على ولديه اسماعيل واسحق بالوفاء بعضهم لبعض على ما شرطه عليهما جميعاً بيت المذبح ، ولذلك اتخذه عيسى لموضع كان يخلو فيه مع حواريه في وقت عقده عليهم بالتسليم بعضهم لبعض ، كما عقد ابراهيم ذلك في الأصل .

ولم يقف الخلق على سر الله فيه ، وفيه كانت التلامذة يأخذون على أهـل إجابتهـم بالعهـود ، وسماه محمـد بيت النحـر ، وذلك قولـه ﴿ فَصَـلِّ لِرَبِّـكَ وَانْحَرْ ﴾[6] ، وفيه كان عقد على أساسه ، وعقد الأسـاس على نقبائـه بالتسـليم بعضهم لبعض ونصب من ينصبوه من الشريعة المنسوخة كما فعل ابراهيم بابنه ، وكذلك فعل موسى بنقبائه حين جمعهم وأمرهم بذبح البقرة ، وجعل لهم سكيناً طولهـا اثنـي عشر اصبعاً ، وأمرهم أن لا يستعملوها في غير الذبح ، وأن لا

(١) (٢) (٣) سورة : ٣٧ من الآية ١٠٢
(٤) سورة : ٣٧ من الآية ١٠٥
(٥) سورة : ٣٧/ ١٢١
(٦) سورة : ١٠٨/ ٢

يقدموا للذبح إلاّ من يرضون الصلاة خلفه .

وكانت إشارته في ذلك إلى القيم الذي ارتضى إمامته ، وكانت هاجر أم اسماعيل قائمة بدار هجرة ولدها ، وهي مكة . وسارة قائمة بدار هجرة ولدها اسحق ، وأن سارة لما أمرت بالتسليم لاسماعيل حد الإمامة ضحكت ، والضحك هو كشف الأسنان وهو القهقهة وهو/ إبداء ما كان مستوراً ، وذلك أنها صرخت /١٠ وهمت بكشف الأمر فعند ذلك بشرناها باسحق ويعقوب فعند ذلك سكنت ، وهذا ماكانت تجده من أمر التسليم لاسماعيل وسلمت له ، وسلم اسماعيل إليها دار هجرة ولدها اسحق وأمرها بالقيام .

وعندها غاب ابراهيم وتولى الأمر من بعده خليفة في أرضه اسماعيل فأقام مدة حياته أمراً ناهياً فلما حضرته النقلة سلم لولده ميراث النبوة وتابوت السكينة المتقدم ذكرها ، وأوصى إليه أن يسلم أمر النبوة إلى يعقوب فمضى إليه وسلم إليه ميراث الأنبياء وأن لا يسلم إلى العيص ، وعايذاً بالله أن يفعل ذلك فلا يسلم إليه ميراث الإمامة ، ونادى الله أن يفعل ذلك ولا يسلم إليه وكذلك فعل .

قصة لوط قد تكرر ذكرها للعظة التي هي عظة لمن اتعظ بها

وذلك أن ابراهيم لما نصبه وسلم إليه البلد الذي أمر الله بالقيام فيه أمره ابراهيم بالصبر على الأذى وبما يكون من المنافقية من أهل دعوته ، والقيام بالدعوة إلى ابراهيم ظاهراً ، وإلى اسماعيل باطناً ، فنافق عليه قومه فيما كشف لهم أمر اسماعيل وامتنعوا من إجابته إلى ذلك ، ودفعوا وصية ابراهيم في اسماعيل ، وقالوا : إنا لا نقيم إلا ظاهر ابراهيم . وهو ما حكاه الله عنهم بأنهم يأتون الرجال شهوة من دون النساء والرجال فهم الذكور البلغ وهم الذين عقدوا عليهم إلى إمامة ابراهيم ، أولاً فهؤلاء الفئة التي نافقت وامتنعوا من الأخذ من دعاته الذين أطلقهم يأخذون لاسماعيل فيستغنوا عن نكاحهم إكما/ استغنى ضلال ملتنا من إجابة الوصي /١٦ ودعاته واعتكفوا على أصنامهم وما ألقوه لهم برأيهم وقياسهم ، ولذلك أنبأهم

بقوله : ﴿ ... لتأتونَ الرجَالَ شَهوَةً مِن دُونِ النِّساءِ بَل أنتُم قومٌ مسرِفونَ ﴾[1] وقوله : ﴿ أتأتُونَ الذكرانَ مِنَ العالمينَ وتذرُونَ ما خَلَقَ لكُم رَبُكُم مِن أزواجِكُم بَل أنتم قَومٌ عَادُونَ ﴾[2] .

ولقد عني أولئك الذين اعتكفوا على عاد وثمود وكذلك عني أهل ملتنا واعتكافهم على عجلهم الذين عجلوا نصبه كما اعتكف قوم موسى على السامري وعجله ، ولم يرضوا بنصب هارون فثوب كل قوم وشياهم بمن مضى من أسلافهم واستغنائهم بمناكحة أصنامهم الجسمانيين عن مناكحة أوليائه الذين يدعونهم إلى الحياة الدائمة الروحانية ، ألا ترى كيف أنبأهم بقوله : ﴿ وتَذرونَ ما خَلقَ لَكُم ربُكُم مِن أزواجِكُم ... ﴾[3] يعني الروحانية .

وتعتقدون على ما عقدوا أصنامكم لكم من المناكحة الجسمانية تكذيباً لدار المعاد ، ثم أعاد عليهم لوط القول فيهم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم من المنافقين الذين لا بصيرة لهم بالحياة الأبدية ولا دين يدينون الله به ، وكذلك فعل ضلال أملتنا لما اعتكفوا على عجلهم فقنعوا منه ما ألفه برأيه وقياسه من مناكحة الأزواج الربانية ليصدهم عن مناكحة دار المعاد ، ثم قال لهم فاتقوا الله ولا تحزنون في ضيفي أليس رجل منكم برشيد ؟ فقال المنافقون لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وأنك لتعلم
١٦٢/ ما نريد الذي نريده نحن ما هو عند/ بناتك من حق وأنك لتعلم ما نريد ، الذي نريده نحن ما هو عند بناتك بل هو عندك ، وهو الذي دعوتنا إليه أولاً ، ولو كان الأمر على ما تأولته العامة من قول أئمتهم برأيهم وقياسهم لكان خلق الله لنا عبثاً ، إذ لم يخلقنا إلا لهذه المناكحة الجسمانية دون خلاص أرواحنا ، ولكان لوط إنما حثهم على نكاح بناته وأمرهم بالفسق بهم ومنع عن ضيوفه ، والله جل وعز قد طهر أوليائه ونزههم عن الخنا والقول به فضلاً عن العمل بالخنا .

وحمل الأمة عليه وهو يقول جل من قائل : ﴿ ... إنَّ اللهَ لاَ يأمُرُ

(١) سورة : ٧ من الآية ٨١

(٢) سورة : ٢٦/ ١٦٥ - ١٦٦

(٣) سورة : ٢٦ من الآية ١٦٦

بِالفَحشَاءِ . . . ﴾[1] وقد وعد العامل بها بالعذاب ووعد العامل بالطاعة بالثواب ، فهذا أقبح ما تأوله أهل الملل على أولياء الله .

ولما حضرت اسماعيل الوفاة أوحى الله إليه أن سلم ميراث الأنبياء إلى أخيه اسحق حجة بين يديه يقيم نقباءه ، فدعاهم وسلم إليه بمحضر منهم وأشهدهم عليه وعلى نفسه فعقد له عليه الميثاق بالوفاء بما عهد إليه أباه ، وقد ذكرت التوراة أن اسماعيل عاش مائة سنة وهو قيام الدعوة باسمه ومات ودفن بمكة مع أمه هاجر بالحجر ، وكان مدة دور ابراهيم ووصيته وأئمة دورهما وأصحاب فتراتهما ألف ومائة وستون سنة ، وستة أشهر ، وثمانية عشر يوماً .

---

(١) سورة : ٧ من الآية ٢٨

قصة اسحق

وقام اسحق بعده بأمر الله ع . ج وتزوج بابنة خاله ، وولد له منها ولدان وهما : العيص ويعقوب ، كما تقدم القول به ، وقوله لابراهيم : ﴿ . . . وَهَبْنَا لَهُ
١٦٣/ إِسْحٰقَ وَيَعقُوبَ وَكُلاً جَعَلنَا نَبِياً ﴾[1] / إن اسحق كان محباً للعيص ، وإنه لما أراد أن يعدل بالأمر عن يعقوب كف بصره ، وهو انقطاع التأييد عنه .

وعنهما أن يعقوب كان راعي غنم والعيص صاحب قنص ، وأن أباه سأله أن يتصيد ويأتي بما صاده فيقرب به باسم أبيه وتقدمه إليه ليبارك فيه ، فسمعت أمهما وصيته له ، وكانت محبة ليعقوب واسحق محب للعيص ، وكذلك ما روي أنهما كانا توأمين في الحمل ، وأن أمهما لما جاءها المخاض تحاربا في جوفها ، وأن يعقوب قال لعيص : أنا أخرج قبلك لأنه كان تقدمه بالحمل ، وأن نطفته وقعت قبل نطفة العيص ، فقال العيص : تفتخر عليّ بالتقدمة والله لئن تقدمتني لأشقنّ جنبها ، وأخرجن منها . فقال يعقوب : أنا أتأخر وأقدمك فلا تقتل ، فتقدم العيص وخرج يعقوب من ورائه متعلقاً بكعبه .

ولذلك كانت أمه تحبه دون العيص لما سمعته أمه من مناجاته مع أخيه في جوفها وسمي العيص بهذا الإسم لعصيانه في جوف أمه ، واتخذ يعقوب هذا الإسم لأنه خرج متعقب أخيه ، وأن يعقوب أتى من رعية غنمه ، فقالت له أمه : يا بني إن أباك قد أمر أخاك بأن يتصيد يومه القربان فما صاده أتى به فذبحه باسم أبيه

(١) سورة : ١٩من الآية ٤٩

ليتبارك فيه ، ولكن أمضي أنت لوقتك بجدي من الغنم واذبحه باسم أبيك وتقرب
١٦٤/ به إليه ، وأنا احتال لك فيما تعمله ؛ فمضى يعقوب وأتى/ بجدي فذبحه ، وأخذت الأم جلد الجدي فشقته وكست به ظهر يعقوب وذراعيه لأن لا يعرفه اسحق وشبهته بالعيص ، لأنه أرت الشعر ، وقالت ليعقوب عندما قرب إلى أبيه القربان احذر أن تتكلم ، وإنه لما قرب القربان إلى أبيه مسح بيده على ظهره وبدنه فوجده كثير الشعر فضمه إليه وبارك فيه ولم يعرفه .

ومضى يعقوب إلى حال سبيله وإنما فعلت ذلك الأم لأنها خافت على اسحق الذلة لما رأت ميله إلى العيص ، ثم اقبل العيص من بعد يعقوب بصيده وأضجعه ، وذبحه باسم أبيه فسمع اسحق كلامه وأحس بما يعمله فقال : من أين جئت وما أنت صانع ؟ فقال : من حيث أمرتني ، فقال : أي بني إن أمك خدعتني وقدمت يعقوب إليّ ، ولكن اتني بقربانك فأتاه به ، وأكل منه ، وجر بيده عليه ، وبارك فيه .

وأنه لما خاف الوثبة بعضهم على بعض وأن يصيبهما ما أصاب ولدي آدم قبلهما ، فقسم الأرض بينهما ، وقال للعيص : قد أعطيتك ما وراء البحر ، وهو الذي في يدي ولده اليوم لأنهم من أصغر أبناء العيص ، وأمره بالخروج لوقته إلى ذلك الموضع ونشر الدعوة فيه باسمه ، وورث يعقوب أرض المقدس التي هي بيت أبيه ابراهيم إلى اليوم ، وأنه لما حضرت اسحق الوفاة أحضر يعقوب وتلامذته ، وسلم إليه بمحضر منهم .

قصة يعقوب

وقام يعقوب بأمر الله ووحيه إليه وأن أباه أوصى إليه أن لا يبرح من أهل
١٦٥/ الشام وأن يمضي إلى حران/ ويتزوج بابنة خاله راحيل وهو لايان ، وهي الصغرى ، ولا يتزوج الكبرى وهي ليا ، وأنه لما غاب أبوه واستقام أمره خرج من بلده يريد حران فأدركه الليل بموضع بيت المقدس ، وكانت صحراء لا أنيس بها فبات بموضع البيت وتوسد حجراً فرأى في منامه في تلك الليلة كأن سلماً منصوباً عند رأسه قائماً إلى السماء ، وإذا بالسماء قد فتحت أبواباً والملائكة تنزل إليه زمراً زمراً ، وتصافحه وتعرج ، فأوحى الله إليه في منامه في تلك الليلة ﴿ إِنَّني أَنَا اللهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْني . . . ﴾[1] إلهك وإله آباك .

وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكمة والنبوة ، ثم إني معك أحفظك حتى أردك إلى هذا المكان ، وأجعله لك ولولدك بيتاً يعبدونني فيه .

وانتبه مذعوراً لما رأى عند عرفان ذلك الموضع بيته الذي وهبه الله له فابتناه بالحجارة كهيئة الدار ، وسار قصد حاجته ، فلما وصل إلى أرض حران نزل بخاله لايان فأكرمه وأحسن نزله ثم سأله بعد ذلك عن قصد حاجته فأخبره بوصية أبيه ، وسأله أن يزوجه بابنته راحيل فقال له : ارع غنمي سبع سنين متواليات وهي لك ، فرعى غنمه فلما كملت سبع سنين طالبه بأخذ زوجته فلما كان في الليل أتاه
١٦٦/ بالكبرى دون الصغرى ، وكان اسم الكبرى لاما فابتنى بها/ في ليلته .

(١) سورة : ٢٠من الآية ١٤

ولما كان من غداة ذلك اليوم عرفها فأتاه في مجلس حكمه ، وكان رأس ملته فقال : يا خالي ولست عليّ ووافقتك على أنك تزوجني الصغرى ، وأعلمتك أنها وصية أبي وعهده إليّ فزوجتني الكبرى ، واستحللت خدمتي سبع سنين . فقال له : ومثلك يا ابن اختي يفضح خاله في هذا الموضع ومجلس الحكم ، وأن تجعلني أزوج الصغرى دون الكبرى أخدمني سبع سنين أخر ، وأزوجك بالأخرى ؛ فخدمه سبع سنين أخر وأخذ راحيل منه وعزم على الرحيل من بلده فمنعه من ذلك .

فقال : ما ولدت العنان من سود والمعز من بلق فهم لك خاصة في أجرتك فقبل ذلك يعقوب ، ثم عمد إلى عصا جوز وعصا ولت وعصا تين ، وهم رطائب فقشرهن وطرحهن في أحواض الغنم التي تشرب فيها ، فلما شرب من ذلك الماء ولدت الضان سوداء ، والمعز بلقاء ، فصارت الأولاد كلها ليعقوب وهم الصغار السمان المعائيل ، والكبار العجاف المدابير للأيان .

وكثر سرح يعقوب وهلك سرح لا يان ولذلك يقال ويضرب بهم الأمثال ، إخراف بني اسرائيل خير من كباشهم ، فلما رأى أولاد لايان ما حل بهم من الفقر وما أفاده يعقوب اشتد ذلك عليهم ، واشتد حسدهم ليعقوب ، وهموا بقتله ، فلما بلغ أولاد يعقوب ما عزموا عليه أولاد لايان وحسدهم/ له ، أتوا إلى أبيهم فأخبروه فخاف يعقوب على نفسه فجمع أهله وولده وخرج من بلد لايان هارباً .

ولما بلغ لايان الخبر جمع ماله وعبيده وخرج في طلبه ليرده ، وإن امتنع قتله فلما التقى به عند المساء بيّته تلك الليلة فرأى لايان في منامه قائلاً يقول له : إن هممت بيعقوب سوء هلكناك . فلما أصبح قال يعقوب : ما الذي حملك على ما فعلته ؟ قال : إنما اشتقت إلى بلدي . فقال له : فقد كان الواجب عليك أن تعلمني بذلك حتى أروحك وأسيرك بنفسي وأهلي بدفاف وطنابير .

وجرى بينهما ما يطول شرحه وقال لايان إني لا أستطيع أن أعمل معك قبحاً

لأن إلهك حذرني منك ، ولكن ردوا عليّ معبودي ، وكانت ابنة راحيل قد سرقت معبود أبيها ، فقال له يعقوب : ومن أخذ معبودك ؟ قال افتقدته بعدك وهو معك في رحلك ، ولكن أطلق لي التفتيش فقال له : فتش الرحل فمن وجدت معبودك معه قتلته ولا تستعمله ، فقبل لايان وفتش الرحل شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى إلى رحل راحيل ، فلما رأت ما وقفت إليها أخذت المعبود فجعلته بين فخذيها وجاشت عليه .

وفتش الرحل فلم يجد شيئاً فجاء إليها فقالت لا تمسني فقد عرض لي ما عرض للنساء فرجع عنها ، فقال له يعقوب : إنك قد بلغت مرادك فينا ، فقال له : آبائي شاهدين عليّ وعليك فلا تتبعني ولا تبتدئني بمكروه ، فقال له لايان :
إلهنا وإله ناحور شاهدان علينا/ وحاكمان بيننا . /١٦٨

ورجع عنه إلى بلاده ، فكان لايان قد أعطى بناته عند تزويجهما من يعقوب أمتين فاستنكحهما يعقوب فولد ليعقوب فهن أربعة ذكور ولراحيل ذكرين وابنة وهم : يوسف وبنيامين ودنية فولد له من بنيامين ستة ذكور فكان معه اثني عشر سبطاً من أولاده فجعلهم تلامذته بين يديه فاجتمع إليهم أمم ، وأنه صار ينتقل من موضع إلى موضع ويبسطون الدعوة باسمه حتى اجتمع له خلق كثير .

ولما قرب من بلده وبلغه قوة العيص وما هو فيه نزل بنابلس ، وكانت للحمير بين فأقام بين ظهرانيهم مدة وأقبل أولاده يسافرون البلدان ويأتون ، وكانت دنية ابنة يعقوب ذات جمال وكمال ، وأن حمير رآها ذات يوم فعلق فراودها على نفسها ولاطفها بالتحف والهدايا فأجابته إلى مراده ، وأقاما على ذلك برهة فعلقت منه بحمل .

ولما اشتهر أمرها جاء حمير أباها وقال له : إني شغفت بابنتك وأخبره بما كان منه ، وقد أردت مصاهرتك فزوجني إياها وأكثر عليّ الشروط في مهرها ما أردت ،

ولا تقلل فإني قائم لك بمرادك ونحن نريد مصاهرتكم على أن نتزوج منكم وتتزوجون منا ، فدفعه يعقوب إلى احضار أولاده ، لأنهم كانوا مسافرين فأتى بعد ذلك منهم عشرة وبقي إثنان وهما لاوي وشمعون وكانا أشد أولاده قوة وبأساً
/١٦٩ فعندما أتى أولاد يعقوب/ أخبرهم بما كان من خبر حمير وأختهما، فقال أولاده لا يمكننا أن نزوج ولا نتزوج من الغلف فإن اختتنوا صاهرناهم .

واختتن حمير وأمر بني عمه بالإختتان ، فأقبلوا يختتنون ، ولما أفاق حمير زوجه بدنية فدخل بها وأقاما أياماً ، فأتى ولدا يعقوب الغائبان فأنكرا على أبيهما فعله وقالا كيف زوجت أختنا بغلف فأخبرهم بختانهم ، وما كان منه ومن أختهم ، فقالوا هذه أعظم أن تنسب إلينا الزنى وإلى أختنا ، وأن يربى أولاد الزنى ، وإله ابراهيم وناحور لا رضينا بهذا .

وجمعوا من كان معهم من الأتباع والمستجيبين وأخذوا باب المدينة على الحميريين وهم غفول عما يراد بهم وأكثرهم وجعون من الختان ، ودخلوا عليهم المدينة فقتلوا مولاهم ورئيسهم وهو زوج أختهم وطلبوها فهربت عليهم وكتمت الولد وأنكرته ، واستثقل يعقوب ما فعلوه وخاف على نفسه وولده أن يجتمع عليهم القبائل فيهلكونهم ، فقال لشمعون ولاوي : إنكم إخوان الظلم ، ورأس كل فتنة ، وخرج عن نابلس لوقته يريد بيت أبيه .

وإن العيص لما بلغه ما فعل وخروجه إليه جمع أتباعه وأهل إجابته وقال أنا ألقاه فاقتله وولده وانتقم للحميريين ولي منه ، فبلغ يعقوب جمعه فكتب إليه من
/١٧٠ يعقوب اسرائيل الله إلى مولاه العيص بهذه المكاتبة وقال ما جاءني لا يستنصر بي/ وقد سمي بهذا الإسم ، فأنا أخرج إليه بنفسي فإن رأيت منه خلاف ذلك كنت قادراً على قتله ، وإذا أنا لقيته سلمت عليه وعانقته ورميت يدي في عرقه وعصرته عصرة قتلته ، وأرحت منه واطمأنت البلد .

وكان يعقوب أقوى أهل زمانه وأشجعهم ، ففرق جمعه وخرج إليه بنفسه

وأهله فلما قرب منه أمر يعقوب أولاده أن يمنعوه منه ولا يدعوه يدنو منه وجمعهم حوله وتهيب فكان أسباطه أولي قوة وبأس ، وأن العيص لما هم بالدنو منه دفعوه وهموا به وقالوا تنحى يا عدو الله عن القرب من وليه ، فارتاع وهاله ما رآه منهم ، ومن هيبته ، وندم على ما فعله .

ودخل يعقوب البلد وصرف جمعه وعمر البلد وجعل قبر جده قبلة ، واحتجب عن الخلق فأقام أسباطه حوله وجعلهم يلوذون به فرسم لهم رسم أبيه آدم مع ملائكته بالطواف أسبوعاً والصلاة إلى البيت ، فلما رأى العيص ما رأى هاله ذلك ، فلما جن عليه الليل في بعض أيامه كشف عن بصره فرأى الملائكة ينزلون من السماء فيصافحون يعقوب ويسلمون عليه ، ويلوذون بالبيت ، ويسبحون حوله ويهللون .

فعند ذلك هاله الأمر وعلم أنه لا طاقة له وأن حيلته لا تتم عليه فاستأذنه في
/١٧١ الرحيل عن بلده فأذن له فرجع إلى موضعه، وعبر البحر وجمع من معه فكل/ ما يرى وراء البحر فهو من أتباعه وشيعته ومن عقبه وعقب ولده الأصغر ، وعمر يعقوب البلد بعده ، فلما استقام أمره اقبلت الوفود تأتي إليه من كل بلد فأتاه في من أتاه قيدار بوصية اسماعيل ، وقد تقدم القول بذلك .

وقد روي أنه لما قرب من بلده جمع أسباطه وقال لهم : إن ابن عمي قيدار قد أتى ليسلم إليّ تابوت السكينة وميراث النبوة ، وإنه يوم كذا وكذا يأتي فلما كان في ذلك اليوم أتى قيدار فتهيب وأمره بالدخول إليه ولقيه وعانقه ، وسلم عليه ، وأحسن نزله ؛ فلما خلا به سلم إليه وديعة أبيه ووصيته ، فنظر يعقوب إلى قيدار فلم ير النور المتوارث فيهم بين عينيه ، فقال له في مخاطبته : يا ابن عم هل وقعت بأهلك قبل مجيئك إلينا ؟ قال نعم . فحبس يعقوب على ما في نفسه وقبل منه ظاهر أمره ، واستتر على الخلق ما رأوه منه بقدومه وتسليمه .

وقد روي أنه ولد لاسماعيل كما ذكرنا آنفاً عن الرواة اثني عشر عظيماً ، وكان

العلم والإمامة ونور الإله الأعظم المتوارث من آدم اجتمع في قيدار بعد أبيه اسماعيل الذي هو أساس الدين ، ووارث علم الأولين والآخرين ، وأن ذلك النور لم يزل ينتقل والعلم ميراث الإمامة في الأعقاب خلف عن سلف إلى قيدار
/١٧٢ فانتقل في عقب/ قيدار إلى حمل ، وانتقل من عقب حمل إلى سلامان ، ومنه إلى ولده نبت فأعقب نبت بالهميسع وأربعة معه ، فكتمه نبت واستودع الهميسع سر الإمامة لولده أدد ، وستر عن إخوته وأمره أن يودعه لعقبه فدفعه لولده آد ، ولم يكن يعقب ولداً ذكراً غيره .

ولم يزل إلى أن أعقب آد عدنان وستة ذكور وكان يؤثره على أولاده الستة فلما حضرته النقلة إلى دار كرامته أوصى إلى عدنان أن يكتم ما أودعه إياه ولا يدفعه إلا لمن يثق به ، ولم يكن قد رزق ولداً ذكراً إلاَّ بعد نقلة أبيه فأعقب ابنه معد بعد أن كبر سنه فأوصى إليه أن يكتم سره إلى أن يدفعه إلى عقبه ، وأعقب معد نزاراً فلم يزل مكتوماً عن أضداده في شريعة موسى .

وتظاهر الفراعنة عليهم إلى أن تم دور موسى على رأس نزار ، وأوصى إلى ولده مضر عند ظهور شريعة عيسى ، فلم يزل مستتراً إلى أن أعقب الياس ، وأعلمه بسر الله الذي هو عنده ، وسلم إليه ما كان عنده من ميراث الإمامة ، وأوصاه بكتمانه فكتمه إلى أن أعقب بمدركة ، وتسلم منه الميراث سراً وأعقب مدركة خزيمة ، وظهر في عصره تغلب فراعنته دور عيسى ، وتظاهرت العرب على شريعة عيسى فأظهر خزيمة الدعوة في العرب ، وافتقر سائر الناس إليه لانقطاع المواد في
/١٧٣ ذلك الوقت ، وأعقب بكنانة وسلم إليه العلم والميراث والنور ، و/ أعقب كنانة أولاداً فكان الأمر في ولده النضر دون إخوته ، وأعقب النضر بمالك وحده ، ولم يعقب ولداً غيره ، وأعقب مالك فهر وانتقل ذلك إلى فهر ، وأعقب فهر بغالب ، وأعقب غالب لؤي ، وأعقب لؤي كعب .

كل هؤلاء واحد إلى واحد لم يعقب منهم واحد غير من يسلم إليه وأعقب كعب مرة وثلاثة أولاد ، فكتمه عنهم إلى أن حضرت الغيبة فسلم إلى مرة ما كان

عنده ، فأعقب مرة كلاب فتسلم من أبيه وأعقب قصي فسلم إليه ما عنده من الميراث ، وأظهر أمر قصي عند قرب انقطاع شريعة عيسى ، وأعقب قصي عبد مناف وأعقب عبد مناف عمرو العلي ، وهو هاشم فغلب على سائر العرب وسارهم ، فكان لهم ميراث البيت والطواف حوله وهم سدنته .

وإن قصي أعقب اثني عشر ولداً فكانوا بمنزلة الأسباط ، وأعقب هاشم عبد المطلب وسلم إليه ميراث النبوة والإمامة ، وقد كان تسلم ميراث النبوة من آخر دور عمه اسحق ، وانتقلت إلى ولده عبد الله أبي محمد فتسلم ميراث النبوة ، وسلّم الميراث إلى أخيه أبي طالب ذي الكفل ، وكفل محمد إلى حين انتقال الأمر إليه .

نرجع إلى ما كنا عليه من الأخبار على الشرائع ، وذلك أن الشريعة لما انتقلت بعد دور نوح إلى ابراهيم أمر ابنه بالقربان ، وكان جاءهم بالصحف فكانت أربعة
/١٧ وعشرين صحيفة عددها تسعة عشر سورة ، كل سورة تسع عشرة/ كلمة ، فكانت شريعته الحنيفية .

ومنع الخلق من عبادة الأصنام ، وأظهر قواعد البيت ، وقد تقدم القول به ونصب القبلة ، وعدل بها عن المشرق والمغرب ، ولذلك سميت الحنيفية لميله عن قبل من تقدمه ، ونصب البيت قبلة دون قبلتهم ، وكذلك يقال للحنيف المائل من الشيء ، والرجل المائل الرّجلين أخنف ، وكل هذا متوارث في أيدي العرب ، وما في أيدي الشريعتين منه شيء ، ولذلك كانت العرب تقرب بذبائحها إلى البيت ، فلما عَثَرْت أسباط اسماعيل ، وآدعت على ولد قيدار ما آدعاه من ميراث ابراهيم ، وتهافتت[1] على غر الخلق فسميت كهنة وسحرة ، ورجعت إلى عبادة الأصنام ، وأصحاب الودائع مستترون .

وعلقت أصنامهم على البيت ، وكان نسل قيدار الواحد بعد الواحد ومن

---

(١) وتهافتت : وتاهف في جـ

تبعهم مستورين بينهم ، يظهرون لهم ما يظهرون من العلوم والبراهين ، وقتاً بعد وقت ، ويدنون بذلك أتباعهم ، وأهل الحق من الشريعتين مقرين بهم عارفين بفضلهم ، وهم يبهرون الخلق بذلك النور المتوارث فيهم ، خلف بعد سلف إلى أن انتهى إلى الشجرة الهاشمية من الأصلاب الزكية ، إلى الأرحام الطاهرة .

ونحن نأتي بذلك ، وإذا انتهينا إلى قصة محمد (ﷺ) ورجوع الأمر إليه نرجع إلى ما كنا فيه من قصة يعقوب ، وأن يعقوب لم يزل مؤيداً بتلك القوة
١١/ والتأييد المتقدم ذكره ، إلى أن ابتلي بمحنة يوسف ، وما كان من قصته مع/ الأسباط ، مما أتى به النص في الكتاب ، ويطول الشرح فيه إن أعدناه ، ونحن نأتي في ذلك جملاً يكتفي به ذوو الألباب ، ومن وفق للصواب .

وروي أن يعقوب أقام في محنة يوسف وعماه وحزنه عليه عشرين سنة ، وروي تسعة عشر سنة ، وأنه لما انقطعت عنه المحنة ، خرج بعد ذلك إلى مصر ، وجمع الله شمله ورد عليه بصره ، وانقطع حزنه ؛ وقد روي لما كان أتى مصر خرج إليه يوسف فتلقاه ، فترجل يعقوب وجماعة الأسباط ليوسف ، وكانت هذه الأفعال منهم توبة ، ولم ينكر ذلك يوسف ولا ترجل للقوم فيكون قد قبل توبتهم ، فامتحنه الله بأن زال الأمر والخلافة من عقبه وردها إلى ولد أخيه لاوي ، وهو أكبر أولاد يعقوب ، وذلك لأنه لم يوف أباه واخوته حظوظهم ، ويقبل توبتهم ؛ لأن الله يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، ولم يتخلق بأخلاقه ، فأزال الأمر من عقبه ، ووقاه في نفسه بحسن صبره على محنته ، وكرر الأمر في الأسباط ليوفهم أجورهم على تصبرهم على المحنة وتوبتهم وترجلهم لأخيه ، وأنه لما بلغ منزله ندم على ما كان منه فرفع أبويه على العرش ، وخروا له سجداً كما حكاه الكتاب عنهم ، وذلك أنهم أذعنوا إليه بالطاعة ، وكان أبواه المذكوران أباه
١٧/ وخالته ، لأنها كانت/ متولية لتربيته بعد أمه، ثم إنه ذكر أباه وخالته ، لأنها كانت متولية بعد أمه .

ثم إنه ذكر أباه ما كان من إخوته ومحنته معهم فقال : يا أبت هذا تأويل

رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ففتخر عليه وعليهم بذلك ، وأقام يعقوب مع يوسف بمصر سنين ، آمراً ناهياً ، ويوسف قائم بين يديه ، وهو ما حكاه الله بقوله : ﴿ . . . فَارتَدَّ بَصِيراً . . . ﴾[1] أي رجع التأييد إليه .

وأن يعقوب لما حضرته النقلة أمره الله بالتسليم إلى يوسف ، وروي أنه غاب وكان عمره مائة وسبعة وأربعين سنة ، وهو إقامة الدعوة باسمه . وروي أن محنته في بصره إنما كانت ما رآه يوسف من سجود الكواكب والشمس والقمر له ، وأنه لما قصّ عليه ذلك خاف أن صاحب العصر والزمان ، وأن الأمر زال عنه فعند ذلك انصرف التأييد عنه إلى يوسف وانقطع عنه ، فكان عمى ، وامتحن يوسف لما أبدى رؤياه قبل تمام الأمر وعجلته في تأويله ، فعند ذلك حسده إخوته لتقدمه عليهم ، وهو دونهم في العلم والسن والقوة ، فوقعت محنة بعضهم ببعض وغيب شخصه عن يعقوب فانقطعت المادة عن يعقوب بغيبة يوسف عنه ، وأنه لما جاءه البشير ارتد بصيراً ، وذلك أن الخيال طرقه برجوع التأييد ، وأنه لما أمر بالتسليم جمع أسباطه ويوسف وسلم إليه بمحضر منه ، فرجع التأييد إلى يوسف .

(١) سورة : ١٢ من الآية ٩٦

قصة يوسف

/١٧٧ وقام يوسف بأمر الله ووحيه إليه ، وغاب يعقوب لوقته وجعل يوسف/ يبكي أربعين يوماً على ذلك ، وهو بين يديه في التابوت إلى أن خرج الملك ، وأهل مملكته إليه وسألوه فيه ، فعند ذلك حمله وسار به إلى بيت المقدس فدفنه مع أبيه ، اسحق وابراهيم .

وروي أنه أتى إلى أرض المقدس فأصاب العيص ، وقد رجع إلى البلد فغلب عليه ، وأنه لما أتوا بيعقوب منعهم من دفنه ولجج على القبر ، وقال : والله لا أدفن مع أبوي فوثب إليه ولد لشمعون فوكزه ومضى لوقته ، ووقع في القبر ميتاً ، فدفنا جميعاً في قبر واحد .

فهذا ما كان من قصة العيص ، وإنما اشتق له هذا الإسم من العصيان وكيف شهد هذه الطائفة الداعية له بأن الأمر راجع إلى عقبه، ورجع يوسف إلى مصر فقام بأمر الله ، وطرقه التأييد من الحدود العلوية ، وأطاعته الحدود السفلية ، ونصب بنيامين حجته بين يديه لتدبير أمر الله ونقبائه وهم أسباطه ؛ وجمع المؤمنين حوله ، ولبس التاج والديباج ، وجعل ذلك مثلاً على ما يأتيه من قوة التأييد ، وكان عمره مائة وعشرين سنة ، وهو قيام الدعوة باسمه ، ومات وخلف ولدين وهما : افراييم ، وهو أبو يوشع بن النون، والآخر ميشا، وأمره الله أن يستودع ميراث الأنبياء (يتزون بن لاوي بن يعقوب) فأحضره وجماعة أسباطه ، وسلم إليه بمحضر منهم فعل من تقدمه من نظرائه ، ثم عطف على أسباطه وأهل إجابته ،
/١٧٨ وقال لهم : إن القبط سيظهر عليكم ، ويسومونكم سوء العذاب،/ وذلك بما

كسبتموه وتكسبوه ، ويعود الأمر بعدي مستوراً إلى أوان الظهور ، وإنكم لا تزالون على ذلك الحال وتحت الذلة والصغار ، حتى يظهر لكم رجل يعرف بموسى ابن|عمران من نسل هارون بن لاوي .

هذا ثم وصف لهم صفته ورفعته ، وأخبرهم بما يحل بهم من بعده ، وقال إنه لا يخرج حتى يظهر بين يديه أربعون كذاباً ، وروي خمسون كذاباً يدعون اسمه واسم أبيه ، فعند ذلك يظهره الله فينصره لبني اسرائيل ، ويفرج عنهم بظهوره ؛ فعندما استكمل الوصية غاب عنهم فدفن بمصر ، ولم يقدروا على السير به إلى بيت المقدس لما تغلب عليها من الفراعنة والجبارين .

وقام تيزون بأمر الله بعده ، وهاجت الأسباط ، وادعى بعضهم على بعض الرياسة ، واستتر صاحب الزمان كما تقدم القول في ولد اسماعيل بالإستتار ، وهاجت[1] الظلمة على النور ، فاستتر الحق وأهله ، وقد جاء في التوراة عن يهود ابن يعقوب أنه تزوج بامرأة فجاء منها ثلاثة أولاد ، وأن ولده الأكبر وهو عين ، لما بلغ مبلغ الرجال تزوج بامرأة يقال لها يامارة ، فلما دخل بها مات عنها قبل أن يرزق ولداً ، فجاءت يامارة تطالب أخاه سيلان أن يتزوج بها فأبى عليها لما كان صغيراً عن التزويج ، فأتت يهوداً في مجلس حكمه ، وكان رأس مبنية اليهود ،
/١٧٩ وهو كما يقال اليوم قاضي القضاة/ الذي إليه مرجعهم ، وذلك أن الحكم عندهم قديماً في التوراة وهم عليها إلى وقتنا هذا ، أنه متى مات رجل عن امرأة ولم يرزق منها ولداً وكان له أخ عقيم لم يتزوج زوجوه بها ليتم زرع أخيه ، فإن لم يفعل أتت به المرأة إلى مجلس الحكم فتقيم فيه بتزويجها ، فإن امتنع من ذلك نزعت الامرأة نعله من رجله في مجلس الحكم ، وبصقت فيه ، وقدمته إلى وجهه ، وقالت له : هذا جزاء من لم يعمر بيت أخيه ، ويُدعى ذلك الرجل مخلوع النعل ، وكذلك يعرف عقبه من بعده أهل بيت مخلوع النعل .

---

(١) وهاجت : وهاج في ب

.وأن| يامارة لما أتت يهودا في مجلس حكمه طالبت ولده بتزويجه إياها فلطف بها يهوداً في مجلس حكمه الذي طالبت فيه ولده ، وقال لها يا هذه آرجعي إلى بيت أبيك واجلسي في خدرك إلى أن يبلغ سيلان مبلغ الرجال فأزوجك به ، لأني أخاف عليه أن يلحقه ما لحق إخوته ، فمضت يامارة إلى بيتها ، ونزعت ثياب الحزن ، وكانوا يلبسون للحزن السواد .

ولذلك اتخذته بنو العباس لزعمهم حزناً على الحسين ، وجلست يامارة في بيتها فلما كبر سيلان ، ولم تجد في يهودا الهمة[1] في تزويجها من سيلان لأنه حاكم ، وأن نساء بني اسرائيل لا يصبن التزويج إذا كان للزوج الميت وارث ، فإن يامارة نزعت ثياب الحزن عن نفسها ولبست ثياب الزينة وتزينت واستترت عمن يعرفها ، ‎/١٨٠ وخرجت في غمار/للناس ، وكانت تأتي طرقات يهودا إلى بيت لحم فتجلس له وتتنكر عليه ، وكانت ذات جمال وحسن ، وأنه جاز ذات يوم فرآها فلما رأته مقبلاً أسرعت نحوه ، وهي معرضة عنه بوجهها ، فلما رآها علق قلبه بها ، فإذا انعطف عليها كالمستتر عن الناس وقال لها : متعيني من نفسك ولم يتأمل منها السترة والإختفاء ، فغطت وجهها واستترت عنه خوفاً أن يعرفها ، وقالت له : بماذا امتعك نفسي ؟ قال لها : أوجه لك جديين من الغنم . قالت له : أعطني بذلك رهناً . قال لها : وما تريدين ؟ قالت : خاتمك وعصاك ومعبولك ، يعني زيادة ، فدفع إليها ذلك .

ومضت معه إلى موضع دخل فيه ليلاً فبات معها فلم تخرج من عنده حتى استكملت منه حملاً ، وأصبح يهودا فمضى في منزله ودعا برجل من تلامذته فأمره بأخذ جديين من الغنم ويمضي بهما إليها ، ووصف له الموضع الذي تجلس فيه ، وأمره بأخذ الرهان منها .

ومضى الرجل إلى الموضع وسأل عنها فلم يجد من يخبره عنها بخبر ، فقال لمن أصابه في ذلك الموضع أين المتمتعة التي كانت تجلس ها هنا ؟ فحلف أهل الموضع

---

(١) الهمة : انهضت في جـ

أنهم لا يعرفون هذه الصفة في موضعهم هذا ، فرجع إلى يهودا فعرفه ، فقال له : لعلها استقلت بما أمرت به إليها ، فزاده جدياً ثالثاً ، ورجع ولم يزل يلح في السؤال
/١٨١ وكثرة البحث فلم يجد أحداً يخبره بخبرها، فرجع إلى يهودا/ فأخبره، فغفل يهودا عن ذلك .

ولما تطاول الأمر كبر الحمل واشتهر أمرها إلى الناس إلى أن بلغ إلى أصـحاب يهودا فأتوا إليه فأعلموه بما كان من يامارة ، وانها فسقت فأمر بحرقها في النار فأتوها وأخرجوها من بيتها ، ولما أخرجوها قالت لهم : أمضوا بي إلى مجلس الحكم لنقف بين يدي الحاكم فأبوا عليها ، فلما رأت أمر قد وقعت فيه ، أرسلت بعض أقاربها إليه برهانه وأعلمته بقصتها معه . فأتاه الرسول وأوقفه على ذلك في مجلس حكمه . وما كان من قولها وأخرج إليه بالبرهان ، فعندما رأى الرهان نكس رأسه وقال : صدقت بما قالت والحمل مني ، فقد علمت أنها فعلت ذلك لما لم أزوجها سيلان .

والآن يئست منه وأن يهودا لم يعاودها بعد ذلك وأنها لما حضرتها الـولادة وضربها الطلق ، وقعدت القابلة منها مقعدها كان حملها توأم ، ثم أخرج أحد التوأم يده فأخذت القابلة ولفتة تفسيرها بالعربية أخرج ولا تؤخر على ذلك اليد الحامد فردها وتأخر ، فتقدم الآخر فقالت القابلة عند ذلك ممرت يا بني فسمي صاحب المقر من فاليه ، وسمي الآخر ربوح ، وتفسيره بالعربية مسرف .

وأما صاحب (القر من فاليه) نسـب داود وسـليمان والمسيح فمـن عقـب
/١٨٢ سليمان ، فأي محنة أشد على أولياء الله من محنتهم ، وما يؤولون عليهم/ أصحاب الرأي والقياس عند تكذيبهم بالرسل وردهم الأوصياء ، وقيام الفرعنة ، فعند ذلك يتمسكون الأوصياء بما في أيديهم من مـيراث الأنبياء ، وتقـوم الفراعنـة . فألف الناس تأليفات برأيهم وقياسهم رجاء ليطفئوا نور الله بما ألفوه من قولهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون .

ونرجع إلى ما كنا فيه من قصة موسى في ما ابتداه وظهوره ، وقد روي أن

موسى لما ظهر طلب قبر يوسف فلم يجده ، وكان سبب خروجه حبس الله الغيث عن بني اسرائيل وأهلهم حتى قحطوا ، فضجوا إلى الله وأتوا هاربين إليه مستغيثين به ، فدعا ربه فأوحى الله إليه أنهم لا يغاثون حتى يخرجوا عظام يوسف من بينهم ، فطلب قبره فلم يجدوا أحداً يوقفهم على موضعه إلا عجوزاً قد كف بصرها دلتهم على ذلك ، لأنها كانت من عقب الأنبياء الوارثين العلم والحكمة ، والمستودعة لذلك .

وعند ذلك حضر موسى وأخرج عظامه فجعلها في تابوت ، وسقى الخلق الغيث بعد ذلك ، ورأوا خصباً جاءهم . وقد روي أن عظام يوسف أقامت في ذلك التابوت إلى أن أخرج موسى بني اسرائيل إلى أرض القدس فدفنها ، ونرجع إلى ما كنا فيه من أمر المحنة وأنه لم يزل بعد يوسف يقوم قائم بعد قائم ، ويدعون
/١٨٣ رتبة موسى و/ يتسمّون باسمه واسم أبيه ، ويستر الحق وأهله ، كما أخبرهم يوسف ، وكذلك المدعون بالتشيع ، واختلافهم في أولاد الأئمة وادعائهم لهم الإمامة ، وادعائهم لأنفسهم ذلك ، لاتصالهم بالنسب المشهور .

وأن أهل الحق مستورون عنهم مشردون هاربون ، وأنهم لم يزالوا على ذلك إلى أن انقضت العدة التي وعدهم يوسف بها ، من قيام الكاذبين المدعين ، وكل ذلك وصاحب الأمر مستور بينهم إلى أن قام شعيب بأمر الله ووحيه إليه ، وإلى صاحب الحق بالتسليم إليه ، وما من قائم يقوم من هذه العدة المذكورين المدعين إلاّ وبإزائه قائم من أهل الحق مستور ، هو وشيعته المؤمنون .

قصة شعيب

ولما قام شعيب بأمر الله ووحيه إليه قام بإزائه فرعون زمانـه ، وكان اسمـه الوليد بن مصعب ، وإنما سمي بفرعـون لفراره عن شعيب وفرعنته عليه ، وكان من تلامذة الإمام الذي سلم إلى شعيب ، فادعى عليه أنه سلم إليه وأنه الخليفة بعده ، وهرب شعيب عنه ، ولزم برية مكة موضع آبائه وأسلافه ، فقامت الدعوة باسم فرعون أربعمائة سنة ، وتكبر وتجبر ، وآدعى ما وصفه الكتاب عنه .

وكذلك فراعنة وصي نبينا ادعت خلافة الرسول لهم ، وادعت بمنزلة وميراث الأنبياء المودعة عنده ، ما في أيدي الناس بآرائهم وقياسهم فعل من تقدمهم من
/١٨٤ شياطين/ الملل ، وأنه لما تمت لفرعون عدة هذه السنين بعث الله أيوب وهو حجة الإمام الذي سلـم إلى شعيب ، وهـو أيوب بن أومصى ، من عقـب العيص بن يعقوب .

وكانت زوجته المذكورة معه من عقب يوسف بن يعقوب ، وكان أيوب هذا حجة إمام الزمان ووصي على شعيب ، وكان شعيباً مطلقاً بين يديه في دعوته وفي حد الجناحية ، وهي ما روي أنه دعا قومه مدة من عمره فلم يجيبه أحد إلا النفر اليسير الذين آمنوا به أولاً ، وأنه لما كبر سنه وتقضت أيامه غاب عن قومه ، وهو أن حجته[1] ستره في وقت هيجان الفراعنة ، وأنه لما حضرته الوفاة سلم إليه ، وهو ما روي أنه غاب عنهم ثم عاد إليهم وهو شاب مقبل الشباب بعد أن كان شيخاً ،

(١) حجته : حجة في جـ

فقالوا له : إنا لم نصدق بك وأنت شيخ ، والشيخ معدن الوقار والصدق فنصدق بك وأنت شاب ، والشباب معدن الجهل والسخف .

وقد كان أمير المؤمنين يكرر هذا الخبر في مجالسه عندما ترك عمر الأمر شورى في ستة ، وجعل علياً أحدهم ، وقال إن فيه دعابة وصخابة ، وكان فرعون سيد من نظر في النجوم وعمل بها ، وقد كان من فرعنته وقوته ما شهد له الكتاب والأخبار المنصوصة عنه ، وكان سيد من نظر ورصد الكواكب وعمل العزائم ،
١٨٥/ وأنه رأى ذات ليلة في رصده للكواكب/ أن مولوداً يولد في تلك السنة من بني اسرائيل فيكون زوال ملكه على يديه ، فجمع أكابر دعاته وأهل التنجيم والرصد والمعرفة إليه ، فأجمع رأيهم على ذلك وأمروه أن يتخذ لنفسه أمناء من القوابل ، ويجعل على كل امرأة من بني اسرائيل قابلة وعلى كل قابلة أمناء وحرساً ، وقال لهم : كل امرأة تلد[1] من بني اسرائيل أتوني بولدها يكون ما كان ، فإن أتوه بجارية أخلى سبيلها ، وإن أتوه بغلام ذبحه ، فغلظ الأمر على بني اسرائيل فاجتمعوا إلى فقهائهم وسألوهم أن يحرموا باسم كل من وطىء امرأته مدة تلك المحنة ففعلوا ذلك .

وانقطع النسل فقال عمران أبو موسى عندما رأى انقطاع النسل : والله لا عطّلت أمر الله دعه ينفذ حكمه فإن هذا الفعل اعتراض عليه ، ثم قال : اللهم إن حرمه على نفسه محرم باسمه ، وأما أنا فما أحرمه . فترك الناس ما كانوا عليه . وقد ذكرت التوراة عن عمران هذا أنه كان متزوجاً لعمته وهي من عقب لاوي بن يعقوب فإن موسى لما نبىء وأنزلت عليه التوراة انتزع أمه من أبيه وطلقها عليه وهو حرام عندهم ، وخلى سبيلها . وآل فرعون لما رأوا بني اسرائيل قد انقطع نسلهم شكوا إليه قلة نسلهم لأنهم كانوا يستخدمونهم ، وأمر فرعون بقتل الذكور
١٨٦/ سنة وتركهم سنة فولد هرون لعمران من عمته هذه في السنة المذكورة،/ وولد موسى

---

(١) تلد : ولدت في ب

في السنة الثانية المحذور منها التي يذبح فيها الأطفال ، وذلك ليري الله لفرعون قدرته .

وقد روي أنه لما علقت أم موسى به اشتهر أمرها ، وبلغ ذلك إلى فرعون ، فوكل بها قابلة ، ووكل بالقابلة حرساً ، وكانت أمه ذات حسن وجمال وكمال ، فلما رأتها القابلة تذوب وتضنى، قالت لها : أي بنية ما الذي أراه بك من الإنحلال ؟ قالت لها : يا أماه لا تلوميني على ذلك وأنا انتظر كل يوم أن يؤخذ ولدي مني ويذبح بين يدي ، فقالت لها القابلة : لا تجزعين ، فإن ولدت ذكراً كتمته عليك ، وحلفت لها بغليظ العهد ، فبقيت بين الخوف والرجاء به ، وسكن عنها بعض ما تجده إلى أن ولدت موسى ، وكانت قد اصطنعت لنفسها مخدعاً فأمرتها بحمله إلى المخدع ، وخرجت القابلة إلى الحرس بما بقي من المشيمة وغيرها ، وقالت إن هذه المرأة قد أسقطت ولداً لم يتم وهذا هو ، فطرحته بين أيديهم فلما رأوه انصرفوا ، ثم دخلت القابلة ، وقالت : أدخلي المخدع وأرضعيه خوفاً عليه ، وقتاً بعد وقت .

ولم يزل على ذلك أياماً حتى علا صورته واشتد خوفها عليه ، وكان محرماً على أحد أن يخرج من المدينة بشيء لكثرة المراقبة ووفرة الحرس ، فعند ذلك طرقها الوحي أن تصنع تابوتاً وتجعله فيه فتخرجه ليلاً فتلقيه في النيل ، ففعلت ما أمرت
/١٨٧ خوفاً على نفسها وعليه ، وأنها لما فعلت ذلك وطرحته في الماء/ ورأته قد ذهب عنها فخافت عليه خوفاً شديداً ، وندمت على ذلك ، وهمت بالصراخ ، ثم أمسكت ثقة بما وعدها الله .

وكانت امرأة فرعون المؤمنة المستترة بإيمانها العارفة بتبديل فرعون وتغييره سألته أن يضرب لها قبة على النيل تتنزه فيها ، وكانت أيام الربيع فأجابها فرعون إلى ذلك ، وبينما هي غداة ذاك اليوم وخدمها وعبيدها بين يديها ، وهم لا يبرحون من تلك القبة ليلاً ولا نهاراً ، وكانت على شاطىء النهر تنظر إذ رأت تابوتاً مقبلاً نحوها وهو يسبح على وجه الماء ، فقالت لعبيدها : أترون ما أرى ؟ قالوا لها : إننا نرى شيئاً يسبح على وجه الماء وما ندري ما هو ، فلما دنا منهم ورأوه تبادروا نحوه

فأخذوه ، وأتوها به فدخلت به القبة ، وفتحته فإذا فيه صبي أحسن الخلق وجهاً فوضعته في حجرها ، وألقى الله في قلبها محبته ، كما قال الله عز وجل : ﴿ ... وَأَلقيتُ عَلَيكَ مَحَبةً مِنّي ... ﴾[1] .

وذلك أنها لم ترزق من الملك ولداً ، وهو قولها : ﴿ ... عَسَى أن يَنفَعنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَداً ... ﴾[2] وأنها مضت به إلى الملك وقصت عليه خبره فقال : هذا من حيل بني اسرائيل وَهَمَّ يذبحه ، فلم تزل تتوسل إليه حتى سكن غضبه وسلمه إليها ، وأمرها بتربيته ، وأنها كانت توجهه إلى نساء بني اسرائيل ليرضعنه فلم يقبل
/١٨ على واحدة منهن حتى أنها ما تركت من نساء بني اسرائيل واحدة إلا وجهته إليها/ حتى كان من أمر الله ما قصه الكتاب برجوعه إلى أمه ، ونشأ موسى وكبر في دار ضده .

ولم تزل أمه خائفة عليه حتى هلكت القابلة التي كانت معها في تلك السنة فاطمئنت عليه ، وروي أنه لما غلظت المحنة على بني اسرائيل وطال بهم الإنتظار ، وأنهم لا يصلون إلى الإجتماع والحديث ، فخرجوا في ليلة من الليالي إلى فقيه من فقهائهم فشكوا إليه ما هم فيه ، وقالوا : قد كنا نتسلى بالإلتقاء والحديث ، والآن فقد غلظ الأمر ، وطال الإنتظار ، فقال لهم : إنكم لا تزالون على ذلك حتى يأتيكم موسى بن عمران ، فهو الذي يخلصكم من فرعون وقومه .

وقد ولد وسوف يكون من أمره كيت وكيت ، وأقبل يصف ما يكون منه وعلى يديه وصفته ، وهذا أوانه وقد قرب أن يظهر فترقبوا الفرج ، وبينما هو مقبل عليهم بالوصية إذ رأوا رجلاً مقبلاً إليهم فوقف بالجماعة ثم سلم عليهم فردوا . فرفع الفقيه رأسه إليه فعرفه فخر له ساجداً ، وأقبل يقبل يديه ورجليه ، فقال له موسى : أمسك رحمك الله على نفسك . ثم نادى القوم إليه من كل ناحية وأقبلوا يقبلون يديه ورجليه ، فقال لهم : الزموا بيوتكم إلى أن يفرج الله عليكم ، فقد آن ظهور أمره ، وهلاك عدوه انشاء الله تعالى . وسار عنهم ودخل منزله فأقام بضع

(١) سورة : ٢٠ من الآية ٣٩
(٢) سورة : ١٢ من الآية ٢١

/١٨٩ سنين في حجرته لا يظهر إلى أحد/ من الناس إلى أن كمل أمره وبلغ أشده، وأنه خرج ذات يوم فرأى القوم وهم ينتظرون الفرج ، وبينما هو سائراً في أزقة المدينة إذ لقي الرجلين اللذين نص خبرهما الكتاب ، هذا من شيعته ، وهـذا من عدوه ، فعند ذلك خرج من دار ضده خائفاً على نفسه بغير دليل له ، وهو قوله : ﴿ . . . عَسى رَبي أن يهديني سَواءَ السبِيل ﴾(١) .

وكان من أمره مع العالم وبنات شعيب ما قصه الكتاب ، وأن فرعون لما خرج موسى من داره لم يعلم أي موضع توجه إليه اختص هارون لخدمته واستأثر به دون غيره ، حتى أنه كساه الأطراز المذهبة وقلده بالجواهـر النفيسـة ، وكسـاه الحرير والديباج .

وهذه جملة ما صار إلينا من ظاهر أمره ، ونأتـي من تأويل ذلك ما أمـكن وكيف يمكن هروب أولياء الله من أضدادهم لطلب دار هجرة يلجأون إليها ، بعدما انفرج عنهم ما يجدونه من قبيح أعمالهم فيهم ، وذلك أنه لما تم دور ابراهيم بشعيب وتقضت أيام شعيب على ما تقدم القول به في سائر نظرائه ، وقد تقدم القول في تكبر فرعون عليه وإعطائه لحدود الماضي ، وآستمالتهم لنفسه وآدعائه بأن صاحب الأمر سلم الأمر إليه ، وهو شعيب وآدعائه ، بقوله : ﴿ . . . أنا رَبُكُمُ الأعلى ﴾(٢) أي أنه المنصوب لهم والعالي عليهم القائم بأمورهم ، فمن كان منهم ناقصاً عن حد
/١٩٠ المعرفة قبل تغييره وتبديله ، / ومن كان كاملاً قام على جملته ، وستر نفسه في وقت المحنة .

ولم يضره ما كان من فعله كما حكاه الله عز وجل وعن امرأته وهي حجته التي اتخذها لنفسه واختصها للولادة الروحانية بزعمه ، وقد كانت عارفـة بتغييره وتبديله ، وهو ما حكاه الله عز وجل عن قولها وتضرعها إلى ولي زمانها ، ﴿ . . . ربِّ آبْنِ لي عِندَكَ بَيتاً في الجَنَّـةِ ونَجنـي مِن فِرعَـونَ وَعَمَلِـهِ ونَجِّنـي مِنَ القَـومِ

(١) سورة : ٢٨ من الآية ٢٢

(٢) سورة : ٧٩/ من الآية ٢٤

الظالمين ﴾[1] يعني أهل بطانته ، فقد كانت هذه الحجة مقرة لشعيب وداعية إليه ، وكاتمة إيمانها عن فرعون ، وهي أم موسى التي ربته في حضنها ودعته إلى إمام زمانها ، ولذلك سألته أن يبني لها بيتاً في الجنة عنده لتربيتها لصاحب الزمان .

وقد كان جماعة الدعاة أبلغ الذين كانوا في دار فرعون ، ولذلك جمعهم من جزائرهم للمناظرة مع موسى ، وأنهم لما التقطوا كلامه آمنوا به ورجعوا إليه طائعين ، ولم يضرهم تغيير فرعون وتبديله ، وأنهم لم يزالوا على ذلك مستورين في كهف التقية ، وأما موسى فإنه لما بلغ مبلغ الرجال وقع به الداعي المنسوب إلى أمه ، فدعاه إلى إمامة شعيب ، كما وقع الكوكب بابراهيم فدعاه إلى إمامة صالح ، وأنه لم يزل يربى بين يدي أمه إلى أن كمل أمره ، وأوحى الله عز وجل ، يعني إمام
/١٩١ الزمان من ولد اسماعيل خليل الرحمن كان/في كهف التقية عن أعين الفراعنة ، إلى حين تمام دور ولد اسحق .

ولما طرق موسى خيال الإمام أظلم على شعيب بصره ، وهو إمساك التأييد عنه فعند ذلك أيقن بظهور صاحب الزمان ، وهو ما رآه في نجامته من زوال ملكه ، وأما ما روي عنه أنه أقام قوماً يتجسسون إن كان أحد من بني اسرائيل فيذبحه ، وذلك أنه لما أيقن برجوع الأمر إلى بني اسرائيل نصب دعاته يتجسسون إن كان أحد من بني اسرائيل يدعي شيئاً من ذلك ، وأن يكون فيهم داعي يدعو إلى ذلك ، ومن بلغ منهم حد الولادة الروحانية ، فيعقد عليه إمامة فرعون .

وكان الوقت إمساك من الدعاة فوقف اللواحق والأجنحة عن الأخذ ، واستتروا بظاهر فرعون متوقعين لزوال ملكه ، وهو ما حكاه الله عز وجل بقوله : ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت . . . ﴾[2] أمر منه لها أن توقفه على ظاهر علوم الأنبياء ، وهو التابوت الذي كان يوجد فيه جسد آدم ، وقد تقدم القول به ، وهو الذي حملته الملائكة إلى أن أوصلته إلى الناطق السادس ، وهو ما

(١) سورة : ٦٦ من الآية ١١

(٢) سورة : ٢٠ من الآية ٣٨ - ٣٩

حكاه الله عنه بقوله : ﴿ . . . لاَ أبرَحُ حتَّى أبلُغَ مجمَعَ البَحرينِ . . . ﴾[1] وهو
١٩٢/ ما أوقفته أمه عليه من حد الظاهر والباطن ، وأما/ نسبته إلى أبيه عمران فهو إعلام من الله إلى الخلق أن الأمر انقطع عن ولد اسحق نسباً بالولادة الجسمانية من بعد يوسف ، ورجعت أسباباً ، وهو ما تقدم القول به بخروج الأمر من ولد يوسف ، ورجوعه إلى ولد لاوي ، فصار عمارة الدار باللواحق ، بلا نسب متصل .

وكذلك دور المسيح من بعد موسى ما آدعاه أبوه ظاهرة ، ولا نبوة متولدة ، ولا نبوة متولدة ، وإنما كانت الأسباب المتواترة إلى أن رجع الأمر إلى ولد اسماعيل فاتصل إلى محمد ، وناهيك إلى وقتنا هذا ، وقد أخبرهم يوسف أن الخلق يدعون منزلة موسى بن عمران ، وأنهم كلهم كذابون بأن الأمر راجع إليهم وفيهم ، وأن بهم عمارة الدار ، يعني الدعوة والشريعة ، فلما كان ابتداء العمارة باسحق بعد اسماعيل ، وهو ما حكاه ا لله عز وجل عنهم بقوله : ﴿ إنَّ اللهَ اصطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبراهيم . . . ﴾[2] يعني اسماعيل وولده ، وآل عمران يعني اسحق وعقبه ، ولواحقه من بعد العقب .

وقد جاء في التنزيل ذلك وهذه منة ، وآل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين ، فكان الإصطفاء من آدم ونوح ، والودائع في آل ابراهيم وآل عمران تحمله الملائكة ، وهم المملكون الأمر ، وهم حملة التابوت ، ولذلك يقول : ﴿ ذُرِيَّة بَعضُهَا مِن بَعضٍ . . . ﴾[3] لأن الحجة من الإمام ، والنقيب من الحجة ، والجناح من النقيب ، والمستجيب من الجناح ، فهؤلاء ذرية بعضها من
١٩٣/ بعض ، ولادة روحانية كما تقدم/ القول به من آدم .

وأن موسى لم يزل يُربى بين يدي أمه حتى استفرغ ما في وعائها من العلم والحكمة ، كما فعل ابراهيم بالكواكب فعند ذلك رفعته أمه إلى حجة صاحب

---

(١) سورة : ١٨ من الآية ٦٠
(٢) سورة : ٣ من الآية ٣٣
(٣) سورة : ٣ من الآية ٣٤

الزمان ، وقد قالت الشيوخ المتقدمون نضر الله وجوههم : إن العبد الصالح الذي لقي موسى ، وهو أبوه نوح ، وأنه تصور له بصورة الخضر ، ولذلك يرى موسى انحرف إلى قبلته ، وهو أنه صلى إلى المغرب .

ألا ترى خضوع موسى له ورغبته في اتباعه ، إذ كان الذي في يديه لم يتفق بما كان موسى عليه ، وقوله : ﴿ ... هَل أتبِعُكَ عَلى أن تُعَلِّمَنِي مِمّا عُلِمتَ رُشداً ﴾[١] وقول العالم إنك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ، أي ليس لك منه شيء ولا أخبرتك به إلى ما قصه الكتاب من تضرعه إليه واعتراضه فيما فعله من خرق السفينة ، وقتل الغلام وإقامة الجدار .

ولما استكمل رضاعه منه ، أعلمه بأنه صاحب السفينة المخروقة ، وأنه القائم بها فلما فرغ من جميع ما يريده معه أمره بالإنصراف إلى صاحب زمانه وخدمته ، وهو المتقدم من ولد قيدار حتى يتم أمره ويتسلم منه ، فعند ذلك توجه تلقاء مدين بلا دليل ، وذلك قوله : ﴿ ... عَسى رَبي أن يَهدِيَني سَواءَ السَّبِيلِ ﴾[٢] وإنما كان متوكلاً على حسن اعتقاده ونيته ، واثقاً بنصر الله ، وهو
/١٩٤ قول/ عسى وعسى من الله حتم ، فلذلك بلغه الله أمنيته .

وأنه لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، وذلك أنه وجد قوماً متمسكين بظاهر شعيب وإمامته من نبي المستجيبين ، ووجد منهم امرأتين تزودان ، أي يكفان مستجيبه عما في أيدي أولئك الظاهريين ، فقال لهما : ما خطبكما أنتما أمسكتما عما في أيدي هؤلاء ؟ قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاة وأبونا شيخ كبير ، أي أنا قد ضعفنا عن المفاتحة لذهاب التأييد عن أبينا لكبره ، وقد وجه بنا نبحث عمن صار إليه هذا الأمر ، وهو ما روي أنه كان في ذلك الموضع بئر وعليه صخرة عظيمة لا يستطاع رفعها ، فرفعها موسى وسقى لهما ، وذلك أنه قد فاتحهما بحد التأييد ، فعندما فاتحهما علما أنه الرجل المطلوب ، فمضت إحداهما

(١) سورة : ١٨من الآية ٦٦
(٢) سورة : ٨٢من الآية ٢٢

إلى شعيب بالبشرى فوجهها في طلبه ، وهو قولها له : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، وأنه لما جاءه أخبره ما جرى ، فعندها قال له : لا تخف نجوت من القوم الظالمين .

وذلك أن الخيال طرق شعيبا فرجع التأييد إليه ، فعند ذلك نصب موسى أساسه كما فعل يعقوب بيوسف عند الإجتماع به ، وأنه زوجه إحدى بناته ، وهي التي التقطت كلامه ، وأنبأت عنه ، وإنما فعل به ذلك ليكون له حظ في دوره ،
١٩٥/ وأقامه بين يديه إلى انقضاء أجله ، واستكمل ما أراده ./ فقد روي أن شعيبا إنما استأجره لرعاية غنمه ، كما استأجر ابن اخته يعقوب على تزويج بناته ، وشعيب استأجر موسى ثمان سنين ، ولايان استأجر يعقوب سبع سنين ، والثمانية حد الأساسية ، لأنه ثامن الأسبوع ، والمتسلم من الإمام .

ولم يكن لايان إماماً وإنما كان صاحب جزيرة ، ومضى إليه يعقوب حتى تسلم أولاده ، وهم غنمه ، وهو ما روي أنه كان عند شعيب عصا الأنبياء مجتمعه ، فلما استرعى موسى أمره أن يأخذ عصاه منهم ليرعى بها غنمه فأخذها ، فقال له شعيب : إننا بالعصا التي أخذتها ، فأخذها من يده وحسها فإذا بها عصاه ، فردها في العصا ولم يزل كذلك ثلاث مرات ، وهو في كل مرة يخلطها ويخرجها بعينها ، فعند ذلك سلمها إليه وخرج بغنمه .

وأمره أن يمر بالغنم على موضع سماه له فامتنع موسى ، وابتعد عن ذلك الموضع زماناً ، وكان يرعاها في جدب ، وإذا عاد بها في الليل أحس شعيب احوائها ، فلما كان في بعض الأيام اجتاز الموضع الذي نهاه عنه في وقت رواحه فأصاب خصباً عظيماً فأعجبه فسيب الغنم فيه ساعة ، وأقام عصاه عند رأسه ونام ، وكان في ذلك الموضع تنين عظيم وكان يهلك الحرث والنسل وقد حمى ذلك الوادي
١٩٦/ لا ترعى فيه غنم ، فتطلع تنين عظيم على الوادي فرأى الغنم فيه سائبة/ فأتاها فصارت العصا حية وآبتلعت التنين ، وكان بينهما محاورة عظيمة حتى أن موسى

انتبه من نومه فرآها وقد ابتلعت أكثر التنين ، فحار موسى من نظره ورعى غنمه باقي نهاره حتى استنبطت وراح بها شباعاً .

ولما مد شعيب يده إليها وحسها ، هاله ما رآه من البطنة فقال له : أين كنت اليوم ؟ فقال : في الموضع الفلاني ، وأخبره بما رآه ، فعندما وقف على حاله أقامه بين يديه إلى أن انقضى أجله ، فعند ذلك أوحى الله أن سلم ميراث الأنبياء إلى موسى ، فأحضره وجمع نقبائه ، وسلم إليه بمحضر منهم فعل من تقدمه .

وأن إمام الزمان تصور له في صورة شعيب عند التسليم كما تصور له أبوه نوح في العبد الصالح وهو الخضر ، وهو ما حكاه الله عز وجل عنه بقوله : ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله . . . ﴾[1] وهو امتلائه من العلم الذي ألقاه إليه إمام الزمان ، والتأييد الذي أيده به ، فنطق به وقام ناطقاً بالشريعة ، وبالعزم على شريعة ابراهيم .

(١) سورة : ٢٨ من الآية ٢٩

قصة موسى

وقام موسى بأمر الله ووحيه ، ثم سار بأهله فلما دنا من الطور طرقه التأييد ، وهو ما نصه الكتاب أنه أنِسَ من جانب الطور ناراً ، فأقام أصحابه في مكانهم وغاب عنهم ، ثم رجع متبرقعاً ، وكان لا يقدر أحد أن ينظر إلى وجهه لما
/١٩٧ جاء به من نور التأييد . وروي أنه لما طال الإنتظار ببني اسرائيل ، وغلظت/ المحنة ؛ اجتمعوا إلى ذلك الفقيه وسألوه عن خبره ، وما يكون منه ، ومتى يظهر ، فخرج بهم إلى الصحراء ليلاً وجلس على قارعة الطريق ، وأقبل عليهم بالوصية والصبر والإنتظار ، وكان في ما قال لهم في آخر أمره أن الله يفرج عنكم بعد أربعة أشهر ، فقالوا : ما شاء الله . ثم قال لهم : إن الله قد رحمكم بعد هذا القول ، وأوحى الله إليه أن يفرج عنكم ، بعد انقطاعكم إليه إلى ثلاثة أشهر ، فقالوا : كل نعمة فمن الله . فقال لهم . إن الله قد رحمكم بانقطاعكم إليه ، بعد هذا القول أنه يفرج عنكم بعد شهرين ، فقالوا : لا يأتي بالخبر إلا الله . فقال لهم : إن الله أوحى إليَّ لما علمه من نياتكم بعد قولكم أنه يفرج عنكم بعد شهر . فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فقال لهم : إن الله قد سمع كلامكم ورحمكم وأوحى إليَّ أنه يفرج عنكم في هذه الليلة ، فأقيموا في أماكنكم منتظرين إلى نصف الليل ، فإذا موسى قد أقبل وعصاه في يده ، وهو راكب على أتانه ، وطوائفه حوله حتى وقف بهم ، فقال له الفقيه : أنت رحمك الله ، ومن أين أقبلت ؟ فقال : أنا موسى بن عمران الذي أنتم له منتظرون فوثب إليه الفقيه فقبل يديه ورجليه ، وهو يقول : يا سيدي بِمَ جئتنا؟ قال : بالرسالة إلى فرعون وملئه ، وكان هذا الفقيه أمه الروحانية
/١٩٨ التي أرضعته ، ثم أمرهم بالإنصراف مع صاحبهم ليلاً ، ودخل مصر مستخفياً/

حتى أتى دار أمه فوقف على الباب ساعة ، فسمع أمه وهي تقول لأخته : ترى ما فعل الشريد الطريد الغائب الغريب ؟ فلما سمع كلامها قرع الباب ، فقالت : من أنت يا هذا وليس من عادتنا أن تطرق أبوابنا في مثل هذا الوقت ؟ فقال لها : أنا الشريد الطريد المنفي الغريب ، ودخل فلما رأته خرت مغشياً عليها . ثم أفاقت فحمدت الله عز وجل ، وأقبل يخبرها بخبره وما جرى عليه ومخاطبته لربه في أخيه ، وما كان من قصته وأمره وأمر أخاه أن يخرج إلى دار فرعون على العادة التـي كان عليها .

وقد روي في الخبر أن الله ، أوحى إلى هرون أن آخرج إلى باب المدينة لتلقى أخاك ، فخرج إليه فلقيه فلم يعرفه لذلك النور ، الحال به وأنه غشي عليه حتى خر لوجهه فناداه موسى فقال مرحبا يا أخي وسيدي وأنه آنسه لنفسه وأقبل يقص عليه أمره لما أصبح آتى باب فرعون وعليه مدرعتان من الشعر ، والعصا بيده فاستأذن بالدخول على فرعون فحجب عنه ، فضرب الباب بعصاه فانفتحت جميع الأبواب حتى لم يبق باب مغلق بينه وبين فرعون .

وكان لفرعون بين أبوابه مسترقات فيها أسود تحميه ، فأمر بإطلاقها فخليت ودخل موسى إلى فرعون بغير إذن ، وأقبلت الأسود تنظر إليه فتصعق ، فعـطف
/١٩٩ فرعون إلى حاشيته ، وقال : هل رأيتم مثل هذا/ السحر ؟ فقال القوم : ما رأينـا قط ، وأنه لما وقف بين يديه أدى إليه رسالة ربه في بني اسرائيل ، وأمره بتخليتهم ، وأعلمه أن المحنة قد زالت عنهم ، فعرفه فرعون عند هذا الخطاب ، فعندها قال له : ألم نربيك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عمرك سنين ؟ الآية ، بأسرها .

ولما رأى موسى الرادة وقلة مبالاته بالأشياء ، وأنه لا يهولـه شيء من ذلك ألقى العصا بين يديه فإذا بها صارت ثعبان حي ، كما حكاه الله عز وجل عنها ، ففتح فاه نحو فرعون وهم أن يبتلعه هو وسريره كما ابتلع التنين قبله ، فعند ذلك هرب وجميع من كان بين يديه ، فناداه فرعون ناشدتك الله يا موسى ألا حفظت فينا الرضاع ، فمد موسى يده إليها ، وأخذها فصارت إلى حالها .

وعند ذلك رجعت أنفس فرعون ، وأعاد موسى عليه الخطابة ، والتصديق به ، والتسليم إليه ، فمنعه هامان . نرجع بالقول إلى موسى ، وقال : فأنت إله نعبد ، وإنما رجعنا إلى قول السحرة والكهنة ، وإنما تجري هذه الأشياء بإثبات إن كان الأمر سماوياً ، فاتِ بمعجزات تبهر بها العقول ، وإن كان هذا الفصل أرضياً فهو من طريق السحر ، فقد رأيناه .

وقصد فرعون بهذا الكلام ليصد به قوماً خاف عليهم من الإيمان ، ثم سأله الإنصراف ووعده إلى وقت يعينه يوم الزينة ، الذي ذكره الله عز وجل ، وأمر
/٢٠٠ باجتماع الناس/فيه ، ثم نظر فرعون إلى هارون بين يديه ، فقال له : ما تقول في صدق أخيك من كذبه ؟ فقال : بل هو صادق فيما أتى به . فأمر فرعون بنزع ما كان عليه من تلك الجواهر ، فبدر موسى إلى أحد المدرعين فانتزعها وألبسه إياها ، فلما وقعت على جلده بكى ، ثم إن فرعون أرسل بعد خروج موسى من عنده إلى المدائن حاشرين ، فاجتمع الخلق ليوم الزينة ، وكان لموسى ما قصه الكتاب ، وأن موسى خرج من عند فرعون ، ثم نصب أخاه أساساً ، وتسلم قسطه من التأييد ، وهو ما قاله الله تبارك وتعالى له : ﴿ . . . أضرِب بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانبَجسَتْ مِنهُ إثْنَتَا عشرة عَيناً . . . ﴾[1] .

وذلك أنه لما اتصل بقسطه وصار مشرباً للواردين عليه ، وأنه لما اجتمع الخلق ليوم الزينة تقدم هارون دون موسى ، فلما رأى القوم ما رأوه من كلامهم وعلاهم من الطوفان ، قال العلماء بأجمعهم : ما هذا سحر وما هذا إلا أمر سماوي ؟ وإن هذا الرجل الذي كنا ننتظره ، والآن نحن مصدقون به ومؤمنون به ، وبمن أرسله إلينا ، وهو ما حكاه الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿ . . . أَمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِين رَبِّ مُوسَى وَهَارونَ ﴾[2] فكان معجزه الأول في عصاه وما أتى به فيها مع فرعون وملئه ، وكان معجزه الآخر ما جرى منه لأخيه ، وما جرى من أخيه لنقبائه ، وما جرى منهم من الإحتجاج منهم مع نظرائهم من غير أن يروه أو

---

(١) سورة : ٧ من الآية ١٦٠

(٢) سورة : ٧/ ١٢١ - ١٢٢

٢٠/ يراهم ، بل كانوا في دار فرعون ، ومقرين به/ بزعمه ، فعندها قال لهم فرعون : آمنتم له قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة ، يعني في الشريعة ، لتخرجوا منها أهلها .

يقول : أردتم أن تفسدوها على أهلها ، وجرى بينهم ما قصه الكتاب ؛ واشتدت ببني اسرائيل المحنة ، وكل ذلك موسى وهارون يخلصون منهم نساءهم وأولادهم شيئاً بعد شيء ، ووقع الإضطراب بالمنافقين لما أراهم قد رفعوا عنهم ما كانوا يرون دونهم ، ولا يقتدون بهم ، فأتى المؤمنون إلى موسى وقالوا له : إنا ننتظر ظهورك ، ونتوقع الفرج على يدك ، فلما رأينا ما كنا نرجوه غلظت المحنة علينا فرق لهم موسى وناجى ربه فيهم فقال : اللهمّ لهم ، إني مهلك فرعون بهم وشياطينهم ، بعد أربعين سنة .

وأخبرهم موسى بذلك : فقالوا : ما شاء الله فأوحى الله إلى موسى لما صح عندي قول بني اسرائيل واستسلامهم إليّ ، فأنا أقصر عمر فرعون عشر سنين ومهلكه بعد ثلاثين سنة ، فأعلمهم موسى بذلك ، قالوا كل نعمة من الله ، فأوحى الله إليه أني نقصت بعد هذا القول من عمره عشر سنين ، وأنا مهلكه بعد عشرين ، فقالوا لا يأتي بالخبر إلاّ الله ، فأوحى الله إليه أني نقصت من عمره بعد هذا القول من عمره عشر سنين ، وأنا مهلكه بعد العشر الباقية ، فقالوا لا يصرف
٢٠/ السوء إلا الله ، فأوحى الله قائلاً إني مبتر عمره وممحق/ أيامه فأخرج في غداة يومك هذا بني اسرائيل من مصر ، فخرج من مصر لوقته وتوجه بهم نحو أرض القدس ، ونادى في تلك الليلة في بني اسرائيل بالرحيل من مصر إلى أرض القدس التي كتب الله لكم .

ولما أصبح في تلك الليلة سار في خمسة عشر ألفاً إلى بحر القلزم فحصل بها في سبعين ألفاً ، فعقد في ذلك الوقت على هذه العصابة البيعة لهارون ، وكان أكثر رجاله لم يبايعوا موسى إلا طلباً للدنيا ، والأقل كما قال الله عز وجل الذين

اتبعوه ، وعقد المنافقون في أنفسهم أنه إن جاءنا بما كنا منتظره كنا معه .

ولما سار بهم ليلاً وأصبح ، فشا الأمر في آل فرعون فخرج وخرج أتباعه من بني اسرائيل يطلبون إخوانهم وهم الذين طلبوا محبتهم للدنيا وزينتها ، وجدّوا في السير فأرسل الله الملائكة عليهم يضربون وجوه خيولهم حتى أصبحوا في عسكر فرعون ، خموداً إلى شركهم حقيق على الله لا يسيركم معهم ، وأنتم اعتقدتم طلب الدنيا وزينتها .

وسار فرعون في أثرهم بالجد والإجتهاد فلما قرب منهم ونظر ببني اسرائيل ناداهم فرعون وجنوده، فشكوا ذلك إلى يوشع فأخبر يوشع موسى باضطرابهم وما
٢٠٣/ هم عليه ، فأمرهم موسى أن يقتحم بهم البحر ففعل حتى غاصت ساقاً فرسه في/ الماء ، وكان تحته فرس أشهب فرجع وأعلم موسى ، فأمره بالرجوع ثانية فسار حتى غاص إلى ركبه فرجع وأعلم موسى ، فأمره بالرجوع ثالثة فرجع وسار بهم إلى أن غاص فرسه إلى اللبب ، فعند ذلك أوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق كما قال الله وذلك أنه وقف الماء يميناً وشمالاً ، وسار موسى أمام القوم وهارون يتبعه وسار بنو اسرائيل في أثره ، ويوشع في ساقة العسكر ، وهو ما حكاه الله عز وجل من قوله : ﴿ ... فاضرِب لَهُم طَرِيقاً في البَحرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى ﴾[1] .

وروي أن يوشع كان يسير بفرسه على الماء فلما رآه فرعون وما يفعله تبعه طمعاً فيه يفعل ، فلما سار بمن معه ، وهم أن يدرك بالقوم انطبق عليهم البحر ، وكان من أمره ما قصه الكتاب .

---

(١) سورة : ٢٠ من الآية ٧٧

تأويل قصة موسى

وأما البحر الذي ضربه موسى بعصاه فهو ظاهر فرعون وما ألفه برأيه وقياسه ، فتقطعت أكباد حملته من ملوحته وزعوقته ، عندما ذاقوا ما أفرغه موسى بتأييده على أنهاره المتفجرة من حجره ، وبقي من بقي مع فرعون على ما كان عليه ، وفي يده من قياسه ، ولم يذق من تلك الأنهار شيئاً ، تائهين فيه إلى وقتنا هذا ، ولما عبر موسى ببني اسرائيل البحر ، واطمئن القوم من عدوهم ، ورجع الماء إلى حاله
٢/ وأيقوا أن البحر بينهم وبين عدوهم ، أوحى الله إلى موسى / أني قد أهلكت فرعون وجنوده ، فلما علم بنو اسرائيل بذلك ، قالوا نريد بذلك برهاناً نطمئن به ، وبذلك نفوسنا . فكان البحر يرميهم إليهم أمواتاً كالأزقاق .

وعند ذلك قالوا لموسى : بعد أن هلك عدونا أرجع بنا إلى أرضنا وديارنا ، فسكت عنهم ساعة . قال : إن الله أوحى التي إن أردكم إلى أرض أبيكم ، وأخرجكم من دار القبط التي هي دار الضد ، وينصب دار القدس دار هجرة ، ويجاهد بكم منها عدوكم . ثم رحل بهم إلى دار القدس فمر بهم على قوم منعكفين على أصنام لهم قالوا يا موسى إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ثم سار بهم حتى انتهى بهم إلى أرض القدس ، فقال لهم : يا قوم أدخلوا الأرض المقدسة التي كتبت الله لكم ولا ترتدوا على أدياركم فتنقلبوا خاسرين . فقالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين قد تغلبوا عليها بعدنا ، ونحن لا ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعدون .

وإنما فعلوا ذلك رجاء أن يرجع بهم إلى دار الضد فعندما قالوا هذه المقالة

حرم عليهم مصر باقي حياته وأرض القدس ، وخرج بهم إلى التيه ، وهي طولها أربعة فراسخ فتاه بهم فيها مدة حياته كما وعدهم أربعين سنة ، فكان من أمرهم ما قصه
٢٠٥/ الكتاب ، فقد روي أنه لقي عوج بن/ عناق في ذلك التيه ، وكان عظيم الخلق فقتله الله على يديه .

وقد تقدم القول به أن أيام قابيل الملعون انتهت إلى أيام نوح فأهلك الله باقي عقبه على يديه ، وقام هذا الملعون من عقبه فاقتفى أثره وركب سنته ، وقوي مذهب أبيه ، ولم تزل سنته قائمة حتى انقطعت على يدي موسى ، وبقي من بقي من عقبه مطرودين من الشرائع يلعنهم الحدود العلوية ، وتتبرأ منهم الحدود السفلية .

وكل من تراه يتشيطن على أهل الحق ، ويرجع إلى الرأي والقياس ، فمن نسل أولئك الملاعين. وقد روي أن قوم موسى اختلفوا في ذلك بعد أن قتل هذا الملعون ، وقالوا له : لن نؤمن لك بهذا المعبود الذي تحيلنا إليه حتى نرى الله جهراً ، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، وكانت صاعقة الموت .

وروي عن موسى أنه لما رآهم صرعى من عليهم مات لموتهم ، وسأل ربه فقال : يا رب أصحابي . فأوحى الله إليه أني أريد أن أبدلك بهم غيرهم ، فسأله ثانية فأحياهم له ، ومن عليهم بحياتهم ، فصار موتهم كفارة لذنوبهم وطهارة من شكهم ، وردهم ليستوفوا ما بقي من أرزاقهم أعمارهم ، وهو ما روي عن أمير المؤمنين أنه قال : لا تجالسوا المبغوضين فينزل بكم العذاب كما نزل بهم وأن بني اسرائيل لما أيقنوا بالمحنة ، أذعنوا إليه بالطاعة ، وسكنت أحوالهم ، وهدأ
٢٠٦/ هيجانهم ، إلى أن امتحنهم الله بغيبة/ هارون قبل موسى .

وذلك لما نعيت إلى هارون نفسه أيقن بفراق الدنيا ، وقال لأخيه إن أجلي قد قرب ودنا مني ما بعد ، ولي ولدان يصلحان للإمامة ، وولد صغير فلم ينزل عليّ الوحي بمن ينصب منهما فما ترى أن أصنع بهما ، ومن أنصب منهما ؟ قال له موسى يا أخي مرهما بالقربان الذي به أمرنا الله عز وجل ، فكان هذا محنة من الله لهارون ،

إذ لم يأمره بتنصيب من ينصب من بعده ، كما تقدم ذلك في أسلافهم ، فدعاهما هارون وأمرهما بالقربان فاضطرب بنو اسرائيل ، وجال المنافقون بعضهم في بعض وأصاب من يستتر بالشريعة من ولد عوج السبيل إلى الطعن ، وإلى الرأي والقياس .

وقالوا للولدين انكما قد أمرتما بالقربان فكيف بكما أن يقبل قربان الأصغر على الأكبر ، وقد علمنا بما كان من قصة ولدي آدم قبلكما ، وأولاد يعقوب ، وكيف جرت أحوالهم ، وإننا لنخاف عليكم من نسخ النفوس ، فقالا لهم : وما نصنع ؟ فقال المافقون : يأخذ الأصغر على الأكبر عهد الله وميثاقه بأنه متى حضرته النقلة سلم الأمر إلى أخيه دون ولده ، ونحن نصلح لكما ناراً مستعملة تجعلونها في قنديل الأكبر ، فعمل ذلك القول فيهم وأخذ الأصغر على الأكبر عهد الله وميثاقه واستعمل القوم ناراً فجعلوها في قنديل الأكبر وأمرهما بالخروج من بيت المذبح
٢٠/ المتقدم ذكره ، فخرج من تلك المشتعلة/لهب علق بثوبيهما ، وأقبلا ليطفياه والنار تزيد عليهما فاشتعلت ثيابهما ، فهمّ هارون ليقوم فيخلصهما فمسكه موسى وقال له يا أخي لا تعارض أمر الله فيهما ، دعهما وأعمالهما فبقيا يستغيثان والنار تلتفهما حتى احترقا .

ولما رأى المنافقون ما حل بهما وأيقنوا أن تلك المحنة منهم لما حملوهم عليه من رأيهم وقياسهم أيقنا بالمحنة ، وبقي موسى وهارون متحيران فيهما ، فعندما ضاق الأمر بهارون أوحى الله إليه أن سلم ميراث الأنبياء إلى يوشع بن نون ، واجعله كفيلاً على ولدك الأصغر فإني ورثته المنزلة دون إخوته ، وورث المنزلة الغريب النسب دونهما لما علمته من سوء نيتهما .

ولما تقدم ليوشع من الخدمة في الدور الأول وقيامه بالأمر ، وذلك أن يوشع كان أم لموسى وأخ لهارون ، وأب لولد هارون لما كان مستودع ميراثه ، واعلم أنه لما جاء موسى كانت قربانه الذبائح واللحوم كما كانت العرب إلى أن جاء محمد يتقرب بذبحها إلى أصنامهم ، إن كانت القرابين سنة ابراهيم ، وقد تقدم القول فيه أيضاً ، فلما بعث محمد فسد ذلك عليهم مما ألقوه بآرائهم وقياسهم ، وردهم إلى

شريعة ابراهيم المتروكة ، وأن موسى أمرهم أن يأتي المتقرب بشاتين فيذبح الواحدة
٢٠٨/ ويلطخ بدمها قرن الأخرى ، وتبقى شاته/ لا تذبح حتى يموت فيجعل شحم المذبوحة في جوفها، ويجعلها في بيت القربان بمحضر من موسى وهارون، وتغلق الأبواب فتأتي نار من السماء فيقد ذلك الشحم حتى أنه لتفوح منه رائحة المسك الأزفر ، حتى أنه يشمه جميع من في المدينة ، وأنه لا يبقى بيت من بيوت بني اسرائيل إلاّ ويشم تلك الرائحة ، فيخرجوا شاردين إلى بيت القربان ليعرفوا صاحبه فيطيعونه ، ويكون عندهم مبجلاً مكرماً ، مقبول الشفاعة ، عاد في قومه ، صادق صدوق ، ومن لم يتقبل قربانه لم يكن له عندهم منزلة ، إلاّ رعاع الناس .

وكانت عهودهم السفور وحلفهم بها ، وهي سبع سفور في كل سفر سبع دورات ، في كل دورة مكتوب قل هو الله أحد ، وكانوا يضربون بها في الناس ، فلما أفسد ولد هرون لما حضرته النقلة ، أخذ بيد موسى أخيه وصعدا جميعاً إلى جبل الطور ، فلما استويا على ظهره ، فإذا بيت وعلى بابه شجرة ، فتدلت على موسى من تلك الشجرة حلتين ، وآدخل هذا البيت ، ونم على السرير الذي فيه ففعل هارون ذلك ، فلما نام قبضه الله إليه ، ورفع البيت والشجرة ، ورجع موسى وحده ، فلما رآه بنو اسرائيل رجع وحده اتهموه بقتل هارون ، ثم سألوه عنه فأخبرهم بخبره فكذبوه ثانية ، وقالوا لن نؤمن بهذا القول حتى تأتي ببرهان عليه ، لأنك قتلته
٢٠٩/ لتورث منزلته لولدك من/ بعدك ، فشكا ما نزل به لى الله فأمره[1] أن يصعد مع القوم إلى الجبل ، وأمر الملائكة أن يحملوا السرير ويردوه إلى الأرض ليروه فيصدقوا موسى على قوله ، فأمر الله بذلك كما حكى موسى لهم وأنه لم يزل ينزل حتى لصق بالأرض فرأوه ، ورأوا هارون نائماً على السرير .

وعند ذلك أيقنوا بموته ثم ارتفع السرير عنهم فنزلوا عن الجبل مطمئنين ، ولما هدأ فورانهم ، واستقام أمرهم ، جمع حججه ونقبائه وقال لهم : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . يعني الحد المربى للنطقاء ، أن ينصبوا حجة يكون مرجعهم

---

(١) فأمره : سقطت في جـ

إليه ، فقالو أتتخذنا هزواً ، أي ليس لنا نصب الحجج ، فقال : أعوذ بالله ، أن أكون من الجاهلين ، يعني المستهزئين .

وكان من أمره معهم ما قصه الكتاب ، وأنهم ذبحوها أي نصبوه ، وما كادوا يفعلون . ولقد حذفنا ما تبقى من قصته خوف التطويل ، وذلك أن موسى أخذ على يوشع العهد ثانية لنفسه بما واقفه عليه من القيام بأمر الله والتسليم لمستحقه ، ثم أخذ العهد على سائر النقباء بالسمع والطاعة ، فعند ذلك سلم له التوراة واستخرجها من الألواح وسلمها إليه ؛ وجمع بني اسرائيل وأشهدهم عليه بذلك ، وعلى نفسه بإقامة الوصي بعده ، وأنه لم يسلم إليه إلاً بأمر الله . ثم عطف على
٢١/ الجماعة فقال : ملعون من خالفه، ملعون/ملعون من رد قولي هذا . وهي الألواح التي أمره الله بتسليمها إلى أساسه عند نزولها عليه .

ولما غاب موسى دفع النقباء يوشع بما أتاهم به ، وألفوا هذه التوراة التي في أيدي اليهود مما سمعوه من موسى ، وغيروا واستغنوا بها عما في يد يوشع ، وردوا قول موسى ووصيه وجمعه لهم عند غيبته ، وقوله لهم : إن التوراة المنزلة عليّ من عند الله هي التي سلمتها إلى يوشع بإذن الله ، فمن خالفه عليها فهو ملعون .

وقد خالفوا هذا القول ورجعوا إلى تأليفهم برأيهم وقياسهم ، وكذلك فعل أصحاب الإنجيل بعد عيسى لما جمع تلامذته وسلم إنجيله إلى شمعون بمحضر منهم ، وقال : هذا كتابي عنده ، وهو الوصي بعدي ، ملعون من خالفه . واستغنوا عن الإنجيل بعده ، وردوا قوله ، وألفوا الأناجيل الأربعة التي في أيديهم برأيهم وقياسهم .

ولقد كفر بعضهم بعضاً ، إذ لم يتفقوا على تأليف واحد ، وكذلك فعل ضلال ملتنا لما جمع محمد (ﷺ) كتابه وسلمه إلى وصيه ، وجمع نقبائه ، وقال لهم : إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ؛ في خبر يطول شرحه نأتي عليه في موضعه إنشاء الله تعالى ، ثم قال اللهم اشهد اني قد

بلغت ، قالها ثلاثة . ثم قال ملعون ملعون من خالفه ، ملعون من رد قولي . فلما غاب تركوا قوله ، وألفوا كتاباً ، واستغنوا به عن كتاب ربهم بما جمعوا بآرائهم
٢١١/ وقياسهم ، وكفر بعضهم بعضاً ، وألف عثمان تأليف آخر ، وأحرق ما ألفه أبو بكر/ وعمر ثم جاء الحجاج فأحرق ما ألف عثمان ، وجمع هذا الكتاب الذي في أيديهم بعد أن أسقط منه ما أراد .

فهذه محن الأنبياء وما جرى عليهم من تكذيب أممهم ، ومما لوح به موسى في من يأتي بعده مما هو مكتوب عندهم في التوراة ، من هذه الثلاثة الأسابيع التي تكون بعد الأنبياء ، وهو ما أشاره إلى أمه أشعيا ، ورمز لهم ، لكنهم عموا وصموا ، فمن ذلك ما قاله لهم ظاهراً مكشوفاً ، فإن استعبد أحدكم عبداً فليستعبده ست سنين ، وفي السابعة ملك رقه من مسترقه ، ولا يقع عليه ملك ، فإذا تمّ له ذلك أخذه مالكه ، وهب بإذنه بالمسألة على عتبة باب البيت ، فإن امتنع من ذلك بقي تحت ملكه باقي حياته .

وقد عني بذلك أن الستة الأئمة القائمين بعدي هم للأمة كالموالي ، والأمة لهم كالعبيد ، فإذا ظهر السابع وجب عليهم طاعته ، وترك الأمر الأول ، وقامت الشريعة به . ثم قال في الدور الثاني ، وإذا زرعتم أرضاً فازرعوها ست سنين ، ونوروها في السنة السابعة ، ولا يجوز أن يزرعها إلاّ الآباء منكم ، بل الأنبياء يزرعونها .

وبذلك يقول إذا قام صاحب الدور الثاني يعني المسيح الذي ليس له ولادة جسمانية لأن دعوته إنما قامت بالحوارين والنقباء والدعاة ، وسائر أهل الدعوة ، إنما هم أبناء الأنبياء لأنهم بنوها ليقوموا بدعوتهم بين أيديهم ، وبعدهم . ولذلك نسب عيسى إلى آدم بقوله : ﴿ إنَّ مَثَل عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدمَ . . . ﴾[1] فصح لك أن ولادة آدم كانت روحانية ، ونهى[2] ما للجسمانية في هذا معنى ، ولذلك
٢١٢/ عنى موسى بقوله إذا تمت الدعوة الروحانية بالآباء الستة/ المختلفين وهم السنين

(١) سورة : ٣ من الآية ٥٩

(٢) ونهى : ونه في جـ

التي عناها ، أنهم يزرعون فيها الأرض لأن الأرض تعني نقباءهم الذين يزرعون فيها ، لأن أرض الخلفاء نقباءهم الذين يزرعون فيها حكمتهم ، ويأمرونهم بالقيام بها ، ثم أمرهم الا يزرعها الآباء من ولد اسحق عني عن هؤلاء ذرية متناسلين جسمانياً .

وتمكن فيهم الملك فصاروا آباء متوارثي الملك والحكمة من ولد اسحق بعد الدعوة المسيحية الروحانية ، ثم قال معلماً لهم بما يكون في دور الأنبياء المتوارثي الملك والحكمة ، كما قلنا إذا مات لكم ميت فاستروا رؤوسكم سبعة أيام بلياليها ، ففعلوا المثل وتركوا الممثول ، وذلك أنهم غطوا رؤوس أبدانهم الظاهرة ، وتركوا ما عناه لهم ، وهم رؤسائهم الذين أخذوا عنهم دياناتهم .

وإنما أراد بالميت موت منزلة اسحق وولده ، فإذا ماتت دولتهم ستروا رؤساءهم بالتسليم إلى مستحقه كما سلم من قد مضى من الأمم ممن تقدم القول بهم الرياسة إلى المستحق لها؛ ثم أن يستروا أنفسهم بينهم إلى أوان الظهور كما استتر في أيامكم ففعل ذلك منهم من كان عنده علم ومعرفة ، وبقي جهال الناس وسفهائهم ، واتبعوا شياطينهم . فلما طال بهم الأمد قست قلوبهم ورجعوا إلى آرائهم وقياسهم ، ولم يعلموا إنما أشار إليهم بأنه إذا تم لمحمد بن اسماعيل سبعة أئمة وثمانية خلفاء ، فعليكم ذلك بستر رئاستكم ، فإن الرياسة إليهم تصير .

والسبعة أيام هم الأئمة السبعة ، والليالي الثمانية فهم الخلفاء الثمانية ، وهم اثنين نطق بهما الكتاب في قصة هود ، بأنه سخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية أيام
٢١٣/ حسوماً : أي أئمة بأسرها وأنه بعد ثامنهم قام هود، وكذلك بعد/ تمام هؤلاء السبعة الأئمة والخلفاء الثمانية يتم أمر محمد (ﷺ) الجسماني ، وينفتح الدور الروحاني . ثم أكد القول عليهم بعد هذه السبعة والثمانية في التوراة بأنه يبعث في آخر الزمان سبعة دعاة صديقين ، يعني السبعة الأئمة ، وثمانية نجب الآدميين ، يعني الثمانية الخلفاء المنتجبين .

وقد ذكرت التوراة أيضاً أنه قال انه يكون (صا) فكان (صا) فجعلهم في اليوم الرابع ، عني لهم أن الرابع من موسى هو القائم الذي تنتظره الملل كلها الذي

يظهر أنواع الشرائع بأسرها وتأويلها ، وهو الذي سماه الله في كتابه يوم الفصل لأنه الفاصل بين الحق والباطل ، وبين أهل الظاهر والباطن ، وبين أهل الشرائع . ولذلك أيضاً نصب موسى لقومه أربعة أعياد وهم : عيد اليسوع ، وعيد الذكر ، وعيد الفصح ، وعيد المصلات .

وقد عني بعيد الفصح نفسه ، وبعيد اليسوع عيسى الذي هو سابع الأئمة المتقدم ذكرهم ، فإنه الناسخ لشريعته ، وعيد الذكر محمد لأنه سماه في كتابه : ﴿ ... ذكراً رَسولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آياتِ اللهِ مُبَيناتٍ ... ﴾[1] وكذلك سمى وصيه ذكراً بقوله : ﴿ ... وأَنْزَلْنا إلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ... ﴾[2] الآية .

والعيد الرابع فهو القائم ، وكذلك يعلنون جرائد النخل ، وأصناف الثمار ، ومفاخر الثياب ، ويظهرون فيه القراءة والدعاء والإبتهال . وإنما يكون هذا كله في وقت الظهور ، وأعلمهم بأن هؤلاء الأربعة يظهر على يد كل واحد منهم يمينه ، ولذلك أن كل عيد فيه يجتمع الناس من كل بلد ، وفي الرابع ينكشف الأمر كما قلنا . وأما عيد الفصح الذي عنى به نفسه فإنه لما أخرجهم من مصر وجاءهم عيد الفصح هذا أمرهم أن يذبح كل واحد منهم رأساً من الغنم ويجمع
٢١٤/ أهل بيته فيشدون أوساطهم ، ويحملون/ العصي على رقابهم ، ويطوفون حول مائدتهم لما خرجوا هاربين من مصر في ذلك اليوم ، نعم ويأكلون فيه الفطير ، ويسقطون الخمير ، كما كان يفعل سلفهم ذلك ، فأقام ذلك العيد على نفسه لأنه هو الذي افترضه عليهم .

ولما حضرت موسى الوفاة أوحى الله إليه أن سلم نور الله الأعظم ، وميراث الأنبياء إلى يوشع بن النون ، كما تقدم القول به ، فجمع نقباءه وسلم إليه بمحضر منهم ، وأشهد عليه وعلى نفسه فعل من تقدم من آبائه وقد روي أنه لما سلم الأمر

---

(١) سورة : ٦٥ من الآية ١٠ - ١١

(٢) سورة : ١٦ من الآية ٤٤

إلى يوشع خرج ذات يوم يمشي في الصحراء وحده ، فمر برجل يحفر قبراً فقال له موسى : أتريد أن أعينك على حفره فقال له : إفعل ، فأعانه ، فلما تم وأراد الرجل أن ينزل فيه ويقيسه بنفسه وينـام في لحـده ، قال له موسى : هل أنـزل أنـا فيه وأضطجع دونه فأجابه إلى ذلك ، ففعل موسى ما أراد أن يفعله .

وروي أن الحفار كان جبرائيل ، وأنه لما نام فيه قبضه الله إليه ودفنه جبرائيل وعرج إلى السماء ، ولذلك لا يعرف له خبر . ولذلك روي عن رسول الله أنه سئل عن قبره فقال عند الطريق الأعظم ، والكثيب الأحمر . وقبض عندما كان عمره مائة وعشرين سنة ، وقبض هرون قبله بثلاث سنين ، وقامت دعوته ودعوة أئمة دوره القائمين بشريعته بعد ألف ومائة سنة وثمانين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً مدة الزمان لموسى .

قصة يوشع بن النون

٢١٥/ ثم قام يوشع بن النون من بعده بأمر الله جلّ وعز واتبعه المؤمنون، /وتكبر عليه المنافقون ، فجمع بني اسرائيل وخرج بهم إلى أرض القدس ، وأخرجهم من التيه الذي كانوا فيه .

وروي أنه لما أشرف على أريحا ، وجه سابقيه إليها فمنعوه من الدخول ، وأن يوشع غار عليهم فبادروه بالحرب ، وكان الظفر لهم أول النهار ، ثم ساعده الله عليهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأقام القتل فيهم إلى مغيب الشمس ، وكان يوم الجمعة ، وامتنعت بنو اسرائيل من القتال ، وأبوا أن يقاتلوا معه ، فألح عليهم فقالوا له : إن موسى أمرنا أن من أجلٍّ السبت علينا نقتله ، فإن حملتنا على ذلك ناجزناك بالحرب ، فحول وجهه نحو المغرب، وتكلم بكلام خفي عليهم سماعه ، فرجعت الشمس إلى موضع القمر ، فأبهر ذلك عقول القوم ، فقاتلوا معه ، حتى فرغ من أعدائه فراغاً تاماً وسباهم ، وقتل جبابرتهم ، ورجعت الشمس إلى حالها من المغيب ، فعند ذلك أذعن بنو اسرائيل له بالطاعة ، وقاتل بهم عدوه .

وسار بعد فراغه بهم إلى بيت المقدس ، ففتح له أهلها بلا قتال خوفاً مما جرى على أهل أريحا ، وأقام بها أياماً ، وخلا بها عيال موسى ، وسار إلى البلدان بعد السبي والقتل لكل من عانده ، وأجلى كل من لحق به من ولد حمير وولد المكتوم ، من ولد دنية إلى أرض المغرب ، بعد أن لحقهم بالبلقاء فقتلهم وسباهم

وشردهم ، وهم آباء البربر إلى وقتنا هذا .

وروي أنه لما نزل على البلقاء كان يخرج إليه أهلها فيقاتلون ويقتلون ويرجعون ، ولم يقتل منهم أحد ، فسئل عن ذلك فقيل في البلد منجمة تستعمل
٢١٦/ الشمس في نحوسها، ونجّمت فعرفت من سيموت من قومها فمنعته/ من الخروج في ذلك اليوم ، فلما بلغ يوشع ذلك صلى ركعتين ودعا ربه فأخر الشمس عنه ساعة ، فاختلط عليها الحساب ، فعند ذلك أرسلت إلى يوشع رجلاً من أصحابها يدعى بالق فقالت له : أنظر ما تلتمسه منا فخذه وارجع عن قتالنا . فأبى عليهم ، فقال : لا أصالح ، أو تدفعوا إليّ الامرأة . فدفعوها إليه .

وروي أنها مثلت بين يديه فقالت له : فيما أوحى الله إليك أن تقتل النساء ؟ فقال : لا ، قالت : أَوَلَيْسَ إنما أمرت أن تدعوني إلى دينك ؟ قال : بلى ، قالت: أنا داخلة فيه وغير تاركة . فتركها ورحل عن بلدها إلى مدينة أخرى فأرسل صاحب ذلك إلى بلعم بن باعورا ، فكان يروى عنه أنه أوتي اسماً من أسمائه العظام ، ثم انسلخ منه ، وهو الذي حكاه الله في كتابه بقوله : ﴿ واتلُ عَلَيهِم نَبَأ الَّذِي أتينَاهُ آياتِنَا فانسَلَخَ مِنها . . . ﴾ الآية فركب بلعم أتانة له ، ورحل إلى صاحب المدينة ليعينه على يوشع .

وروي أن الأتانة عثرت به في وسط الطريق فضربها ، وقال : لم عثرت بي ، وليست عاداتك ؟ فقالت له : وكيف لا أعثر ، وهذا جبرائيل في وسط الطريق ، وبيده حربة ، وهو نهاك عن معونة فلان على ولي الله يوشع ، وأن بلعم دخل المدينة فقال له صاحبها : ياصاحب اسم الله الأعظم أدع لي على هذا الرجل ليعينني الله عليه ، فقال بلعم : ليس إلى ذلك سبيل ، ولكني أشير عليك بشيء يحسن به أحوالك . قال وما هو ؟ قال : تزيّن النساء وتأمرهنّ أن يأتين عسكره ، ويعرضن لرجاله ، فإن الزنى لم يظهر في قوم إلاّ وبعث الله عليهم الموت والجلاء ،

(١) سورة : ٧ من الآية ١٧٥

٢١٧/ ففعل ذلك فلما دخلت النساء/ عسكر يوشع وقع بهن الرجال ، فشم ولد هارون الذي كانت الإمامة له الحيلة ، فخرج يدور في العسكر حتى أتى إلى خباء فيه إثنان يتناكحان فطعنهما بحربة ، وخرج خارج الخيمة ، ثم شال الحربة ، فإذا الزاني والزانية على الحربة ، وقد صارت الامرأة فوق الرجل ، وطاف بهما العسكر حتى رأهما كل من في عسكره .

وعندها أوحى الله إلى يوشع أن قد سلطت عليهم عدوهم وأنا مهلكهم بالسبي وموت حثيث ، فقال يوشع يا رب هم عبيدك فلا أحب أن تسلط عليهم عدوهم ، ولكن أهلكهم بالسنين ، أو بالموت ، أو بما اخترت ؛ فمات منهم في ثلاث ساعات من نهارهم سبعون ألفاً بالطاعون . وروي أن بلعم هذا من ولد لوط المحمود ، ولم يكن المذموم ، وكانت الرائحة التي شمها ولد هارون هو ما طرقه من التأييد بخيال أبيه .

وروي أن صفراء لما بلغها ما فتحه الله على يد يوشع جمت من بقي معها من بني اسرائيل ، والمنافقين الذين ساعدوها على ذلك ، فاجتمع لها ولهم جيوش كثيرة ممن سمح بترك دينه ، فسارت نحوه راكبة زرافة فلقيها يوشع فبادرته بالحرب ، فكان لها الظفر أول النهار ، ثم أدال الله له عليها في آخر النهار ، وظفر بها وقتل جماعة من المنافقين ، ثم جمعها وأصحابها ، وأشار عليه بعض أصحابه أن يتركها معه ، فقال لهم يوشع : إن موسى قد واقفها على ذلك وأخبرها بما يكون منها ، ولا يجوز لي أن أفعل فيها ما أشرتم به ، ولكني أحفظ فيها قوله ؛ فوكل بها نساء من بني
٢١٨/ اسرائيل كأنهن البدور وكساهن/ الحرير والديباج ، وزياهن بزي الرجال وركبهن الخيول العتاق ، وأمرهن بالمسير والتستر عنها ، ولا يكشفن أمورهن ، وأعلمهنّ ما يكون منها ، وما يفعلن[1] معها ، فسرن معها إلى بيت المقدس ، فلما دخلت المدينة صرخت في الناس فاجتمعو إليها ، فقالت : إن يوشع قد أسرني وملكني ،

---

(١) يفعلن : تفعل في جـ

ثم سلمني بعد ذلك إلى غلمان أحداث يعبثون بي طوال الطريق ، ويردونني ، فأنكر الناس ذلك فصرخوا وجلبوا ، فعند ذلك كشف النساء عن وجوهن اللثام فنظر بنو اسرائيل كأنهن البدور ، كشفن عن صدورهن فإذا هن نهود قيام ، وقلن نحن نعبث بمثل هذه .

وعلم بنو اسرائيل عند ذلك حيلتها وظلمها وكذبها ، فرفضوا كلامها وزهدوا فيها . وروي أنه لما افتتح المدينة واستقر أمره قسم الأرض بين أسباط بني اسرائيل الاثني عشر ، فملك كل سبط موضعاً ، ونفى عنهم أعدائهم ، فخرجوا مشردين إلى المغرب وغيره ، ولم يدع معهم أحداً ينازعهم ، فلما دنت وفاته ، وتقضت أيامه ، أوحى الله إليه أن سلم الأمر إلى فنحاس بن هارون ، ففعل فعل من تقدمه ، فأحضره ونقبائه ، وسلم إليه بمحضر منهم .

وروي أن رجلاً من عقب رويل بن يعقوب سافر عن بلده ، فوقع في وسط نبيامين ، وكانت له زوجة ذات جمال وكمال ، فأقام في وسطهم مدة ، وأن قوماً من أشرار البلد ، رأوا الامرأة فأعجبتهم ، فتجمعوا على زوجها وانتزعوها منه ، ٢١٩/| وأنهم لم يزالوا يتداولونها/ حتى اعتلت فحملوها لزوجها فأخذها فقطعها على إثني عشر سبطاً ، وطرح كل جزء منها في جزيرة من جزائر الأسباط ، وكتب كتاباً إلى كل سبط يستنصره ويخبره بما حل به من سبط بنيامين .

ونفر جميع القبائل معه منكرين لما فعلوه ببنيامين ، فاجتمعوا وكتبوا إليهم يفجرون فعلهم ويسألونهم توجيه الفعلة بأعيانهم ، فدفعوا قوله ، وحاموا عن أصحابهم ، فرد الجماعة عليهم الجواب إنما كتبنا إليكم بذلك أعذار ، فإذا لم تأتوا بالجباة تعرفكم ، ثم اجتمع أحد عشر سبطاً في أربعماية ألف وخمسة وثمانين ألفاً وساروا إليهم فالتقوا بهم ، وكان عدد سبط بنيامين مائة ألف وثلاثة وأربعين ألفاً ، فالتقوا في القتال بعد الأعذار والإنذار فقتل ذلك اليوم من الأنصار خلق عظيم ، ولم يقتل من أهل الباطل أحد .

وكان الذي قتل من الأنصار أشرارهم ، فلما أنقى الله الأشرار منهم التقوا بعد أربعة أيام فأدال الله لأهل الحق على أهل الباطل ، فلم يبقوا منهم أحداً ، وأوحى الله إلى فنحاس أني لما علمت من غيرة أولياء الحق أهلكت أهل الباطل الذين فيهم ، فلما صفوا قتلت بهم أعدائهم ، فكان عدد من قتل من الأنصار ثلاثة عشر ألفاً .

وروي أن الأنصار لما رأوا ما حل بسبط بنيامين ، وانقطاع نسلهم ؛ عمدوا إلى نسائهم فاستنكحوحن ، وجعلوا نكاحهم لله خالصاً ، لأن لا ينقطع نسل
/٢٢٠ بنيامين فما ترى من عقب بنيامين فهم/من ذلك النسل ، وقد جاء في التوراة أن بنو الرب لما نظروا إلى بنات حسان الوجوه فجعلوهن أمهات الأولاد ، واستتر فنحاس وخفي الأمر في الأعقاب ، مما لو تقصيناه لطال به الشرح .

ولم يزل الأمر مستوراً إلى أن قام شموئيل بن هلفا ، وكان اسمه عقوق ، فكانت أيامه أيام خصب ، وأمان ودعة ؛ فهدأوا من هيجان الفراعنة ، وكانوا تائهين في البلدان ، فلما تم له من ملكه ثمان سنين رجع بهم إلى بيت المقدس ، وكانوا لم ينظروها مذ خرجوا مع يوشع ، وأقام فيها ؛ فلما انقطعت أيامه أوحى الله إليه أن أقم طالوت بين يديك فامتحن به قومك ، وكان طالوت هذا من سبط بنيامين ، وكان قد صار إليه شيء من العلم المخزون والحكمة ، وكان مسكيناً يرعى حمير بني اسرائيل ، فضلت له أتانة ، فخرج في طلبها فوقع في بني شموئيل فضاق بهم فلما استقر بهم المجلس ، وجال بينهم الكلام وسمعوا منه ما سمعوه من الحكمة والعلم والأدب ، فسألوه عن ذلك ، وعن حسبه ونسبه فأعلمهم أنه من عقب بنيامين ، وأنه سوف يديل الله له على بني شموئيل ، فأنكروا قوله وردوا عليه ، وهو ما حكاه الله عن قولهم ، أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه .

وروي أنه لما طالت المحنة أيام شموئيل مع القوم أتاه جماعة من المنافقين

فقالوا : إنا نريد منك أن تنصب لنا ملكاً نجمع به شملنا ، ونفزع إليه في أمرنا ،
٢٢١/ ويكون كسائر من تقدمنا . فقال لهم: وما الذي أنكرتموه مني فإني لا أحب منكم/ أن تفضحوني بين يدي الرب ؟ ثم إنه جمع أهل الدعوة الباطنة ، فقال لهم : هل لأحد منكم ظلامة يطلبها ، أو غصبت أحداً مالاً ، أو أخذته بغير حله ، أو أعطاني أحد منكم رشوة ؟ فقال القوم بأجمعهم : أما نحن فما لنا قبلك ظلامة نطلبها . فعطف على أولئك ، وقال : فما الذي دعاكم إلى طلب هذا الملك ؟ قالوا : نريد أن نكون مثل الأمم الخالية . فقال لهم : أن إلهكم هو مالككم ، وأنا فإمامكم ، وأنا على تقويمكم ، فقالوا : هو كما تقول ، وإنما أردنا منك رجلاً يتوسط أمورنا . فقال لهم : شموئيل : اسمعوا كلام الله على لساني ، إن الملك الذي طلبتموه سيكون بلاءكم على يديه ، ويكون سبباً لانتزاع الملك من أيديكم ، وقد ارتضيت لكم طالوت ، ولم أنصبه عن أمري بل ربكم امتحنكم به ، فنفر القوم عند معرفتهم به ، أنّى يكون لطالوت الملك علينا ، وهو من عقب بنيامين .

ولم يؤت سعة من المال فنحن إذاً أحق بالملك منه ، ومن أهل بيته ، فقال : إن الله ملكه عليكم وليس على الإعتراض ، لكنه عليه . فملكهم طالوت بأمر الله وخيرته ، فقام فيهم شموئيل ورتب حدوده ، وأقام النقباء بين يديه ، وسلم إلى كل واحد منهم قسطه من التأييد ، وصير لهم مشرباً ، ثم قال لهم : لا تخرجوا إلى قتال أحد إلاَّ بوحي من الله على يدي ، وأنكم متى خرجتم بوحي كنتم ظافرين ، وإن خرجتم بغير وحي انقلبتم خاسرين بما نبذتم ، ان لهم ظاهر ينتهون إليه ، وهو ما
٢٢٢/ حكاه الله عز وجل كقوله : / ﴿ . . . إنّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إلاَّ مَنِ آغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ . . . ﴾[1] .

وكان هذا الخطاب لأهل الباطل يقول لهم من شرب مما صار إلى الأضداد فهو خارج عن خدمتي ، ومن لم يطعمه فإنه مني يعني من لم يكن إليهم مائلاً ومن ظاهرهم الذي امتحن به آكلا ، وثبت على ما في يده فهو مني ، ثم استثنى عليهم ،

---

(١) سورة : ٢ من الآية ٢٤٩ .

بقوله : ﴿ . . . إلاّ مَنِ ٱغْتَرَفَ غَرْفَةً . . . ﴾ ، يقول إلا من اقتبس مما ألفه بشيء استتر به مع الناس كما استترت امرأة فرعون مع فرعون في ظاهره .

وأن الخلق مالوا بأجمعهم إلى ما ألفه ، وركنوا إلى دنياه التي سلمت إليه ، وإلى العاجلة والملك الذي ارتضاه الله له ، إلا القليل من الحدود المذكورة ، فإنهم لم يميلوا ولا رغبوا في دنياه بل تركوه على حاله واستتروا عنه ، وهو ما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ أَلَم تَرَ إلى المَلأ مِن بَني إسرائيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إذْ قَالُواْ لِنبيٍ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلُ في سَبيلِ اللهِ . . . ﴾[2] وكان الملك عندهم هو الذي يسير الجيوش ويقوم بين يدي الإمام .

وقد كان النبي الذي سألوه ذلك هو إمام زمانهم المتقدم ذكره ، وأنه لما سألوه ذلك قال لهم أنتم ليس لكم وفاء ولا رغبة في جهاد عدوكم ، وإنما رغبتم فيه لتجمعوا به أمور الدنيا ونحن قد أخرجنا من ديارنا وما بدلنا من قتل عدونا ، قالوا له ونحن قد خرجنا من ديارنا في طاعة إمامنا فقال لهم : إن الله قد أمرني بنصب
٢٢٣/ طالوت هذا وتمليكه عليكم ،/ فلما عرفوه قالوا : أليس هذا من ولد بنيامين بن يعقوب ؟ وليس الملك في ولد بنيامين ، وأن الله أزال الإمامة عن بنيامين ويوسف وسار بها في ولد لاوي بن يعقوب ، والحكم في ولد يهودا ، فنحن أحق بالملك من هذا !

وعند ذلك قال لهم : إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، وأما العلم مما كان بين يديه من ميراث الأنبياء وما سار إليه من الظاهر الذي رفعه إليه ، والملك فهو لله يضعه حيث يشاء من عباده وليس لكم عليه اختيار في ملكه . فقالوا : إن جاءنا بالتابوت المتوارث من آدم ، والذي أوحى الله نوحا يوماً بحمله معه في السفينة ، وحملته الملائكة خلف عن سلف إلى أن وصل إلى صاحب زماننا ، ثم إنه ملك طالوت عليهم فمال أهل الحق إليه ، وركنوا إلى الدنيا

(١) سورة : ٢ من الآية ٢٤٩
(٢) سورة : ٢ من الآية ٢٤٦

اليسيرة ، واستتروا في النـاس ، وكان الأمـر والوديعـة في داود ، وهـو صاحـب الباطن ، والتأييد إلى أن يكمل أمره ، ويبلغ أشده وأن طالوت لما ملك أمره ببعث الجيوش ، وأن يحضروا من بطون القبائل من يقوم بين يديه ، وأن يجاهدوا بهـم عدوه ، ثم إن الوحي طرقه بالخروج إلى جالوت ، وذلك قوله : فلما فصل طالوت بالجنود ، وذلك جمع النقباء والبطون وبدر بها ، وكان معـه أبـو داود وهـو شيخ كبير ، وكان له ولدان يصلحان للسفر والحضر كاملان في جميع أمـورهما ، وكان
٢٢٤/ داود ثالثهما ، وكان حقيراً دمياً/ قد اعتزله أبوه وإخوته ، وجعلوه يرعى غنماً لهم .

وروي أن أهل فلسطين لما رأوا ما صار إليه طالوت من الملك حسـدوه ، وأجمعوا من كل أفق من ساعدهم ، وسمح بترك دينه ، وقدموا على أنفسهم ومن ساعدهم رجلاً يعرف بجالوت ، وكان عظيم الخلـق ذو أيد في يديه ورجليه قد فضل على الخلق هياكله ، وكان داوود قصير القامة أزرق العينين ، دميم الخلقة حقيراً في العين زري المنظر .

وروي أن الله أوحى إلى طالوت أن ابرز إلى جالوت وهو ما طرقـه بخيال امامه يأمره بمبارزته وأن الملك قال له إنه لن يقتل جالوت إلا من تسود وصلح له ، فبرز طالوت لقتال جالوت ، وسار بالجنود ، وأن داوود خلى غنمه ، ولحق اخوته فمر في طريقه بحجر فناداه الحجر يا داود خذني معك فبي والله تقتل جالوت ، ولقتله خلقت . فأخذه ووضعه في مخلاته .

وسار حتى لحق بإخوته فلما رأوه طردوه مراراً وهو يرجوهم ، ثم قال لهم : لا يهولنكم أمره فأنا أقتله ، فتحدث الناس بذلك وفشي الخبر حتـى صار إلى الملك فأحضر إخوته وأباه وأمرهم بإحضاره فخاطبه فأصابه قوياً في كلامه ، فقال له في بعض مخاطبته : ما بلغ من قوتك ؟ فقال : كنت أرعى غنم أبي هذا ، فإذا بأسد قد علا على شاة فأخذها فأدركته للوقت ، ولم يعني فأخذت برأسه وفككت لحيته فانتزعت الشاة من فيه ، فأمر الملك بإحضار درعـه[1] وجمـع قواده وأقبـل يكسيه

(١) درعه : دراعه في ب

/٢٢٥ واحداً واحداً منهم ، و/ هو يقطر ويطول عليهم فلم يجد فيهم من يصلح له فعطف على إخوة داوود وأبيه فسألهم عن صدقه فقالوا ما سمعناه قط لفظ بكذب ، ولا هو عندنا إلا في حال الصدق والأمانة ، فقال : كيف تجدون عقله ؟ قالوا : ما علمنا إلا أنه خير في جميع أموره .

وعطف على أبوه فقال : كيف منزلته عندك ؟ فقال : هو ابراهيم عندي فألبسه طالوت لوث الدرع فجاء إليه بحسب النهاية فقال له : يا داوود وأنت والله قاتل جالوت لا محالة ورسمه بحمل سلاحه ، وروي أنه لما التقى الجمعان أمر الملك بالنداء من يخرج إلى هذا العدو ليبارزه وله نصف ملكي وسأزوجه ابنتي ، وكان جالوت قد برز عن العسكر يطلب البراز فلم يجد أحداً يخرج إليه ، فنادى الملك ثانية فلم يخرج أحد فأتاه داوود ، يقول : يا أيها الملك أنا قاتله . ثم نادى الثالثة فلم يجب أحد إلاّ داوود فقال : أيها الملك أنا له ، وأنا قاتله إنشاء الله . فقال له يا ويلك إنك صبي صغير حقير دميم الخلقة ، وهذا رجل عظيم الخلقة فليس لك معرفة بالحرب . فقال داوود : إني مستعين بالله الذي هو معين الضعفاء والأقوياء فزجره إخوته فلم ينزجر ، فلما رأى الملك الحاحه على ذلك وأن أحداً لم يجبه استخار الله فيه فدعا الملك بدرعه وسلاحه فسلمه إلى داوود ، وقال كذلك : أوحى الله إلى أنه من لبس درعك فهو قاتل عدوك ، فلبس السلاح ، وبرز إلى
/٢٢٦ جالوت ، وروي أن داوود/ لما التقى بجالوت مد يده إلى مخلاة كانت معه في سرجه فأخرج منها ثلاثة أحجار فجعل واحداً منها في مقلاع كان معه فلما رآه جالوت حقره فرماه عن فرسه على قفاه فأخذ درعه وسلاحه واجتز رأسه ، فانهزمت الجيوش من بين يدي الملك فكثر فيهم القتل وقتل منهم خلق كثير وأخذوا غنائمهم ، ورجعوا سالمين غانمين .

ورجع الملك إلى المدينة مسروراً فخلع على داوود وطاف به ، وروي أن داوود رمى جالوت بثلاثة أحجار فضرب بالأولى ضلعته وبالثانية وسطه وبالثالثة ساقه ، ونحن نأتي بتأويل ذلك في موضعه إنشاء الله تعالى وروي أنه لما رجع الملك ورفع أمر داوود ، فعل به ما فعل ، كثر القتال في طالوت وداوود ، واعترض الناس

عليهم ، وكثرت الأراجيف ، فبلغ ذلك إلى الملك فمنع داوود من الزواج ، ونفاه من الملك ، فخرج عن البلد هارباً إلى البرية وتصعلك فيها ، ولم يزل هناك إلى أن قتل الملك .

وهو أن طالوت لما قتل جالوت تكبر وتجبر وعظم ملكه ، وكثر أنصاره وأعوانه ، واستحكم على بني اسرائيل ، وأكثر القتل فيهم ، وقتل السحرة الذين كانوا معه ، وهم العلماء والدعاة ، وقطع الدعوة باسم الإمام ، فعارضه بنو اسرائيل ، واعتزل كل من كان خارج مدينته عند قتله الدعاة والعلماء المنسوب إليهم السحر ، والذي ظل منهم على قيد الحياة رجع إلى المدينة واختفى بها ، فلما
/٢٢٧ عظم الأمر عليه سئل هل بقي أحد من علماء شموئيل ، فأخبروه عن امرأة كانت/ ضعيفة قد سترت نفسها عنه ، وآنزوت في بيتها ، فتركت لضعفها ، واحتقارهم لها .

وعند ذلك انقطع عنه المادة من إمام الزمان ، فلما أيقن بفراغه من ذلك سأل أصحابه هل بقي أحد من علماء شموئيل ، فقيل له : امرأة ضعيفة قد سترت نفسها ، فتنكر عليها حتى لا تعرفه ودخل عليها فسألها عن حالها وتخلفها عن الحضور إلى الملك ؟ فقالت : إني آليت على نفسي أن لا أتكلم في زمان طالوت فقال لها : ولِمَ ذلك ؟ قالت : لما فعله بالعلماء ، وأنا أعلم علماً يقيناً أنك أنت طالوت ، فحلف بها ، فلما صدقت قوله ، وعلم منها ما علم كشف نفسه لها ، وأعطاها عهد الله أن لا يتعرض لها بمكروه ، وأنه لا يبوح بشيء مما يجري بينهما ، فقالت : وما الذي تريده مني ؟ فقال لها : إني أريد أن تجمعي بيني وبين شموئيل فأراه بالمعاينة ، فمضت معه إلى قبر شموئيل فتكلمت بكلام لا يفهمه طالوت ، وانطرح طالوت على قبر شموئيل وتكلم بكلام كان علمه إياه أن يسأله عند الشدائد ، فقام شموئيل من قبره وقال له : يا طالوت ما الذي دعاك إلى أن تزعجني في مضجعي ؟ فقال : يا سيدي ما قد نزل بي من بعدك من انقطاع أسباب السماء والأرض ، وأني لم أجد حينئذٍ ملجأ إلاّ أنت .

فقال له : كل ذلك أصابك لتهاونك بأمور الله ونواهيه ، ونقضك لعهوده ،

وأنك لم تكتف بذلك بل قاطعت أوليائه ، وقتلت العلماء ، وشردت من بقي منهم على قيد الحياة ، حتى استتروا ، وخافوا على أديانهم أكثر من خوفك منهم على
/٢٢٨ دنياك، ولولا حيلتك التي وقعت/ بهذه الضعيفة المستترة فدلتك عليّ ، لقد تطاولت على الأمر والخطاب ، وأنا راجع إلى موضعي ولكن أخبرك عن أمر الله بأنك غداً تلحق بي ، فسلم الأمر إلى من هو أحق به منك .

وغاب شموئيل عنه ومضى طالوت كئيباً حزيناً وطلب الوصول إلى داوود فلم يجد السبيل إلى ذلك ، فلما كان عند ذلك اليوم عادت بنو اسرائيل إلى باب المدينة وبادروا الحرب ، فلما رأى أن الأمر قد غلظ وأنهم قد أحاطوا به فتح الباب وخرج بجنوده ، فالتحم القتال بينهم ووقع الطراد ، وتحقق طالوت الأمر ، وانفرد عن الجيش وسار نحو البرية فلما انفرد قال لسيافه : اضرب عنقي بسيفي ، فأبى عليه هاله الأمر فأخذ السيف من يده وكان عرضه شبرين فأقامه على حده ورمى بنفسه على الآخر فبان رأسه عنه . فلما رأى حامل السيف ما فعل بنفسه فعل هو بنفسه مثل ذلك .

ولحقه أعداءه فلما رأوا ما فعلا بأنفسهما انتهبوا رجله ورحله، ورجعوا إلى المدينة فنهبوا ما لحقوا به وانصرف القوم إلى بلداتهم، وتاه الخلق وركب كل وحش رأسه ، وكان داوود قد برز عن البرية وتوجه نحو المدينة ليستطلع الأخبار وقد أرسل رسله إلى الموضع الذي تدور فيه المعارك ، وكان يترقب وعد الله ، وبينما هو كذلك إذ بفارس يركض فلقيه داوود وقال ما ورائك يا هذا ومن أين جئت ، ومن أنت ؟ فقال : أنا رجل من بني اسرائيل فقال له : ما حال الناس ؟ فقال : انهزموا
/٢٢٩ وركب كل وحش رأسه . فقال/فما فعل طالوت ؟ قال لا علم لي بذلك . فقال داوود : أركب واطلب الطريق ، فعسى تجد انساناً يخبرك بخبره .

وبينما هما على ذلك الحال إذ أقبل أسود بيده حربة ويتقلد سيفاً فقال لداوود : إنني أريد الجائزة ، فقال له داوود على ماذا ؟ قال : لأنني قتلت طالوت بيدي وهذا سيفي ملوث بدمه ، فقال داوود لسيافه : أضرب عنقه لشهادته على نفسه بالقتل وهذا جزاءه .

قصة داوود

ولما انصرف بنو اسرائيل عن المدينة بعد قتل طالوت ، أجمع رأي الناس على أن ينفذوا رسلاً إلى البرية في طلب داوود ليسألوه المجيء إليهم ، ففعل داوود ودخل المدينة ، وأخذ الملك بعد طالوت وتزوج ابنته ، وأتته المواد العلوية وهو ما حكاه الكتاب عنه بقوله : ﴿ وَعَلمناهُ صَنَعَةَ لَبُوسٍ لكُم . . . ﴾[1] ورأس بني اسرائيل ، وأجمعوا على استخلافه ، وهو ما روي أن الله أوحى إلى لقمان بقوله : إني أريد أن أستخلفك على بني اسرائيل بعد طالوت فقال له : إن رأى ربي أن يعفيني عن ذلك فهو شهوتي ومرادي ، وإن كان لا بدّ من تنفيذ ما يريده صبرت لحكمه وقضائه ، فصرفها الله عنه وسلمها إلى داوود فقبلها .

وقيل إن خيال شموئل أتاه بذلك فلما امتنع وعلم ما في نفسه من حسن النية صرفها عنه وأملاه علماً وحكمة ، ولذلك كان ما تراه في أيدي الناس من حكمة لقمان ، ولقد أدخلوها في خطابهم ، ولما استخلف داوود على الحدود الجسمانية ،
/٢٣٠ وأتته المواد من/العلوية ، كان يقسم الجاري عليهم كل واحد منهم بقسطه ، فأذعنوا له بالطاعة ، فلما ابتلاه الله بالمحنة التي سنذكرها في موضعها ، كان يقول للقمان : من مثلك وقد عوضت بالحكمة ، وانصرفت عنك البلية ، فقال له : كل واحد منا عمل باختياره .

وروي عن لقمان أنه كان عبد أسود لبعض بني اسرائيل فأعتقه مولاه ،

---

(١) سورة : ٢١ من الآية ٨٠

وذلك لأنه كان أحد أجنحة النقباء ، وهو الذي كان في حضرة طالوت مستتراً فأعتقه لاحقه عند خروجه من دار طالوت فألحقه بنفسه ، وإنما عرضت عليه الخلافة فامتنع منها لأنه كان من الأجنحة فخاف أن يتكبر على مولاه وهو لاحقه ، وكذلك كانت منزلة داوود ، وهو ما تقدم القول به أنه كان يرعى غنم أبيه ، وإلحاحه في المنزلة التي حصلت له من يدي طالوت ، ولذلك كان داوود يسميه أخيه ، ويقول له عند المحنة : يا أخي أوتيت الحكمة ، وانصرفت عنك البلية .

والأخ فهو النظير ، ولذلك روي عن داوود أنه كان يرعى غنم أبيه ، وأنه كان أصغر ولده ، وأنه كان دميم حقير ، وكما رفع لاحق لقمان له وبلغه درجته عند فعله إذ لم يتكبر عليه ، وكذلك أبو داوود له إلى درجة وسلمه إلى طالوت فجعله يحمل سلاحه ، ولم يكن متماً ولو كان له حد التمامية لجاز له أن يحكم في أزواج أدعيائه ، ألا ترى إلى قول الله فيه عندما افتتن بامرأة أوريا بن حنان وبظهور المليكة
٢٣١/ عند محرابه ، بقوله : ﴿ ... وَظَنَّ دَاوُدُ أنما فَتَنَاهُ فَاستَغفَر/ رَبَّهُ وَخَرَّ راكعاً وَأَنَابَ ﴾[1] .

وكان الظن هنا بمعنى اليقين، وهو ما حكاه الله عن قول المجرمين لما رأوا النار فظنوا أنهم مواقعوها فكان ظنهم يقيناً، ودليل أخر أنه خر راكعاً، والركوع هو حد اللاحق، وأناب أي أذعن واعترف بأنه لم يكن له حد السجود ، وذلك أن السجود حد المتم ، وكذلك لما اعترف بذنبه أعطاه الله حد متمه وصرف عنه كيد الجبار الجائر ، وجعله صاحب فترته ، وأهلك الجبابرة ، وجعله محنة له ، وهو ما روي أيضاً أنه كان عبداً لبني اسرائيل ، وأنه كان خياطاً ، فالعبودية قد تقدم القول فيها بما فيه الكفاية . وأما الخياط فهو ما ألفه من الحكمة البالغة ، أعني الصنعة التي جعلها لباساً لقومه ، وهو ما روي عن الصادق ، وذلك يؤكد ما قلناه أنه قال : إن الله أوحى إلى لقمان وقد بعث إليه ملكاً يقول له : إن الله يأمرك بالقيام بالحكمة بين الناس إلى قائم صاحب الوقت فقال له : إن الحكم بين الناس شديد فإن أعفاني

---

(١) سورة : ٣٨من الآية ٢٤

الله فذلك أحبه ، وإن عزم عليَّ سمعت وأطعت ، فلما علم الله نيته بعث إليه ملكاً فملأه علماً وحكمة ، فكان أحكم أهل زمانه ، ثم قال إنه سلم إليه عشر ألف باب لم يكن لمن تقدم أحسن منها .

وذلك أن الناس يدخلون حكمته في خطبهم إلى وقتنا هذا ، فالملك الذي أتاه ما قلنا من خيال رسول إمامه ، وأما محنته التي كانت مع أوريا بن حنان، وأنه قدمه أمام التابوت حتى هلك وتزوج بامرأته ، وهو ما ذكر في بعض أسفار التوراة، وكتب الملوك التي في أيديهم، أنه لما قوي أمر داوود وجه بعسكر إلى أرض البلقاء فافتتحها ، وكان من سنة بني اسرائيل أنهم إذا وجهوا عسكراً في وجه ما أرادوه ، جعلوا تابوت السكينة الموروث عن الأنبياء أمام العسكر في القتال ، ليعرف الخلق أن ذلك القيم عندهم مفترض الطاعة عليهم .

ولما أخرج داوود عسكره إلى أرض البلقاء جعل التابوت أمام العسكر، وجعل أربعة من جنوده يحملونه ، اثنين في المقدمة واثنين في المؤخرة ، وأنه جعل أوريا بن حنان في مؤخرة التابوت ، وذلك أنه حمل التابوت من المقدمة نقيب ، وفي المؤخرة أجنحة . وقد كان لبني اسرائيل في بيت المقدس قبة فيها ماء مقدس فيأتين بنات بني اسرائيل يتطهرن به من حيضهن ، فكانت امرأة أوريا في من أتى ذلك الماء بنجاسة وقعت بها من حيضها في زمان داوود ، وكان قائماً في محرابه يصلي وقد جلس بعد صلاته فرأى طيراً فاستحسنه وقد وقع على محرابه فقام ليأخذه ، فانتقل الطير من موضعه ذلك فتطاول إليها ، ولم يزل ينتقل حتى وقف على الموضع الذي فيه بنات بني اسرائيل ، فأشرف داوود ليأخذه ، وكان لا يشرف على ذلك الموضع إلاَّ نبي وإمام أو خليفة ، فلما رأت النساء ظله رفعن رؤوسهن فرأينه فهربن منه ،
/٢٣٢ وبقيت امرأة أوريا إذ/ كانت تستنشق في طهرها ، فلما رفعت رأسها ورأته ، نفضت شعرها وتجلّلت به ، فتمكن في قلبه ما رآه من حسن أدبها وتسترها عنه ، فعند ذلك قال لتلميذ له اتبع هذه المرأة حتى تعرف منزلها ، فتبعها الرجل حتى دخلت دار أوريا فعرفها ، فأتى داوود وأخبره بها ، فراسلها فأجابته فواقعها على طهرها ذلك ، فعلقت منه .

ولما تبين حملها أعلمته بذلك ، وخافت من إشهار أمرها في بني اسرائيل ، فأرسل داوود إلى مقدم العسكر أن يجعل أوريا بن حنان أمام التابوت فقتل لوقته ، وتزوج بامرأته وأولدها أولاد منها ، وكان الحمل الأول قبل زواجه بها سليمان ، وكان في أمرها ما قصه الكتاب ، أن محنته كانت من قبلها ، وكان داوود أيضاً من نسل يهودا بن يامارة المتقدم ذكرهما ، في قصة يهودا .

قصة داود (ع)

وروي أنه قد قدمه أمام التابوت حتى مات ، فإن التابوت قد تقدم ذكره ، وأنه الإمام المستودع فيهم نقله الخلف عن السلف . وأما القول بأنه قدم أوريا أمامه فإنه قدمه أمام الضد ستراً على صاحب الوديعة ، وذلك لما علمه فيه من القوة والتأييد ، فكسر بذلك القوة ضده ونصر وليه ؛ وهو ما روي أن الضد قتله ، وبذلك أصاب التزويج لامراته ، وذلك أنه رفع أوريا إلى درجة اللواحق بعد أن كان جناحاً ، فلما
٢٣٤/ قتله ضده نصب زوجته/ مكانه ، وجعلها بين يديه .

وذلك لما يعلمه فيها من البلاغة وحسن العبادة ، فكان داوود مفتتن به ، لأنه صاحب علم وجدل ، وكان يتلطف الكلام من لاحقه ومنه ، فلم يجد سبيلاً إليه لما كان أخيه في الدرجة ، ولو كان متماً كما قلنا ما حره عليه أن يرفع أزواج أدعيائه إلى درجاتهم ، فلما وجد سبيلاً إليه لغيبته ، رفعه إلى درجته عنده ، وألحقه في الرتبة به ، وإنما كان ذلك من داؤد عندما كان مطلقاً في الدعوة ، وقبل استخلافه فأشهره الله بهذا أدباً لأبناء جنسه ، وهو ما حكاه الله بقوله : ﴿ وَهَلْ أَتاكَ نَبأُ الخَصمِ إِذ تَسَوَّرُوا المِحْرابَ . إذ دخَلَوا عَلَى داوُدَ فَفَزِعَ مِنهُم . . . ﴾[1] الآية .

وأما ما روي عنه أنه لما برز إلى جالوت أنه كان في مخلاته ثلاثة أحجار فرماه بإحداها فشجه في رأسه ، ورمى بالأخرى فكسر بها رجله ، ورماه بالثالثة فأدخله في الأرض ، وذلك أنه رماه بثلاثة أحجار فكر بالأول رياسته ، وبالثانية استلب ما

---

(١) سورة : ٣٨ من الآية ٢١ ـ ٢٢

كان في يديه من العلم الذي كان يجري إليه من الأصلين ، وذلك أنه كان يدعي الدعوة إليها ، فلما غير وبدل سلبه ما كان في يديه من العلم ، وأوجب عليه الطاعة لحجة زمانه ، يعني طالوت ، المنصوب بأمر الإمام ، الذي كان يدعي علمه وحكمته ، قبل تغيير أحواله ، فعند ذلك خضع وذل ، وصار داؤد واسطته ، وبتلك القوة التي كانت في داؤد خضعت الأمم له ، وأقرت بنو اسرائيل بفضله وهي
٢٣٥/ تنتظر ، / فإنها من عقبه إلى وقتنا هذا .

وبتلك القوة استخلص الزبور عن التوراة ، وعمل لأصحابه السابغات ، فتحصنوا بها على أعدائهم ، وكذلك كانت منزلة ولده سليمان من انبياء ، ورعاية الغنم إلى ولدك سليمان لأن حد ولد اسحق حد الرعاة من ابتدائهم إلى نهاية أمرهم لا حد التامية ، وإن حد الرعاية كانت تنتقل في الأسباط ، أسباط يعقوب ؛ وهو الذي وعد الله به سارة أيضاً بقوله : ﴿ . . . فَضَحِكَت فَبَشرنَاهَا بإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعقُوبَ ﴾[1] بأن صار هذا الحد ينتقل في أسباط يعقوب بعده ، واحداً بعد واحد ، ويمضي القريب بالنسب ، والسبب يسير حتى تعود إلى السبط الثاني ، حتى دار اثني عشر سبطاً ، وكلهم رعاة غنم ينطق بذلك عنهم الكتاب والأخبار ، بتلك الرعاية ، وأنهم خلفاء لأولاد اسماعيل .

(١) سورة : ١١من الآية ٧١

قصة سليمان

وروي أن داؤد لما أمره صاحب الوقت بالتسليم إلى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال فيما قاله : إن الله أوحى إليّ أن أستخلف عليكم سليمان ، فضحك رؤساء بني اسرائيل، وكان ضحكهم استهزاء به ، وقالوا : أتستخلف علينا غلاماً حدث السن وفينا من هو أحق بالأمر منه ، وكان ذلك خطباء النقباء ، لأنهم كانوا نظرائه في الرتبة ، فبلغ ذلك داوود فأحضرهم ، وقال لهم : إنما أنتم رعاة ، ولرعاتكم أن ينصب عليكم من استحق الفضل ، فاتوني بعصيكم التي
/٢٣٦ ترعون/بها أغنامكم ، فأتوه بها ، فأحضر جماعة الأسباط ، وقال لهم : من آخضرت عصاه منكم وأثمرت فهو الخليفة عليكم بعدي ، وولي أمركم . وأخذ عصيهم ، وكتب عليها أسماءهم ، وجعلها في بيت وأغلق بابه وختمه بخاتمه ، وأمر جماعته أصحاب العصي بالمبيت على باب البيت .

ولما أصبح صلى بهم الغداة ثم فتح الباب وأخرج العصي فوجد عصا سليمان قد آخضرت ، وأورقت وأثمرت ، فحمل سليمان وعصاه وطاف بهما المدينة فدل ذلك أن خلفاء بني اسرائيل كانوا وأسباطهم مستودعين منزلة حملها الخلف عن السلف ، حتى اتصل بالخلف الصالح صاحب الدور من ولد اسماعيل ، وبنو اسرائيل كانوا رعاة أغنام قيدار وكباشه ، كما وعد الله في التوراة على لسان موسى ، ولم يكونوا ائماء . ثم قال داوود : معاشر بني اسرائيل هذا هو الخليفة بعدي .

وكانت تلك الخضرة والورق والثمر ما طرقه من تأييد إمامه دونهم بخياله ، وكان عمر الدعوة مائة سنة، وتولى الأمر وهو ابن الثلاثين، وعاد بعد السبعين

وروي أن بني اسرائيل اختلفوا بعد داؤد ونافقوا على سليمان ، وعقدوا الأمر إلى بعض أولاد داؤد فاعتزلهم سليمان ، واتصل الأمر بنبي كان في بني اسرائيل ، يقال له أرميا ، وكان حجة داؤد فالتجأ إلى بعض الجبال فسكنها ، فنـزل عن الجبـل
٢٣٧/ وقصد إلى/ سليمان فأقام عنده ثلاثة أيام يسأله عن حاله ، ثم إنه أخـرج سليمان وأركبه بغلة أبيه وعمَّمه بعمامته شيئاً يشبه القرن كان يضعه بنو اسرائيل على رؤوس الأئمة .

ولما وضعت العمامة على رأسه سمع لها صوتاً كخرير الماء ، وشد أرميا وسطه بشريط ، وأخذ بلجام بغلة سليمان وطـاف به أودية بنـي اسرائيل ، وهـو ينـادي فيهم : هذا حجة الله على خلقه . فرفض الناس الرجل الذي نصبوه وعادوا إلى سليمان وقالوا لأرميا : إنما فعلنا ذلك لأن أمه لم تكن من بني اسرائيل ، وإنما هي زوج أوريا بن حنان ، وأم هذا الذي نصبناه من بني اسرائيل .

وروي أن داؤد أول من ابتنى بيت المقدس وجعله قبلة لهم ، وهو المكان الذي ابتناه يعقوب بالحجارة ، وأنه مضى ولم يتمه ، وأتمه سليمان بأمر الله ووحيه إليه ، وتبعه من لحقه من المؤمنين وأعز بهم الدين ، وروي أنه وقع في عصره قحط فهرب الناس إليه وسألوه الخروج معهم والإستسقاء ، فخرج معهم فلما صار في بعض الطريق فإذا بنملة قد رفعت يديها إلى السماء ووقفت على رجليها وهي رافعة صوتها وهي تقول : اللهم أنا خلق من خلقك ولا غناء لنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنرب الخاطئين من عبيدك ، فرجع سليمان من طريقه ، وقال لأصحابه : إرجعوا فقـد سقيتم فرجعوا ، وقد سقوا في ذلك العام ما لم يروا قط من الغيث والأمطار والخصب
٢٣٨/ حتى إن الجبال تمثل/ به .

وقد روي أن نملة من ذلك النمل تسورت عليه من حائط داره ، وأقبلـت تسأله إن كانت المنزلة رجعت إليه بعد أبيه ، وذلك إنما تسورت عليه من حده فقال لها داعيها : أيتها النملة ارجعي إلى أصحابك وأدخلـوا مساكنـكم لا يحطمنـكم سليمان وجنوده . وذلك أنه أمرها بالإمساك والستر إلى أن ينصـب حدوده ويقيم

دعوته ، فعند ذلك ينصب لكم من يعقد عليكم لنفسه ، فعند ذلك تبسم من قولها ، والتبسم هو الكشف عن اسنان ، وذلك أنه كشف لهم حده ونصب لهم دعوته ، وهم أسنانه التي كشفها لهم في تبسمه ، ثم نصب لهم داعيهم الذي أمر النملة بالإمساك ، وقال : رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي ، إذ بلغتنا هذه الرتبة ، ورفعتنا على إخواننا وهم اللواحق .

وقد روي أن داؤد لما أمر بالتسليم إليه أمر مشايخ بني اسرائيل بالدخول إليه في حياته، والإستفتاح منه، وذلك ما حكاه الله بقوله: [1] وكان الأنس الدعاة، والجن النقباء ، وذلك أن التالي أمر داؤد بأحرفهم إليه ، وأن يأمرهم بأتباعه ثم قال : ﴿ فَسَخَّرْنا لَهُ الريحَ تَجْرِي بِأمرِهِ . . . ﴾[2] وذلك أنه أطلق له حظه من الجاري وأطلق حظ لواحقه على يديه فعندما أيّدهم بحظوظهم أذعنوا له بالطاعة ، وذلك ما حكاه الله قوله : ﴿ . . . رَبِّ اغفر لي وَهَب لي مُلكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إنَّكَ أنتَ الوَهَّابُ ﴾[3] . أي لا ينال لأحد من اللواحق هذه الرتبة ، واستثنى بالمنة عليه بقوله هذا : ﴿ . . . فَامنُن أو أمسكْ بِغيرِ حِسَاب ﴾[4] وذلك أنه لما سئل أعطاه مناه ، ولو كان متماً لما ذكره الله ذلك ، لأن البركة مسخرة للأئماء ، فتكون مادة اللواحق منهم .

وهو ما روي أن الريح تنزل من السماء على الكعبة ، ومنها يفترق على أربعة أركانها ، فيأخذ الجنوب حظه والشمال حظه . ولذلك القبول والدبور ثم ينصرف على إثني عشر ريحاً بعض من بعض ، وأن الكعبة التي يفترق منها الريح هي التي كاع عن معرفتها .

وقد ابتلى الله سليمان بمثل ما ابتلى أباه داؤد ، وذلك أنه ابتلاه بلاحق ادعى منزلته ، وهو ما حكاه الله بالجسد الذي ألقي على كرسيه ، وإنما سماه جسداً لأنه في حد اللواحق الذين هم أجساد الأئماء وبيوتاتها ، يلقون فيها حكمتهم فلما نكث

---

(1) سورة : ٢٧/ ١٧

(2) سورة : ٣٨ من الآية ٣٦

(3) سورة : ٣٨من الآية ٣٥

(4) سورة: ٣٨ من الآية ٤٠

اللاحق نعى على سليمان وعمل في أمره برأيه وقياسه ، كما فعلت شياطين الأزمنة قبله فبلغ أئمة أدوارهم ؛ وروي إنما كانت محنة سليمان به من قبل امرأته ، وكانت أحظى نسائه عنده ، فإنه سلم إليه خاتمه عند دخوله أعني أنه كان واثقاً بهذه الحجة فسلم إليها شرطه الذي كان يأخذ به على أحد دعوته ، وأن هذا الضد تصور على هذه الحجة فأخذ العهد منها ، وتاب ، وأناب إلى ربه زلته ، فعند توبته رجع إليه
٢٤٠/ خاتمه ، وهو ما حكاه الله عنه بأنه استغفر ربه وخر راكعاً وأناب ، / ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ الآية ، وروي أن سليمان ملك الحدود تسعماية سنة وستة عشر سنة وستة أشهر وذلك قيام الدعوة باسمه .

قصة آصف بن برخيا

ولما حضرته النقلة أوحى الله إليه أن سلم الأمر إلى لاحقه ، وهو آصف بن برخيا ، فدل ذلك بأن المرتبة في ولد اسحق ، إلى أن اتصل بالمسيح ، أنهم خلفاء أولاد اسماعيل وولده ، وهو ما حكى أن اسحق أحد لواحق اسماعيل ، وأن سليمان فعل فعل من تقدمه وجمع نقباءه، وسلم إليه بمحضر منهم ، وأخذ عليه في ذلك عهد الله وميثاقه في تسليم الأمر إلى مستحقه ، إلى أن يرجع الأمر إلى أصله .

وقام آصف بأمر الله ، ووصيه إليه ، وبملكه في زمانه ، وأقام ملكه مائة وعشرين سنة ، فظهر في زمانه الهواندة فابتنوا مدينة بفارس ، وسطا اليهود على ولد داؤد فقتل منهم مائة وعشرين نبياً ، وذلك أن شيطاناً من اللواحق تشيطن عليه كما تشيطن الجسد على سليمان وفعل فعله ، وآدعى بالإباحة وأباحها لقومه ، وألحقهم بإبليس وجنوده ، ومسخ منهم قردة وخنازير ، كما ذكر الكتاب عنهم . ثم قام من بعده زرادشت وأتبعه خلق من بني اسرائيل ، وقال بالإباحة وسير قومه بالسيرة ، والأمر ينتقل فيهم إلى وقتنا هذا .

وتشيطن منهم شيطان فصد عن الحق وأهله إلى أن جاء روبيل فقام بأمر الله
جل وعز ووصيه ، وآتبعه من لحق عصره من المؤمنين ، وهو الذي سماه الله في كتابه
٢/ عمران ، وذلك/ لعمارة الأرض ، وكان لاحقاً بأبيه اسحق الذي ابتدأ عمارة
الأرض به ، وهي الدعوة .

وكان ملك عصره دار بن دار فهدم بيوت الأصنام التي بناها الهواندة ، وفي زمانه كان الإسكندر المضروبة به الأمثال ، فإنه لما مات عمل له تابوتاً وحمل فيه إلى بلد الروم . وروي أن الله أوحى إلى روبيل هذا أني سأهب لك ولداً من عقبك

يكون به ختام دور موسى ونبي بني اسرائيل ، ويفتح دوراً جديداً ، ويبرىء الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى ، وكانت مريم جناحاً نشأت في دعوة عمران ، وأنه لما ظهر عيسى في دعوة هذا الجناح بشر الله به روبيل ، وأعلمه أن صاحب الدور أنه يولد في دعوة هذا الجناح وهو ما حكاه الله في كتابه عن قول امرأة عمران هذا ، وهي حجة بقولها : ﴿ . . . رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي . . . ﴾[1] إنها عنت رب الدعوة الذي كانت في يديه ، وروبيل هذا وعيسى فهم من عقب داؤد وسليمان ، وأن الخلافة لم تزل تنتقل في أسباط يعقوب بن اسحق إما نسباً وإما سبباً ، حتى عقب الإثني عشر سبطاً ، مما لو تقصيناه لطال به الشرح ، ويخرج عن حد هذا الكتاب ، وفي ما ذكرناه عظة للألباب ، ومن وفق للصواب .

وإنما اقتصرنا على أصحاب الفضل والقوة خوفاً من التطويل ، لأن التوراة وما جاء عن رسول الله (ﷺ) أن لله مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي من ولد
/٢٤٢ آدم إلى القائم ، وإنما اقتصرنا على أصحاب الكتب و/القوة والتأييد، فأما أصحاب الكتب منهم والتنزيل فعشرة : خمسة منهم سريانيين وهم : آدم ، وشيث ، وادريس ، ونوح ، وابراهيم . وخمسة من العرب وهم : هود ، وصالح ، وإسماعيل ، وشعيب ، ومحمد (ﷺ) . وكان الإبتداء بالسريانيين ، والختام بالعرب . ومن ترى في الأعصار لاحق بأبيه ، وأما ما نطقت التوراة وأبانه التاريخ من مدة أعصارهم ؛ وأن آدم عاش تسعماية سنة وثلاثين سنة إلى قيام ولده شيث ، وقام بعده شيث ، وقامت دعوته إلى ظهور ادريس تسعماية سنة ، وقامت دعوة ادريس ثلاثماية واثني عشر سنة ، فذلك ألفين واثنين وأربعين سنة .

وقامت دعوة نوح ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً ، وأقام داعياً قبل كماله خمسين عاماً ؛ وقامت دعوة سام إلى باطن شريعة نوح ألف ومايتين واثنين وتسعين سنة ، وقامت دعوة ابراهيم ، وأئمة دوره ، وأصحاب فتراته إلى ظهور موسى ألف ومائة سنة وأربعة أشهر ، وقامت دعوة موسى وأئمة دوره وأصحاب فتراته ألف ومائة وثمانين سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً .

---

(١) سورة : ٣ من الآية ٣٥

قصة عيسى

ونحن الآن ذاكرون دور المسيح ، فأما ولادته الجسمانية فإنه روي أن حبيب
النجار تزوج أمه واسمها بيدنو ، وتزوج بها زواجاً صحيحاًبنقد ومهر وشهود
ثقاة ، وهي من ضيعة من ضياع طبرية تعرف بالناصرة ، ولذلك يقال يسوع
الناصري ، وإليه ينسب أتباعه فسميت نصارى ، وأن حبيب هذا لما ولد له يوشع
سار من وقته ذلك إلى إنطاكية/ ومات بها ، وقبره مشهور فيها إلى وقتنا هذا ، وخرج ٢/
وخلف يوشع طفلاً فاكتنفه خاله يهودا سحر بوطا ، وكان رئيس وقته ، ورأس منبته
اليهود ، وكذلك حبيب النجار كان حبراً من أحبارها .

وأن يهودا لما كفل يوشع عليه السلام علمه العلم والحكمة ، وأوقفه على سرائر الأنبياء ، وعلومهم ، فبرع في العلم ، ونشأ في الظاهر حتى إنه خرج على خاله ، وكانت اليهود تفضله وذلك أنه اتصل به شيء من مذهب الحق ، وكان يمشي به بين الناس .

ويروى أن خاله يهودا عانده قوم من اليهود وصادفه فغضب وارتحل عنهم إلى انطاكية ، وصار يوشع معه ، وكانت انطاكية يومئذٍ دار هجرة اليونانيين ، فأقام بها زماناً ويوشع ليرى بين يديه . وقد روي أنه وقع به داعي من الدعاة السيارة فعقد عليه إلى إمامه عمران ، والقول بشريعة موسى ، وأنه صار إليه شيء من الحكمة والعلم ، فتفلسف وتفنن في المذاهب .

وروي أن رجلاً من اليونانيين سافر من إنطاكية إلى أرض القدس وكان يتخذ

ليهودا ، واتفق عيد اليهود بعيد الفسح فعاشر القوم منهم ، وانتسب إليهم ، وعرّفهم أمر يهودا وهو منه ، واليهود يأكلون في عيدهم هذا الفطير ويسقطون أكل الخمير ، وإنما ركبوا بذلك سنة آبائهم لما خرجوا من مصر هاربين مشردين ، وكانوا
٢٤٤/ يخبزون خبزهم فطيراً وافترض عليهم موسى في ذلك العيد أن يأخذ/ أهل الإستطاعات منهم رأساً من الغنم فيذبحه ويحمل مائدة ، ويجمع أهل بيته وذوي لحمته فيشدون أوساطهم ، ويحملون عصدهم على رقابهم تشبها بآبائهم لما كانوا مشردين هاربين من فرعون. ثم يمشون حول المائدة .

وأن اليوناني المذكور دعاه صديقه الذي كان عنده نازلاً ولم يعلم بأنه أقلف ، فأكل مع القوم من طعامهم ، ورأى أفعالهم ، ووقف عل سرهم ، ثم رجع إلى بلده فلقي يهودا سحر بوطا فأخبره بخبره وحيلته، وأنه حضر مجلسهم وأكل من طعامهم ، وفعل فعلتهم ، وذلك أنم حرموا طعامهم أن يأكله أقلف ، أراد بذلك أن يكيد ليهودا فمازحه يهودا وقال له إنهم لم يطعموك من خواصهم المقدس التي لا يطعمونها أقلف . وقال وما هي ؟ قال شحم الثرب ، وشحم الكلي ، فبقي ذلك في نفس اليوناني .

ولما كان في السنة الثانية عرض له سفر إلى البيت المقدس فحمل لصاحبه هدية ونزل عنده ، وحضر عيد الفسح فدعوه إلى طعامهم لما قد عرفوا منه ، وقدموا مائدتهم ، وفعلوا ما كانوا يفعلونه ، وقعدوا يأكلون ، فقال لهم : ما لكم لا تطعمونني من خواصكم المقدسة عندكم ؟ فقالوا وما هي ؟ قال : شحم الثرب ، وشحم الكلي ، وهذان الشحمان عندهم محرمة ، فلما سمعوا منه ذلك علموا أنه جاسوس، وعلموا أفضل الصياد الذي أوقعه ، فقالوا من أين هذا الذي لا يعلمه إلاّ قدس مقدس، فأخبرهم بخبر يهودا رأس شأنهم فعندها كشفوا عنه فأصابوه
٢٤٥/ أقلف ، وقتلوه ، وكتبوا إلى يهودا يسترضونه ، و/ يستعطفونه ، ويبذلون له من أنفسهم ما استطاعوه ، وأرسلوا رسلهم إليه فعمل كلامهم فيه فأخذ ابن اخته وسار إلى ما قبلهم ، وأنه لم يزل يجد السير حتى نزل بطبرية بضيعة يقال لها

سوريا ، فاستقبله أهلها وأحسنوا نزلـه ، وأنزلـوه عنـد شيخ لهـم من كبارهـم وأخيارهم ، فقدموا إليه طعاماً .

وقد عمدوا إلى بناتهم فكسوهم ثياب الغلمان وعمموهم بعمائم الخزوز ، وجعلوا يحملون الطعام بين أيديهم وأن يوشع من حدة مزاجه كان ينظر إليهم في سيرهم ورجوعهم فاستفرس أنهم جواري بكار ، وأنه لما خلا بخاله قال يا خالي كيف رأيت هؤلاء الغلمان ؟ فقال : ما رأيت إلاّ خيراً . فقال يوشع : إنهم جواري وليسوا بغلمان ، فقال له خاله : من أين لك هذا ؟ فقال له : يا ظالم ولم حتى اشغلت قلبك بذلك أنت محروم والمحروم عندهم محجور أسبوعاً حتى يتوب ، فإذا جاز الأسبوع وتاب قبلت توبته وأحلوه من حرمه ، فقام يوشع عن المائـدة وأقـام أسبوعاً لم يدخل على خاله ، ثم إنه جمع أهل الضيعة فأوقفهم على خبره وعرفهم بصورة أمره ، وأنه لم يكن له من الحرم ما يستحق هذا الحرم ، وسألهم معونته .

وتوسط أمره فأتوا معـه فوجـدوا خالـه قائماً يصلي فلما رآهـم نفض يده في وجوههم فخرج يوشع لوقته مغضباً وسار عن القرية حتى أتى ضيعة تعرف بكفر
/٢٤٦ تنحوم وكان بها رجل صباغ يقال له شمعون فاستضاف /به فأضافه وعرفه بنفسه وخاله فعرفه وعرف موضعه ، ورأى فيه فراسة فضمه إلى نفسه ، وكان شمعون هذا هو جناح امرأة فرعون المتقدم ذكرها فعقد عليه وأقبل يعلمه الصنعة ، وهو ما روي أن شمعون مضى ذات يوم لحاجة عرضت له وترك ليوشـع أخلاطـاً وأمـره بإصلاحها وترك كل واحد منها في موضعه ، وأن يوشع جمع تلك الأخلاط فجعلها في خابية الكحل ، ولما أتى شمعون ورأى ما فعله صرخ وأقبل على نفسه باللائمة فتركه يوشع حتى سكن غضبه ، فقال له : لِمَ فعلت بنفسك هذا الفعل ؟ فقال له : ما خسرتنيه وفعلته في أمري ، فقال له : على رسلك إجمع الثياب التي تريد صبغها فجعلها في موضع واحد وأقبل يوشع يلاطفه فكان يأخذ ثوباً ويقول له ما طلب صاحب هذا الثوب أن يكون لونه ، فيقول له كحلي فيدخله الخابية فيخرج على حسب ما يريده من الجودة ، وأنه لم يزل يدخل ثوباً حتـى أتـى على آخـر

الثياب ، وجاءت حسب ما يريده من الجودة في الصباغة فعند ذلك بقي شمعون متحيراً في أمره فلما رأى يوشع ما به من الحيرة ، قال له : لا تخرج فأنا الموصوف في الكتب ، وأنا الذي أنبأ باسمي حرقيل الملك ، وقال لكم : إن العذراء ستحبل وتلد ابناً تسميه الرب ، أنا الذي أنبأ عني أبي داؤد في المزمور الأول الذي نزل عليه وقال لكم إنه ستجتمع الشعوب إليه وتأتيه القبائل ويسميه الله مسيحه ، ويقول
٢٤٧/ له : أنت ابني ، وأنا اليوم والدك ، مع أشياء/ يطول شرحها إن تقصيناها . ثم قال : يا شمعون أنا ذلك الرجل الموصوف ، فآمن به شمعون لوقته بعد أن كان مستجيبه وصدق ما سمعه عنه ، وهو أنه في ذلك الوقت طرقه التأييد ، ولذلك لم ينسب نفسه إلى والد كان له لأن المادة أتته من الكلمة بتوسط العقل والنفس ، فكانت ولادته روحانية ، وأنه أقام مع شمعون برهة يربيه ثم سار عنه واستكتمه الأمر ، وهو ما جاء في الكتاب ، أنه قال : ﴿ ... ألاَّ تُكلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِياً ﴾[1] وقوله : ﴿ ... إنّي نَذَرْتُ لِلرَّحمَنِ صَوماً فَلَن أكَلمَ اليَومَ إنسياً ﴾[2] .

وذهب في سياحة طويلة شاع خبره بين الناس وكثر الطلب ، وروي أن خاله خرج من بيت المقدس في ملأ من تلامذته يطلبه ويفتش عليه في البلدان ، وقد سير السيارة في طلبه ، وأنه لم يدخل بلداً ولا ضيعة إلا وجد له فيها تلميذاً ، وروي أنه وافاه يومئذٍ بطبرية فأخذه وشده وتلامذته بزعمه ، وخرج يريد به بيت المقدس فهرب ولم يتحصل له منه ولا من تلامذته شيئاً ، فهذه أيامه المشهورة عند الثقاة من أهل الأديان ، وقد روينا صدراً من ظاهر ولادته ، والآن نبدأ بذكر باطنه بمشيئة الله وعونه انشاء الله تعالى .

---

(١) سورة : ١٩ من الآية ١٠

(٢) سورة : ١٩ من الآية ٢٦

تأويل قصة عيسى

وقد روي أن سياحة عيسى التي كان يطوف فيها هو وتلامذته ، إنما كان ذلك لطلب دار هجرة ينصبها ، ويلجأ إليها ، فيقيم فيها حكم الله وعدله ، مثل أحكام الشرائع ، وما يجري فيها من قطع السارق وجلد الزاني ، وما يقيمه عليهم
٢٤٨/ من الحد/ الظاهر على الأجسام الظاهرة ، فيكون يظهرها من تلك الأعمال ، وأنه فرق تلامذته في جزائر الأرض ولم يزالوا سائحين ، إلى أن رفعه الله إليه ، ولم ينصب دار هجرة .

وأنه لما طال به الطلب فلم يكمل له ما يريده جعل حكمته مستودعة في وصيه ، وآيته مستورة في صليبه ، إلى يوم يقوم من يكشف ذلك ، ويقيم دار هجرته . وقد روي أن الدنيا مثلت له في صورة امرأة كأحسن ما تكون النساء ، وفي خبر آخر صورة عجوز شمطاء ، وأنه قال لها : ما تبغين مني ؟ قالت : أريد أن أتزوج بك ، فقال لها : كم طلقك من الرجال ؟ قالت : أفنيت الكل . فقال لها : ويحك لأزواجك الباقية فكيف لا يعتبروا بالماضية ؟

وروي عنه أنه قال : إن الله أوحى إلى الدنيا فقال لها : من خدمك فاستعبديه ، ومن خدمني فاخدميه؛ فكانت وصيته للحواريين ان أرضوا من الدنيا بتركها مع سلامة أديانكم ، كما رضي أهل الدنيا بترك الدين مع سلامة دنياهم ، وتحسبوا إلى الله برفض المعاصي والبعد عنها ، فقالوا يا سيدنا : فمع من نجلس ؟ فقال : من يذكركم بالله إذا رأيتموه ، ويزيد في نياتكم إذا استنطقتموه ، ويرغبكم

في الآخرة إذا عاملتموه ، وأنه أقام ثلاث وثلاثين سنة سائحاً في البلاد يطلب دار هجرة ، وهو هارب من أعدائه من بلد إلى بلد ، وأنه لما دنت منيته ولم يدرك ما أراد اشتد طلب اليهود عليه ، فجمع تلامذته وأوصى إلى شمعون فعل من تقدمه ؛ فأما
٢٤٩/ ما أتى به التأويل فإن عمران كان صاحب الوقت ومستحقه كما تقدم/ به القول ، وكانت امرأته حجته المنصوصة ، وإنما سمي عمران لعمارة الدعوة وجمعه لحدودها ، وكانت هذه جناح لامراته ، وإنما سمي باسم التأنيث لأنه كان جناحاً ، وكان يوسع عليه في رزقه ، فبلغ حد النقابة ، وهو حد التذكير ، ذلك لسعة رزقه ، وأنه لم يكن للحجة ولد مثله ، وقد نعيت إليها نفسها في حياة رب دورها ، فسألته أن يقيم ولدها مكانها .

ومما حكاه الله عن قولها : ﴿ ... إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني ... ﴾(١) ، أي أنه يعني أنك سامع أصوات الداعين إليك ، وأما قولها : ﴿ ... رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ... ﴾(٢) عني أنه يقرب بجناح لم يبلغ حد الذكور وقولها : ﴿ ... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ... ﴾(٣) ، يقول إن الجناح ليس في حد اللواحق : ﴿ ... وإنِّي سَمَّيْتَها مَرْيَمَ ... ﴾(٤) ، يقول : ربيتها على اسم المتم ، وجعلت لها منه سبباً ظاهراً فأقامه مني بين يديه ، ﴿ ... وإنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾(٥) ، يقول : إني فوضت أمره إليك تستولي حظه الجاري إليه في وقت بتأييدي للواحقك بما يكون به قوام أهل دعوته ، فيستغنوا بتلك المادة عن الضد الموهم القياس ، وذلك للمستجيبين في حال الضعف .

وعند هذا الخطاب قبلها ربها قبولاً حسناً بحد عنه حجته ، ونصبه مكانه ، وجعل عمران زكريا على نقبائه ، وجعله واسطة بينه وبينهم ، واستكفله مريم ، فقربت حجة هذا الجناح ، وعلت درجته ، وكان زكريا يطرقه من التأييد بقسطه

---

(١) سورة : ٣ من الآية ٣٥

(٢) (٣) (٤) (٥) سورة : ٣ من الآية ٣٦ .

٢٥/ وكان الوقت فترة ، والأعين مفتوحة ، لقيام صاحب الوقت ، لأنه يظهر/ من دعوة عمران .

هذا ولا يدرون من أي أبوابه باقي ، ولما حضرت عمران النقلة استودع سر الله وميراث أنبيائه ذكريا ، وأمر النقباء بطاعته ، وأعلمهم أن الناطق يظهر من دعوته ، وأكد الأمر عليهم بانتظاره ، فكان كل واحد منهم يفتقد دعاته ، ويقول عسى أن يحصي الله به .

قصة زكريا

وقام زكريا بأمر الله ونصب هذا الجناح بين يديه ، ورفعه كما رفع داؤد حجته أوريا بن حنان ، وكان هذا الجناح حسن العبادة ، فافتتن به زكريا كما فتن داؤد بامرأة أوريا ، وكان يمد نقبائه بما يصل إليه في كل يوم وليلة بقسطه لخيال متمه ، وإن كل واحد منهم لا يدع افتقاده دعاته بقسطه وانتظاره ، لما أمر به . ليعملوا من أي باب يأتي صاحب الأمر كما أوحى به ، فلما قوي أمر هذا الجناح وهو شمعون المتقدم ذكره ، وقع الناطق في دعوته كما قلنا ، وخطه الله به دون الحدود المرفوعة عليه ، وهو ما حكاه الله في كتابه ، أن زكريا دخل عليه ذات يوم وهو في محرابه ، يعني أنه افتقد دعوته ، وسلم إليه حظه من التأييد ، فوجد عنده ما لم يكن سلمه إليه ، فاضطرب زكريا لذلك ، وهو ما جاء عن قوله : ﴿ . . . أنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ . . . ﴾[1] وليس هو منك .

وقد قال أهل التفسير إنه كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء غضا طرياً ، وذلك أنه وجد عندها بياناً ظاهراً ، أعلى مما كان
٢٥١/ عنده ، وذلك مما طرقها بخيال المتم ، فعند ذلك تحقق له أن الأمر انصرف، / وأن الناطق يظهر في دعوته ، فعند ذلك نصب دعاته بقوله : ﴿ . . . فَهَبْ لي مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُني ويَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَ . . . ﴾[2] وقوله : ﴿ . . . ذرِّيَّةً طَيِّبَةً إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[3] .

وذلك عند انصراف الأمر إلى يوشع عن شعيب لما وقع موسى في دعوته ،

(١) سورة : ٣ من الآية ٣٧
(٢) سورة : ١٩ من الآية ٥ ـ ٦
(٣) سورة : ٣ من الآية ٣٨

وعند ذلك أظلم على شعيب بصره ، وكذلك لما اتصل الأمر بمريم من قبل يسوع ولدها انقطعت المادة عن زكريا ، فعند ذلك دعا ربه أن يرزقه الله من يقوم مقام مريم فيقوى على المنافقين ، وهو ما حكاه الله عن قوله : ﴿ ... رَبِّ إنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِي واشتَعَلَ الرأسُ شيباً ... ﴾[1] .

وذلك عند أهل دعوته الذين كانت بهم رياسته ، فنافقوا عليه عند انقطاع المادة عنه ، والبركة التي كانت تجري إليهم على يديه ، فعند ذلك تكلموا فيه بكل عيب وذنب ، فعند ذلك أمده الله بملائكته ، وهو قائم في محرابه ، وذلك أنه يتفقد دعاته ، فقالوا إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله ، يعني أنه يقوم مقامك إلى أن يستكمل صاحب الدور ، وأن الله ليؤيدك أمرك من الأصلين به ، وذلك قوله : ﴿ ... وسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبياً مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[2] .

أي أن حده عالي على جميع الحدود ، وأن منه يقع التسليم إلى صاحب الزمان ، وعلى يديه تنقطع الشريعة التي أنت داع إليها ، ثم عطف الملائكة بالقول
/٢٥٢ على مريم بقوله : ﴿ ... إنَّ الله اصطفَاكِ وَطَهَّرَكِ ... ﴾[3] أي أعلى درجتك/ على جميع الحدود ، ثم استسنى القول عليها : ﴿ يَا مَرَيَمُ اقنُتي لِرَبكِ واسْجُدِي وَاركعي مَعَ الراكِعينَ ﴾[4] أي لا تدعي التذلل لخيال إمامك الذي بلغك حدودهم ، وأعلى درجتك عليهم ، فعندما اشتهر أمرها نازعه النقباء فيها وقالوا : نحن أحق بكفالتها منك وذلك لانقطاع المادة عنه ، وكان من أمرهم ما قصه الكتاب بقوله : ﴿ ... وَمَا كُنتَ لَدَيهِمْ إذ يَختَصِمُونَ ﴾[5] وأنهم أخذوا أقلامهم وقلم زكريا ومريم وجلسوا على ماء جاري ، وأرسلوا نقيبهم إلى رأس النهر فألقى الأقلام فخرج قلم زكريا عليهم وتبعه قلم مريم ، وذلك أن الله فتح على زكريا بخيال متمه ، ورد المادة إليه وأمره بكفالة مريم إلى أن يتم أمره ، على حسب ما جرت به عادة من تقدمه من نظرائه .

---

(١) سورة : ١٩ من الآية ٤
(٢) سورة : ٣ من الآية ٣٩
(٣) سورة : ٣ من الآية ٢٤
(٤) سورة : ٣/ ٤٣
(٥) سورة : ٣ من الآية ٤٤

ولو كان زكريا متماً كما زعمت عامة الشيعة لما نازعه النقباء في كفالة مريم ، ولكن قد قيل في المثل : إن من رفع حداً من الحدود إلى غير منزلته ، فقد هجاه ، ومن مدحه كان كمن حطه ، وأخره عن رتبته يريد بذلك إسقاطه ثم أعاد الخيال بالقول على مريم : ﴿ ... إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ ... ﴾[1] يقول إن المسيح يمسح الدعوات ويكشف المستورات ، فلما سمعت هذا الخطاب كتمته عن اللواحق خوفاً من الحسد ، وهو ما حكاه الله عنها أنها ﴿ ... انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ﴾[2] ، وأنها جعلت بينها وبينهم حجاباً فقد اختصرنا في هذا الكتاب ما فيه كفاية لأولي الألباب ، ونحن نرجع إلى قصة زكريا ويحيى ، وذلك أن
٢٥٣/ الله أوحى/ إليه بالتسليم إلى يحيى فجمع نقباءه وسلم بمحضر منهم ، وأشهدهم عليه وعلى نفسه ، وأمرهم بالسمع والطاعة له ، وأمرهم بقيام الدعوة إلى ظهور صاحب الزمان .

(١) سورة : ٣ من الآية ٤٥

(٢) سورة : ١٩ من الآية ١٦

قصة يحيى

وقام يحيى بأمر الله ووحيه إليه ، وهو ما روي أن مريم لما كبر ولدها ونشأ أسلمته صباغاً ، ولقد تقدم القول به ، وذلك لما استوفى ما في وعاء أمه سلمته إلى يحيي عند نصبه، وهو ما روي أنه كان يأتي يحيي يستفيد منه، وقد كان يحيى عارفاً به، وكان يجله ويهابه، وذلك لما كان يتصل به من نور الكلمة شيء بعد شيء، وهو ما روي أن يسوع وافاه ذات يوم على نهر الأردن ، وقد تجرد يصبغ أقواماً ، فدنا يسوع منه وسأله أن يصبغه كما يصبع هؤلاء الذين بين يديه . فقال يحيى : وهل يجوز للعبد أن يصبغ سيده ؟ وكيف لي بصبغ من هو خير مني ؟ قال : أما اليوم فلك ، وغداً لغيرك . فصبغه يحيى ، ثم تولى وبقي يحيى متعجباً مما يراه فيه ، وأقبل على أصحابه يريهم فضله ، ويصف لهم ما يكون منه ، وأنه لما تم له ثلاثة أسابيع من عمره أتى يحيى ورأى حمامة بيضاء غاصت في رأسه ، فأرسل إليه أنت الآتي ، أو نتوقع غيرك .

ولما تم له أربعة أسابيع أتى يحيى فسلم إليه ، وهو عنده إتصال التأييد ؛ وقد روى أنه لما طرقته المواد سلم إليه يحيى فجمع المسيح تلامذته وأعطى كل واحد منهم قسطه ، وفرقهم في جزائر الأرض يطلبون له دار هجرة ينصبها ، وبقي هو ومن
/٢٥٤ معه سائحين في الأرض يطلبون له دار هجرة ينصبها ،/ ثم بذل الدعوة في بني اسرائيل فأجابه من بني اسرائيل الذين كان في أيديهم من الكتاب ، فكانوا منتظرين له وآمنوا به ، وهم الذين حكى الله عنهم بقوله : ﴿ . . . فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِن بَني

إسرائيلَ وَكَفَرَت طائِفَةٌ . . . ﴾[1] وهم أراذل كل أمة ، وعناهم شيعة إبليس وأصحاب الرأي والقياس ، فلذلك سمى هؤلاء الجهال يهود لاهادتهم عن الحق ، وجهلهم به ، وإنما كفروا به عندما رأوه استبدل بعصا موسى صليب ، وتقبله بيت المقدس الشروق ، وبالختان حلق وسط الرأس ، وبالبت الأحد ، وبصوم يوم واحد في السنة سبعة أسابيع .

وتغيير الصلاة وإسقاط السجود منها ، وتغيير حكم التزويج ، وأنه لم يأمر بطلاق ولا تزويج امرأة على امرأة ، وإن المرأة لا تبين عن زوجها إلا بالزنا ، وكان في حكم أن المرأة تصيب ميراث الأخ . وقد تقدم القول به ، ثم أمر بعد هذا التغيير بإقامة أحكام التوراة ، ثم قال لهم إنها موافقة الإنجيل ، فقالوا له : وأي موافقة يرى بيننا وأنت عطلت جميع أحكامها ، وعطلت هذه الحدود منها .

وقد روي أنه مر في سياحته بقرية فأمر حواريه بالدخول فيها وجلس هو خارجها ينتظرهم ، فرأى امرأة فاستقاها ماء فأبت عليه ، فقال : لو علمت من استقاك لطلبت إليه أن يسقيك من ماء الذي لو شربت منه جرعة لم تموتن أبداً ، فقالت له : ماءك خير من ماء حفير بئر يعقوب ووهبه ليوسف ، فقال لها : إن من
٢٥٥/ شرب من ذلك مات ، ومن شرب من مائي/ أحيا ، فقال لغير هذه المرأة إن الخبر الذي عندي من أكله لم يمت أبداً ، فقالت اسرائيل إنه أسلافنا أنزل عليهم المن والسلوى فماتوا ، وأنت من أكل خبزك لا يموت . فقال لهم : إن ذلك الخبز المنزل من السماء . ثم قال لهم : من أراد أن يتقرب إليّ بلحمي ودمي فيذهب إلى النصارى عند هذا التلويح ، إنه اللحم إنما يولد من أكل ذلك الخبز والدم من شرب الخمر ، فلذلك صاروا يعجنونه بالدقيق والخمر ويخبزونه قرصاً ويتقربون به ، فإن من أحدث في دينه حدثاً يمنعوه من ذلك لقربانه ، فإن رجع عن حدثه ذلك أعطوه منه ، ولذل شنع عليهم اليهود عند وقوفهم على إشارة المسيح المتقدمة ، وما رأوهم يتخذونه من القربان بعده ، شنعوا أنهم أخذوا لحم فخذه ، وهو مصلوب

(١) سورة : ٦١من الآية ١٤

فجففوه ودقوه وخلطوه بالدقيق ، وعجنوه بالخمر ، وقرصوه قرصاً ، فكم عسى أن يكونه هذا في طول السنين وموت الأحبار ، وأنه لما طال به السياحة ولم ينصب دار هجرة يقيمها ويلجأ إليها فيجاهدهم ، أقام لتلامذته ظاهر حكمته وحشاها بالأمثال المضروبة ، فمن ذلك آداب الصلاة وما يتقرب الرجل فيها معرفة الثلاثة أقاليم الذي تصلب بها على وجهه عند فراغه منها ، وصك حكمته المستورة في صليبه ، ومثل الزنار الذي يشدوه على أوساطهم ، والقربان الذي يتقربون به ، وحد العمودية ، وما في كل ذلك من الحكمة التي حلموها ، وأخذه على ذلك العهود
/٢٥٦ عليهم بالقيام/ بها ، وجعل الحرم على من ترك شيئاً منها ، كل ذلك إذا لم يكن له دار هجرة يلجأ إليها .

وأما ما رمز فيه من معالم دين النصرانية في الثلاثة أقاليم فإنه إشارة إلى ثلاثة حدود ، بعدها إلى سبعة . ثم إلى إثني عشر حداً ، فأقامهم لظاهر حكمته المضروبة ، وجعل الظاهر دين موجود ولباطنها علم مكسوب ، فاتبعوا الظاهر وسردوا فيه وبنوا دينهم عليه ، وقنعوا بالدخول من بابه الذي من قبله العذاب ، وتركوا لباب الذي من قبله الرحمة والثواب . إذ كان كل ظاهر يوجب التعليم ، والباطن يوجب الطلب ، ولذلك أشار رسول الله لأمته بقوله : « طلب العلم فريضة على كل مؤمن » . فجعل طلب العلم فريضة من الفرائض ، ولم يكن لهم معرفة ولا قوة تحركهم لطلب ذلك العلم الذي جعله فريضة عليهم ، بل نصبوا الأعلام الظلمانية دونه فحلت بينهم وبينه ، فتاهوا عن معرفته ، فرجعوا إلى آرائهم وقياسهم .

وأما الثلاثة أقاليم التي أشار إليها المسيح بقوله يومئذ بالأب والإبن وروح القدس وكانت إشارته إلى الحدين العلويين اللذين هم أصلان للحدود السفلية ، وأما روح القدس فهي المادة الجارية منهم للحدود الجسمانية ، فكانت إشارته إليها ، لأن مادته منها ، وذلك لما لم يكن له أب في الجسمانية ، ولا تسلم هو منه ، فنسب نفسه إليها ، فذلك لما كانت منزلة أبيه آدم قبله فلذلك صار نظيره في

/٢٥٧ الرتبة والشرف ، فنصب قبلته الشروق ، / وذلك لموضع شروق النور إليها ، وقد تقدم القول به في قصة آدم . فأما الخمسة التي أشار إليها فكانت إشارته إلى الأصلين ، والثلاثة حدود المتقدم ذكرها في صدر الكتاب المتصلين بالنطقاء ، والأسس ، والأئمة ، واللواحق .

وبذلك أشار رسول الله بقوله لأمته : « بيني وبين ربي خمسة أعداد » ثم نصب رسول الله بإزائهم خمسة وهم الأساس والإمام والباب والحجة والداعي فجعلهم وسائط بينه وبين الحدود الجسمانية فصار خلاص المؤمنين ونجاتهم بهم ، وأما السبعة التي أشار إليها فالسبع الكروبية التي هي الدراري السبعة عاملة بها ، ولذلك ذهب أهل التنجيم إلى أن تدبير العالم السفلي بهذه الكواكب فعبدت المثل وجهلت الممثول ، فلذلك يقول الباري ﴿ فَلَاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(١) ، الآية . فدل ذلك على أن المثل على الممثول لأنه جل وعز لا يقسم بظاهر جماد لا يقدر على تدبير نفسه ، فضلاً عن تدبير غيره ، ولو أنك أقسمت على نفسك بحق رجل يعز عليك في ظاهر أمره لكان قسمك عبثاً ونقصاً ، إذا أقسمت برجل يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، وينكح .

وإنما يجب القسم على العاقل اللبيب بالنور الحامل لذلك التنجيم ، والصورة الروحانية ، وأنه جعل بإزاء هذه العلوية سبعة سفلية ، وهي التي بنى
/٢٥٨ عليها لدينه وهي البيعة والمعمودية والصليب والقربان و/ الناقوس والزنار والإنجيل ، وجعل الإنجيل سبعة ، فجعلها في هذه أمثالاً لهذه الحدود المذكورة ، ووجه أحزانه نصب دينه على سبعة حدود ظاهرة ، وجعل مرجوع الأمة إليهم ، وهم : البطول ، والمطران والأسقف والقس والشماس والموسوم والروس ، فهؤلاء سبعة جعلهم مستودعين علماً وحكمة ، ومما علمه الأمة أن هذه الحدود السفلية إنما نصبها الآب لقيام الدعوة إلى الله . وعلى يد باطنها يكون انقضاء دوره ، ونسخ شريعته ، فهذه الحدود محدودة مشار إليها في كل عصر وزمان ليعلم الخلق أن

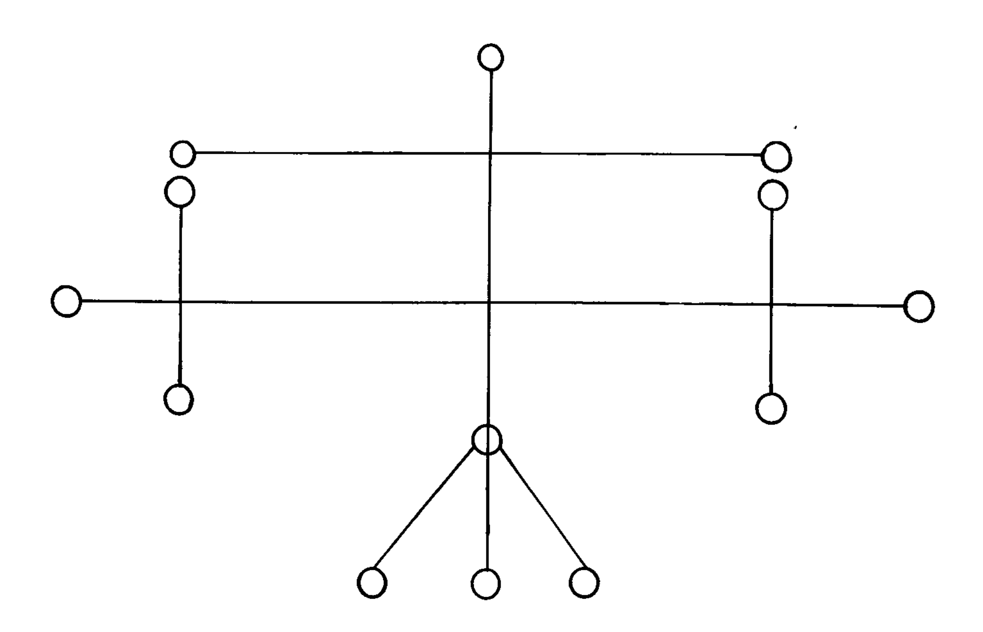
(١) سورة : ٥٦ الآية ٧٥ ـ ٧٦

الصفة غير الموصوف ، والحد غير المحدود ، كما أن الصنعة غير الصانع ، والمثل غير الممثول ، وأن كل واحد من هذه الأشياء إنما تدل على ماسكه وحامله القائم الكامل ، وأنه جعل الأشياء إنما تدل على صليبه . وذلك أنه أقام فيه حدين ، وهو أنه ابتداه من خشبتين مصنوعتين مجموعتين بمسمار ، فإذا فتحها صارت أربعة حدود ، وإن فتح الله ذهنك وجدت تلك الأربعة دالة على الأصول الأربعة المتقدم ذكرها . ثم قال لهم : من أراد الحياة اللائمة فليحمل صليبه ويلحقني ، فحملوا تلك الصلبان المعمولة وهم أحياء جهلاً منهم لتلك الإشارة المتقدم ذكرها وجعلوا إذا مات لهم ميت صلبوا عليه بصليب من زيت قدسوه بزعمهم ، وكيف يقدس الأشياء من يحتاج إلى مقدس يقدسه ؟ ثم يقولون للميت هذا حامل صليبه ، وإنما
٢٥٩/ أشار (ﷺ) بالحياة الدائمة إلى حامل هذا العلم/ الروحاني الذي به حياة الأرواح الباطنة ، وإدامة حمله في النعيم المقيم ، ولذلك يقول جل من قائل : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا . . . ﴾[1] وذلك لأنه ميت بالجهل فأحياه الله بنور الهدى حياة أبدية ، ثم أشار أيضاً بحمل الصليب إلى معرف الحدود الإثني عشر الروحانية .

وإن الحياة الأبدية لا توجد إلا عندهم فبتلك الحياة الدائمة سميت الحدود الجسمانية التي نصبها للحق ، ولذلك صارت البروج أمثلة عليها ، فإن هذه الحدود الإثني عشر عاملة بالدراري السبعة ، وكما أن للبروج الإثني عشر أمثلة للتلاميذ الإثني عشر ، وجعل تركيب الصليب خطاً في مثله كما قلنا فتولد في وسطه عقدة فصارت تلك العقدة ماسكة لتلك الحدود الأربعة ومراكزهم ، كذلك الأصول الأربعة متمسك بالكلمة ومنها يجري تأييدهم ، ومن أجل ذلك نسب المسيح نفسه إليها ، وأنه أقام في الصليب ثلاثة أطراف وثلاثة أبعاد ، وهي طول وعرض وعمق . وكل واحد من هذه الثلاثة محفوف بستة حدود ، هم : قدام ، وخلف ، ويمين ، وشمال ، وفوق ، وتحت . سابعهم غيبته الحامل لهم ، وجعل الأطراف الأربعة ثمانية عقد فجعلهم أمثلة على الشهور الإثني عشر المتقدم ذكرها ،

(١) سورة : ٦ من الآية ١٢٢

فصار الأصل واحداً ، وهو الجامع لأركان العالم بأسره والأربعة والسبعة والإثني
/٢٦٠ عشر مربوطين به ، وجمع في/ظاهر الصليب الأربع والدراري السبعة ، والبروج
الإثني عشر ، أمثالهم من الحدود السفلية ، كما قلنا وهذه صورة الصليب .



وصار مجموع من قطعتين من الخشب أو من النحاس أو من الذهب أو الفضة يجمعها مسمار ، فإن فتحها صارت الأربعة ، منهم مثل الأصلين والأساسين كما قلنا ، والنقطة الخامسة لهم فهي العلة العاملة للجميع ، وصارت النقطة كالنقطة الجامعة الدائرة ، وكالقطب للرحى ، والثمانية الأنده أمثلة للثمانية التي في جزائر الأرض ، والأربعة الماسكة الجميع كالعلة الممدة لهذه الحدود كلها ، وكذلك الإمام ممد لهذه الحدود الأربعة التي هي الحرم الأربعة ممدة للثمانية فصار الإمام جامعاً لهذه الحدود السفلية ، وممد لها كما أن مادته هي من الحدود العلوية المتقدم ذكرها .

وكذلك جرت السنة في سائر من تقدم من الأنبياء كما ضرب موسى بعصاه الحجر فانبجست منه اثنا عشر عيناً ، وهم الإثني عشر نقيباً ، وذلك أنه ضرب

بتأييده وصيه فانبجس من الوصي اثنـي عشر نقيباً ، وكذلك جعـل رسـول الله لمسجده اثني عشر باباً ، وجعل حول البيت اثني عشر ميلاً ، وأنه لا يجوز الطواف لمن طاف إلا من داخلهم ، والصليب أيضاً يحتوي على أربعة خلاف ذلك ، أنه أمر أمته بصوم شهرين متتابعين فكان ذلك أمر منه بالستر للأصلين ، لهم ولمن صار إلى
٢٦١/ معرفتهم ، لأن الصوم هو الكتمان والستر ، / وجعل الصـوم من هذين الشهـرين أربعين حداً .

وهذه الأربعين التي وعد بها موسى بقوله : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِهِ. . .﴾[1] أربعين ليلة يقول: من وصَل إلى معرفة هذه الحدود فليكتم عنها ، وكذلك قال في قصة محمد (ﷺ) حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، وأنك إذا قلت آدم ووصيه وستة أئمة قائمين بدوره ، ونوح ووصيه وستة أئمة قائمين بدوره ، وابراهيم ووصيه وستة أئمة قائمـين بدوره ، ومـوسى ووصيه وستة أئمة قائمين بدوره ، وعيسى ووصيه وستة أئمة قائمين بدوره ، كان الجميع أربعين حداً . وأوجب على من عرف هؤلاء كتمانهم والستر عليهـم ، كما أوجب المسيح الصوم على أمته في هذه الأيام ، ووجه آخر الأربعة يجمعها أربـع عقد ، وهم الأصلين والأساسين اللذين هم أركان العالم ، وأصل الدين والدنيا .

ولذلك جعل أركان الدنيا الأربعة ، وأمر الخلق بالتوجه إليهـا ، وهـم : المشرق ، والمغرب ، والوسط ، والجنـوب ، والإستقصـات الأربـع ، والطبـايع أربعة ، فصارت الإستقصات الأربعة حاملة للعالـم الصغـير بمـا فيه ، وكذلك جعل تلاميذ الأناجيل أربعة ، وأمروا الخلق العمل بها ، ثم أشار إليهـم أيضـاً بصوم ستة أيام في كل جمعة أمراً منه لهـم بالستـر والـكتمان على الستـة القائمـين بشريعته ، فإذا جاءهم السابع أمرهـم بالافطـار من صومهـم يعنـي أنـه يكشف أمرهم ، ومن اتخذ منهم صوم خمسة أيام في الجمعة وفطر يومين وهما السبت والأحد
٢٦٢/ فإنما ذهب إلى ما عقد على تلامذته بالستر على الحدود/ الخمسة الروحـانية المتقـدم ذكرها ، والذي قالِ الرسول إنها بينه وبين ربه خمسة أعداء ، وأمرهم بكشف نفسه

(١) سورة : ٧من الآية ١٤١

وأساسه ؛ ووجه اخر ان فطرهم يومين في الجمعة أي السبت والأحد إنه أعلم تلامذته بأن صاحب الأحد أحل ما عقده صاحب السبت على قومه لما فسخ شريعته .

ولذلك وقع صيامهم أربعين يوماً فوافق به فيعاد موسى الذي أشار به إلى أمته ، أن عقد شريعته ينحل بعد الأربعين يوماً ، وأما إشارته لأمته من لم يولد الولادتين ويتطهر بالماء والقدس لم ير ملكوت السماء ، فكانت إشارته إلى العهد المأخوذ عليهم ، يقول من لم يتصل بإمام زمانه ويتقلد عهده ، ويدخل في دعوته التي هي الولادة الروحانية ، لم يتصل بالعلم الذي يبلغه معرفة ملكوت السماء .

ولذلك تراهم من دخل منهم البيعة لا يزال ساكتاً ، لأن السكوت كما قلنا هو الصوم حتى يناول القربان ، فعندما يتناوله يفطر من صومه ، فيصير القربان عوضاً عن الطعام الذي يفطر الصائم ، كذلك عند أهل الباطن أن المؤمن إذا بلغ درجة الإحلال تناول القربان ، وخرج إلى داعيه مما يجب عليه ، فعند ذلك يطلق له الكلام ، وأما الزنار فإنه قال لشمعون : يا شمعون إنك قد كبرت ، وقد أصبحت أن تشد وسطك ، تنزل نفسك من يؤازرك إذا كنت أنت في هذا الوقت وزيري ، والزنار هو المأخوذ من الوزارة ، وإلى مثل ذلك أشار موسى بقوله : ﴿ وَاجعَل لِي وَزيراً مِن أَهلي ﴾[1] الآية . فالزنار أيضاً الذي أمره به إنما كان أمره له بأن يأخذ
/٢٦٣ عهده/ على من يؤازره ، وهي الولادة عندهم التي هي دليل على الميثاق الذي أخذه على تلامذته ، ولذلك نرى الرهبان يشدونه على أوساطهم ، ويتقلدون في رقابهم تشبهاً بهم .

والرهبان اسم مشتق من الرهبانية ، ولذلك ذكرهم الله في كتابه عند تسليمهم لمحمد (ﷺ) فمدحهم بقوله : ﴿ ... بأنّ مِنهُم قِسيسينَ وَرُهباناً وَأَنهُم لا يَستكبِرُونَ ﴾[2] عني عند تسليمهم له ، لأنهم كانوا منتظرين له كما أشار إليهم المسيح فيه ، والزنار أيضاً أمر به ، وواجب على أمته شدهُ على أوساطهم ؛

---

(١) سورة : ٢٠/ ٢٩

(٢) سورة : ٥ من الآية ٨٢

وأمره لهم بعقده ثلاث عقد ، ثم قال لهم : العاقل منكم من عقد أربع وهو أفضلكم ، فخالفوا قوله ، ورجعوا برأيهم وقياسهم إلى عبادة الأصنام والتماثيل التي نصبوها على البيت ، وقد أمرهم أيضاً بأن لا ينجسوا الماء ولا يقربوا إليه البتة ، وأمرهم بأن لا يعرضون أبوابهم على الكلب فلم يعرفوا شيئاً مما أشار إليه ، بل رجعوا إلى رأيهم وقياسهم ، والعكوف على أصنامهم .

ولذلك أوصى موسى قومه بشد الزنار على أوساطهم ، وعقد عقدتين . ثم قال من عقد الثلاثة فهو أفضلكم ، فذهبوا بذلك إلى ما رأوا قوم ابراهيم وعملوا به ؛ وذلك أنهم عقدوا عقدة واحدة ، وأما ما أوصى ابراهيم منه لعقد الثلاثة فإشارة منه إلى الثلاثة التي تقوم بعده ، بأن يعقدوا على أتباعهم العهد بولايتهم ، ثم قال لهم : الفاضل من عقد على نفسه بيعة الرابع . يعني القائم (ﷺ) فعقدوا
٢٦٤/ منه واحدة وأنكروا ما بعدها ، وكذلك أشار موسى بعقدتين ، فكان إشارته/ إلى عيسى ومحمد والقائم بعدهما .

وكذلك عقد عيسى على أمته واحدة ، فكانت إشارته بها إلى محمد ، وقال : الفاضل منكم من عقد العقدة الثانية . فكانت إشارته إلى القائم ، وبذلك أمر الله نبيه أن يعقد على أمته العهد للقائم بقوله : ﴿ وَإذا أخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِينَ لَمَا أُتيتُكُم مِن كِتَابٍ وحِكمَةٍ ثُم جَاءَكُم رَسُولٌ مُصدِّقٌ لِمَا مَعكُم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ولَتَنصرنَّهُ قَالَ أقْررْتُم وأَخَذتُم عَلَى ذَلِكُمْ إصْرِي قَالُوا: أقْرَرْنَا قَالَ فاشْهَدُوا وأَنَا مَعكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾[1] .

فهذا العقد عقد به ابراهيم على ولده اسحق بتسليم الأمر إلى مستحقه ، وأن يعقده السلف منهم على الخلف ، وأنه لا يسلم إليه إلا بعد العهد والميثاق فيسلم الأمر واحد بعد واحد إلى أن يتصل بالقائم ، وذلك العهد العقد ، عقدة يعقوب لولد اسماعيل على ولده على أنه لا اختلاف بينهم وأن لا يسلم الأول إلى الثاني إلا بعهد وميثاق بعد الشهادة على أنفسهم ، وإشهاد بعضهم على بعض ، وبذلك

(١) سورة : ٣/ ٨١ ـ ٨٢

العقد عقد ابراهيم على اسماعيل بتسليم الأمر إلى اسحق وولده ، وكذلك عقد على اسحق وولده بوفاء العهد حتى يرجع الأمر إلى ولد اسماعيل .

وقد ضرب عيسى بعد موسى في هذا من الأمثال أكثر مما ضربه موسى وابراهيم ، وسيأتي ذلك في وصيته إنشاء الله تعالى ، ونحن الآن نرجع إلى معرفة
٢٦٥/ السبعة/السفلية الذي نصبهم بإزاء السبعة العلوية ، وهم من البطرك إلى المرسوم ، فالبطرك الناطق ، لأن البطرك يجلس مجلس النبوة على كرسي عال عن الناس ، يتلو عليهم الإنجيل ، والمطران مثل الأساس ، والأسقف مثل المتم ، والقس مثل الحجة ، والروس مثل الداعي القائم بأمر الدعوة لأجل العهد المأخوذ عليهم ، والشماس مثل على المأذون ، والمرسوم على المؤمن البالغ المرسوم بالدعوة ، وأما ضرب الناقوس فإنه يضرب ثلاثة دسوتاً ينقر في كل دست منها سبعين نقرة ، فذلك مثل على خيرة الله من خلقه وصفوته من عباده المنصوبين لكل شريعة وعصر ، وذلك قوله عن موسى ، واختار من قومه سبعين رجلاً ، وكذلك عن المائدة المنزلة على بني اسرائيل في زمان موسى عليها سبعين ثمرة ، من ثمرات الجنة .

ومثل ذلك على ذرع السلسلة المذكورة في عصر نوح وبيت المقدس أن عدد حلقاتها متصلة بعضها ببعض لا ينفصل منها شيء عن شيء ، وأن من تعلق بحلقة منها فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وكذلك حكى عن سفينة نوح ، وقد تقدم القول به ، ومن ذلك ما نصبه نبينا (ﷺ) بين العيدين سبعين يوماً ، وما سنه في رمي الجمار سبعين حصاة .

وأما ما كانت وصيته لوصيه شمعون عند تنصيبه له ، وأمره لتلامذته بالتسليم إليه ، فمن ذلك قوله : يا شمعون إني لم أبلغك إلى هذا المحل وأطلعك
٢٦٦/ على هذا السر ، إذ لم يطلع عليه لحماً ولا/دماً ، بل أبي الذي في السماء أظهرك عليه ، وأنا أقول إنك الصفا المصفى حقاً حقاً ، وعلى هذا الصفا ابني بيتي ، وأن أبواب السماء لا يصل إليها غيري ، وأنا الذي أعطيت علم الملكوت ، فكل شيء أشرته في السماء فهو موثوق في الأرض .

وكذلك ما أوثقه في الأرض فهو موثوق في السماء ، ومفاتيحه بيدك ، فأراد بالسر العلم الذي استسر عن المخلوقين من اللحم والدم ، لأنه علم روحاني من عند الله ، يعني كلمته التي نسب نفسه إليها فيقول : فذلك حظي منه لا يناله غيري من الروحانية ، وأما العلم الموقوف فهو ما أطلعه البشر وسمي الصفا ، لأنه هو الذي يصفي ذلك المطلق للبشر فيستحيون في وقت قيامه به بعده .

وقوله له عليك أبني بيتي يقول أنت القائم بعدي بالعهود التي هي مفاتيح الملكوت التي لك أعطيتها ، ولذلك يقول كل شيء أسررته في الأرض ، يعني ما يذره في حجته التي هي أرض حكمته فهو مأسوره وثقاً عند الدعاة الذين أمرهم بيدك ، فأما ما روي عن شمعون أنه قال كنت مع سيدي المسيح حين نزل عليه النور في جبل الطور فاستسقى كل واحد منا بقسطه ، وعلى قدر رزقه ، ووسعه وقوته .

ولما سقى أنفذ كل واحد منها إلى موضع أنفذه ناطق بلسانه مؤد لأهل جزيرته ، عارف بلغتهم ، وذلك بالقدرة الإلهية التي أطلقها الأب له وأقامني بين يديه ، فقلت له ذات يوم أي أبي أين كنت بحيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ،
٢٦٧/ ولا شمس/ تضيء ولا نهار يضحو ، ولا ليل يكر ، ولا ظلام ولا أنوار ، ولا كوكب سيار ، ولا فلك دوّار ، فقال : لقد بلغتك همتك إلى أن سألت عن أمر عظيم سوف أنبئك به كنت أنا في الأب ، وكان الأب في تقديس ، وكنت أنا والأب في الأم ، وكانت الأم بنا تسبح ، وكنت أنا والأب والأم في روح القدس ، وكان روح القدس بنا يجد ، ولولاه أطلعته في سرك لما خطر ببالك ، ولا ظهر على لسانك ، لكني أطلعت ذلك حتى سألت عنه لتعرفه ، وأبي الذي أوقفناك عليه ولا يتساءل عما وراءه فيتفضل .

وأنه لما أحضر جمع تلامذته بجبل الزيتون وأقبل عليهم بالوصية ، وكان فيما قاله إني في هذه الليلة أخذ من بينكم ، وأقتل وأصلب ، فمن أحب منكم أن يتبعني فليعمل على ذلك ومن أحب النجاة لنفسه فليفعل حسب ذلك ، ثم أقبل

بالوصية على شمعون بما يفعله بعده ، وكان فيما قاله صاحب الحكمة وهو قائلها وصاحبه ومن شارك فيها وأولاهم بها وبمعانيها ، يا شمعون إن الحلان ينالها من جاءه ، وهو في الخطأ مقيم ، بل ينالها من عمل لها ، يا شمعون إن الرب أباه أماه ، فلم نسوا سعة سعود العسل ، وكذلك قلوبكم فلِمَ لم تحرقها للشهوات ، والآراء والأهواء ، فسيعود الأمر روي لأنها أواني وفيها أورع وديعتي أن عرفتموني حق معرفتي وقبلتموني حق قبولي وحفظتم وصيتي ، وأوشك أن تجتمعون[1] على
٢٦٨/أ اسمي ، وتفترقون/ بأهوائكم فيّ وفي علمي ، إلا وأني غائب كما قلت وإني أموت ، ولكن سيرفعني أبي إليه ، ويقوم مقامي من أنا مقبل عليه ، يقوم ليتبعني ، وعليها بنيتها ، وقد جعلتها محكمة الأساس .

وقد ذكرت لكم في الإنجيل كما أمرني به أبي أن أتكلم به ، وأن الحكمة إنما بنيت بإقامة ديني على السبعة الأعمدة التي تقدم ذكرها ، ألا وإني مودع وديعتي علم رباني سراني عندكم في هذا ، وأومأ بيده إلى شمعون ، فاستشاط القوم غضباً لما رأوه من إقباله عليه حسداً له ، ثم قالوا : يا روح الله فأنت المسيح قل لنا ؟ قال : لا . قالوا : فأنت عيسى بن مريم قل لنا ؟ قال : لا . فأنت روح القدس قل لنا ؟ قال : لا . قالوا : فأنت الأب الأعظم قل لنا ؟ قال : لا . قالوا : فأنت الإبن قل لنا ؟ قال : لا . قالوا : فما اسمك فينا ، ومن أنت ، ومن أين جئت ؟ قال : أما اسمي فيكم فبالذي سماني أبي وهو أن اسمي المصون الذي يصيح في الصحراء القفراء ، إن سهلوا طريق الرب . قالوا : ما نعرف القفراء إلا ما بنور من الأرض فلا نراك إلا معنا وبين ظهرانينا ، وفي ما عمر من بلادنا ، فما هذه القفراء التي أنت تصيح فيها ؟ قال : ليس القفراء ما ذهبتم إليه ، وإنما عنيت بالقفراء قلوبكم القفرة من الحق ، وإنما بعثت إليها لأسلك بها طريق أبي الذي ولدني .

وسوف يقتلني أخوكم في هذه الليلة بعد ثلاث صعقات من الديك ، قالوا له : فمن هو ذلك دلنا عليه ؟ فأخرج من جراب كان معه سبعة أقراص من الخبز

(١) تجتمعون : سقطت في ب

/٢٦٩ فكسرها في جام فضة ، وصب عليها خمراً ، وقال : هذا/الخبز لحمي ، وهذا الخمر دمي ، فمن أكل لحمي ، وشرب من دمي بغير اذني فهو قاتلي ، وذلك لا يرى ملكوت السماء ولا ملكوت أبي الذي ولدني ، وعلامة ذلك أقامتي على الصلبوت وارتفاعي عليه فإذا لم تنصبوني حق نصبتي فقد أحرمتموني ، وإن الذي يفعل ذلك هو الذي يكفرني في آخر الليل بعد ثلاث صعقات من الديك كما قلت لكم ، فإن الذي يمد يده إلى الطعام هذا بغير أذني ملعون كافر .

وإن أول مخالفته أن يأكل من لحمي ويشرب من دمي بغير أذني ، وإنه لم يزل على ذلك الوصية وهم يتميزون غيظاً ويتناعسون إلى أن صعق الديك كما قال ، ووقع النسيان بالقوم فمد يده خاله يهودا سحر بوطا إلى الجام كالساهي فأكل من ذلك الخبز ، فقال من الأكل من لحمي والشارب من دمي ؟ فنفر يهودا كالمنتبه من رقدته ، فقال : لا يكون يا سيدي أنا الذي عبث به . فقال له : فأنت ذاك فقم إلى حال سبيلك ، فقام في وقته ذلك إلى اليهود فأصابهم مجتمعين في كنيستهم فباعه منهم بعشرين درهماً عدداً غير موزونة ، فقالوا له : ما نعرفه ، وقد قتلنا من أجله خلقاً كثيراً ، فقال أنا ذاهب معكم وأدلكم عليه فمن رأيتموني سجدت له فهو المدعى ابن الله ، فسار القوم معه حتى قبضوا عليه وهرب جماعة تلامذته ، ولم يبق إلا شمعون ومتى . فعند خروجهم هرب شمعون ومتى منهم ، وأتوا به إلى مجلس الحكم وأقام عندهم حتى صح أمره ، فقالوا : من
/٢٧٠ أنت ، ومن/أين جئت ، وما الذي دعاك إلى ما ادعيته ؟ فقال لهم : أنا الذي قال عني أبي داؤد متى يأتي ابن البشر فينظر في وجه ربه . فقال له خاله يهودا : بل أنت الذي قال داؤد متى يأتي ابن البشر فيقتل ويصلب ، ويبيد اسمه .

وكان من رسم النبي داؤد في حكم التوراة أنهم لا يقتلون ولا يصلبون فإن قتل أحد منهم خطأ بغير تعمد دفن وبني عليه حظيرة ، ولا يصاب البتة . ثم إنهم ألبسوه قبل أن قتفاقم أمره ، فسلوه بحربتين في جنبيه ، وصلبوه وأقاموه على الصلبوت ثلاثة أيام ، واضطرب بنو اسرائيل وهاج بعضهم على بعض ، وقالوا قد

خالفتم التوراة قتلتم رجلاً من آل داؤد وصلبتموه ، والشرفاء لا تقتلون ولا تصلبون ، وطلب يهودا ليقتل فهرب واختفى ، وبقي القتال بينهم خمسة أيام حتى أنزل المصلوب ودفن ، وقتل منهم خمسة آلاف رجل ، ثم إن يهودا أظهر لهم كتاب وقرأه عليهم بأن هذا الرجل من اليونانيين ، وأنه كاهن فاسق ، فنظروه فإذا هو أقلف وأنه لا أب له ، وإنما ينبت إلى داؤد حيلة منه وكهانة .

وإنما هرب من إنطاكية على هذا الفعل ، وادعى عليكم أنه من نسل داؤد وأنه جاء يحل ناموسكم كما ادعى من كان قبلكم رتبة موسى ، وقد فسح عليكم السبت الذي(١) وصاكم موسى أنه من حل عليكم السبت فاقتلوه ، ولذلك حكمت عليه بالقتل والصلب ، ثم تكلم بأشياء يقبح ذكرها ، فأقام بنو اسرائيل فيه فرقاً ،
٢٧١/ وأقام حزبه عليه معتكفين ، و/ ركب كل وحش منهم رأسه وخرجوا في البلدان سائحين ، فادعى كل واحد من تلامذته بأنه المنصوب بعده ، وصاحب ميراثه ، والخليفة بعده .

وأن شمعون ضم ميراث المسيح وستر به ، ولم يزل هارباً من بلد إلى بلد وبنو اسرائيل يطلبونه ، وأنه متى عرف في بلد خرج منه ، ولم يزل على ذلك حتى مات . وقد روي أن المسيح لما أنزل من على الصلبوت ودفن ، أقام في المدفن ثلاثة أيام ، وكانت النساء المؤمنات يأتين لزيارته ، وحينما جئن في اليوم الثالث كعادتهن سبقتهن إحداهن إلى القبر فشاهدت المسيح قد قام على القبر ينفض التراب عن رأسه ولحيته ، ثم صعد إلى السماء وهي تنظر إليه فدخلت المدينة وأخبرت الناس بما رأته فسارع الخلق إلى القبر فلم يجدوا فيه أحداً ، ووجدوا أكفانه مطروحة على الأرض فوقع بالقوم الندم ، وكان أول النادمين على فعله يهودا قاتله .

وروي أنه قتل نفسه على القبر عندما رآه من المهبر ، وروي أن الأرض تزلزلت في وقت صلبه ثلاثة أيام فانطبقت عليهم حتى خاف الناس على أنفسهم من

---

(١) الذي : التي في ب

الهلاك ، وروي أنه ظهر لتلامذته بعد ذلك بجبل الزيتون ، وأنهم اجتمعوا إليه ، وقالوا : يا معلمنا لِمَ تحيي بدعائك كما رسمته لنا ، وكما كنت أنت تفعل وتحيي الموتى بدعائك ؟ فقال لهم : حقاً أقول لكم إنكم ما دمتم على ما قلته تكونون أبناء الأب كما كنت أنا ابنه ، كل ذلك يحثهم على إقامة الدعوة والتحذير من
/٢٧٢ الإختلاف ، وكان توما في/ ذلك اليوم غائباً عنهم فلما حضر أخبروه فأقر بلسانه ولم يصدق قلبه ، وأظهر أسفاً على لقائه ، واستعظم الأمر واستهاله ، ثم ظهر لهم ثانية ، ولم يكن توما معهم فأوصاهم بما أوصى ، ولما حضر توما أخبروه فاستعظم ذلك الأمر وأظهر الأسف ولم يصدق بقلبه ، ثم تراءى لهم في المرة الثالثة وكان توما حاضراً فأقبل عليه المسيح باللائمة فكان فيما قال له: يا توما إنك لم تقبل القول ، ولا صدقت إخوتك فيما أخبروك به ، ففزع توما من قوله ، ثم اعتذر وتاب .

ومما ضربه من الأمثال في قصة محمد (ﷺ) ووصاياه لأمته يحذرهم منه كما فعل موسى عليه السلام بقوله في التوراة لأمته ، وقد تقدم به في قصة موسى ، فأما قول المسيح لأمته كما تزرعون تحصدون ، وبالمكيال الذي كلتم على غيركم يكال عليكم ، ابن البشر وأنا أوصيكم بالبارقليط الأكبر إذ إن اسمه أحمد ، وبذلك أخبر الله عنه في التنزيل بقوله : ﴿ ... وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ... ﴾[1] ثم قال لهم : إني لم أدعكم يتامى بعدي بل يأتيكم البار قليط فيخبركم بمجدي ومجدي ، وما لم أذهب لا يجيء ، فعني بموته نسخ شريعته ، وقال : لا تتغافلوا فيأتيكم ابن البشر نعتبه ، وأنتم لا تشعرون ، وفي توقع ابن البشر مثل عذارى خرجن للقاء العروس ينتظرنها مع كل واحدة منهن سراج
/٢٧٣ يشتعل ، فخمسة منهن اعتددنا غير ما في سرجهن ، وخمسة ساهون عن/ الإستعداد ، وجلسن على قارعة الطريق ينتظرنها ، فلما تطاول بهن الأمر فني ما في سرج الساهيات ، فطلبن الإستقراض ، منهن ما بين عليهن ، فرجعن إلى بيوتهن يطلبن الدهن ، فعند رجوعهن جازت العروس فلقيها المستعدات ، ونظرن إليها

---

(١) سورة : ٦١ من الآية ٦ .

وفرحن برؤيتها ، ثم دخلت بيتها وأرخت سترها .

وجاءت الساهيات فوجدن ساهين ، وذهب صرحهن واجتهادهن لطلب رؤيتها ، وفاز المستعدات بالنظر إليها ومعرفتها ؛ كذلك أنتم لا تتغاقلون عن أبي البشر ، وفي ساعة أشغالكم يمر بكم وتبقون حيارى في تيه إخوانكم بني اسرائيل قبلكم ، عني به تيه الغفلة عن الحق ، وكانت الخمسة الذين فزن بالنظر إلى العروس هم الذين كان معهم علم من الكتاب فعرفنه عند ظهوره ، ففزن بالنظر إليه وبمعرفته ، والخمسة الساهيات أعني الملوك النافرين عن الحق في كل شريعة وزمان ، الحيارى في تيه الغفلة ، فيرجعون إلى التكذيب بأولياء الله ، ويعتكفون على الأصنام الطاغوتية فيردونهم إلى الرأي والقياس ، وينظرون عرفاً لا يعرفون له وقتاً .

وما ضيعت النصارى من وصيته أيضاً أنه أمرهم بالتولي لمن نصبه لهم والقبول ممن أصابوا ميراث المسيح ، وقال لهم : إن علامة ميراثي أنه لا يصاب إلا
/٢٧٤ عند من يعمل به كما كنت أعمل به ، وأنه لا يصاب عند المتشبهين في / الكذبة عليّ ، وعلى وصيي بعدي . فقالوا : كيف نعرف هؤلاء الكذبة المتشبهة ؟ قال : إنكم لا تجدون عندهم من ميراثي شيئاً ، واحذروا من يدّعي المسيحية ، وهم منها خالين ، فإذا أجبتم الوقوف على معرفتهم فانظروا إلى أفعالهم ، فإنكم تجدون ما ظهر منهم كالحمل الذي هو لين لمسه ، سلس القياد ، وما بطن منه كالذئب ، فإذا رأيتم مثل هؤلاء فطالبوهم بميراثي وميراث وحيي الذي ورثه عني ، فمن أصبتموه على منهاجنا فلا تخالفوه ، ومن لم تجدوا عنده شيئاً مما وصفته لكم علمتم أنه من الذين حذرتكم منهم ، وانظروا على تأسيس بيعتي على الهيئة التي رسمتها لكم ولا تستخبروا عنها فتضلوا ، واطلبوا من يقوم بها ، وبمعنى سرها ، فمن وجدتم ذلك عنده فاتبعوه ، وذلك أنه نصب بيعته على قوائم أربع ،وجعلها أمثال الأصول الأربعة .

وقد روي أنه لما غاب المسيح هرب وصيه ، ودفعوا ما خلف من كتاب وشريعة ، وذلك تجسدهم الوصي ولما وغر المسيح صدورهم به في وقت الوصية ،

فألفوا هذه الأناجيل الأربعة ، وإنما ألفوا فيها سير المسيح لما لم يصلوا إلى الإنجيل ، ولذلك نراها تصف ما عمل وتكلم به من العلم والحكمة ، والأمثال المضروبة التي وصفناها ، وما حققوه عنه ويوصيهم به في حياته ، وإنه لم يؤلف
٢٧/ كتاباً لأنه لم يكن له دار هجرة فيجمع فيها سيرته/ وكتابه وحكمته ، كما فعل نظراؤه ؛ وإنما ألف كتاب بني اسرائيل في ساحته ، وسلم إلى وصيه ، ولم يقع في أيديهم منه إلا ما أظهره الوصي في حياته ، ودفعه إلى القين ، فكان يقرأه عليهم بعد الصلاة ، ويجعل الحرام على ما أذاع منه شيئاً .

والكتاب الموافق كلامه عند شمعون كما قلنا وتأويله فلم يظهره لأحد ، وأنه لما حضرته النقلة دفعه إلى أفليمس إلى العبد الصالح ، وهو يحيى الأصغر بأمر الله ، وأنهم لم يزالوا يتوارثون ذلك خلف عن سلف كما تقدم من فعل نظرائهم إلى أن ظهر محمد (ﷺ) ، وأما الإنجيل المنزل من الأب الروحاني الذي فيه الأمر والنهي والتنزيل والتأويل ، وعلم الأولين والآخرين فهو مودوع عند أهله ، نقله السلف عن الخلف إلى أن يوصله إلى من يقوم به ويرزقه من يرزقه الله البلاغ إلى حقائقه .

وقد روي أنه ظهر على ترحاله القائم وهم الذين يعمرون دار هجرة المسيح ، وهو ما يروي الخاص عن العام أنه إذا قام القائم نزل المسيح من السماء فيصلي خلفه ، فهذا جملة ما وصل إلينا من معالم دين النصرانية ، فإن أشكل عليكم أيها الاخوان شيء من ذلك فعليكم بها دون كتابكم ، يكشفوا لكم عن حقائق ما خفي عليكم ، مما افترض عليكم الطلبة ، ولذلك يقول الرسول : « طلب العلم فريضة على كل مؤمن » وقد قال الله تعالى : ﴿ . . . وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1] وقال :
٢٧/ على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره . وأما الشريعة/ التي في أيديهم وهم قائمون بها ، فإنما أقامها لهم يونس عند غيبة المسيح سبعين سنة بعد الحيرة في تيه الغفلة على يد قيصر الملك ، ورفضوا ما كان عند شمعون إذ لم يصلوا إليه كما فعل ضلال أمة موسى قبلهم ، مما تقدم القول به ، وما فعله ضلال ملتنا من دفع الوصي وتأليف

(١) سورة : ٢ من الآية ٢ .

الكتب والشريعة ، وأما ما رسمه لهم شمعون من تأسيس البيعة بعده ، فإنه نصبها وجعل في وسطها هيكلاً ، ورفع درجتها على درجة الهيكل ، وجعل المذبح حامل الكتاب .

وجعل مقام الكتاب عليه وإنك متى عددت بيعته ودرجتها ، وهيكلاً ودرجته ، ومذبحاً وحاملهم ، ومن دخول الستة وحاملهم ، يصلون إلى السابع ؛ وأنهم لم يزالوا عالمين بذلك إلى أن جاء الجاثليق الذي ادعى ميراث شمعون والحواريين ، فطالبه المؤمنون بأن يقيم لهم على ذلك برهاناً يتمسكون به ، فلم يجدوا عنده مما طلبوه شيئاً فكفر به بعض واستتر وساح في البلدان ، وأمن به بعض فتكبر الكافرون على المؤمنين فشردوهم ، وهربوا في سائر الأقطار عندما رأوا سنة النبي والوصي قد غيرت ، وأحكامه قد بدلت ، كما فعل أهل الكهف وغيرهم ، وكان هذا الجاثليق وأحزابه من ولد العيص الذين هم أعداء بني يعقوب ، وأعداء أهل الديانات الذين كان ورثة المسيح مستودعة فيهم وسر وصية ؛ وهم من ولد
٢٧٧/ فارس ،/ فلذلك لم ينكر عليهم سائر الأمة ولا حسدوهم ، إذ كان الوصية فيهم ، والميراث وأنهم لم يزالوا على ذلك الإختفاء والإستتار حتى تم الأمر فيهم بجرجس ، وهو بحيراء الراهب ، وهو من ولد فارس ، وأن المؤمنين لم يزالوا يطالبون كل قائم قام وادعى الرتبة بمنزلة المسيح كما أوحى إليهم ، وإنهم من أصابوا عنده من ذلك شيئاً اتبعوه ، ومن لم يصيبوا عنده شيئاً رفضوا واستتروا عنه .

وكان الذين تصيبوا عندهم شيئاً من الميراث قل أو كثر فهم دعاة لأئمتهم ، وأن بحيراء الراهب لما قام بأمر الله ووحيه ، فرق دعاته في أقاليم الأرض كما فعل من تقدمه من نظرائه ، وقلد جزيرة العرب وهي مكة وما يليها لزيد بن عمر بن نفيل ، وكانت مكة دار هجرته ، إذ كانت موسم العرب ، وكان دعاته منتشرين في تهامة وجبالها ، وكان أبيّ بن كعب جناحاً بين يدي زيد بن عمر كما كان شمعون بين يدي امرأة عمران .

قصة نبوة محمد (ﷺ)

ولما بلغ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (ﷺ) أشده ، وقع في يد أبيّ بن كعب فدعاه إلى صاحب جزيرته كما فعل الكوكب بأبيه قبله ، وافتتن بخدمته كما افتتن أبوه بالكوكب ، فلما تكامل أمره واستوعب ما في وعاء أُبيّ رفعه أُبيّ إلى صاحب جزيرته ، وهو زيد بن عمر فعقد عليه إلى إمامه بحيراء صاحب الدور ، والإقرار بشريعة المسيح . وقد روي عن زيد بن عمر هذا أنه كان يدعو بمكة خفاء
٢٧٨/ وسراً حتى انكشف/ للعرب أمره فهجروه ونفوه عن مكة لمفارقته لأديانهم ، وكان لا يدخلها إلاَّ ليلاً فيصلي بها عند الليل .

وأنه لما عقد على محمد بدأ يكشف له عن الحق الذي جاءت به الأنبياء والأوصياء والأئمة ، فوقع في قلب محمد الإعجاب بما سمعه منه كما وقع بابراهيم الإعجاب بالقمر بعد الكوكب ، ووقع في قلبه أيضاً بعض الأوثان والأصنام ، وهو ما روي أنه أول من نظر في عيوبها ، وذلك لما سمعه من زيد هذا .

وروي أيضاً أن عمه أبا طالب سلم إليه لحم ذبائحهم التي كانوا يتقربوب بها إلى أصنامهم ، وقال له : إذ أمرك به أحد من قريش أعرض عليه من هذا اللحم ، وأن محمداً دفعه إلى مولاه زيد بن حارثة يحمله له ، فإذا مر به أحد من قريش عرض عليه من هذا اللحم فناوله منه ، فيتناول به ، وأنه مر ذات يوم بزيد هذا وهو خارج عن مكة قبل أن يتصل به فقال له : يا عم أما تأكل من هذا اللحم ؟ وكان شيخاً كبيراً . فقال : يا ابن أخي عساه من ذبائحهم هذه التي يذبحونها لأصنامهم ، فقال : أجل يا عم . قال له : يا ابن أخي ما أكله وسل

عمك أبا طالب ، وعماتك ، وبنات عبد المطلب عن هذا ، فبقي في قلبه منه شيء لم يقف على حقيقته ، فلما اتصل به علم حقيقة ما أشار إليه في عمه وعماته ، وأنه لما اتصل به بدأ بالإستقصاء عن ذلك حتى صح له من خبرهم ما صح ، وأنه لما
٢٧٩/ أوقفه على عيوب الأصنام ، قال : والله ما قربتها ، منذ عرفت خبرها ،/ ثم لزم زيد ابن عمر وهو مولاه ، وأقبلوا عليه بالسؤال عما جاءت به الأنبياء والأوصياء والأئمة ، وبما يتوجه به العبد إلى الله حتى استفرغ ما في وعاء زيد ، فعند ذلك رفعهما إلى إمام زمانه فأمره بإحضاره إليه كما أمر شعيب لبناته بإحضار موسى لما وقع في أيديهم ، بعد مفارقة العبد الصالح ، وهو ما روي عن عمه أبا طالب ، أنه سافر إلى الروم ، وكان من أمره ما يطول به الشرح إن تقصيناه .

ومما هو في أيدي العامة أن بحيراء أصلح لهم طعاماً وجمعهم عليه ، وذلك أنه لما أحضره وعمه عقد عليه عندما عرفه كما عقد شعيب على موسى عند معرفته به وجعله ، استأجره لنفسه وسلم إليه جزيرة العرب ، وأوصى عمه به وبكفالته ، والتسليم إليه ما عنده من ميراث ولد اسماعيل بن ابراهيم عند كمال أمره ، وأمره بستر أمره وصيانته من أعدائه ، والقيام بين يديه ، وأمره بقيام الدعوة إلى المسيح مدة أجله ، وهو ما روي عنه أنه صلى القبلتين وبايع البيعتين ، وكتب إلى زيد بن عمر بتسليم الجزيرة إليه ، والإنصراف عنها إلى الشام ، فقبل زيد بن عمر وسلم ورضي ولم يتعرض له ، إذ كان في يده علم من الكتاب ، ولذلك يقول حيث نزل عليه الروح وانصرف عن قبلة المسيح ، فلما قضى زيد بن عمر منها وطرا ، يعني
٢٨٠/ من الدعوة بها إلى تمام أمر الأول ، يعني القيام بشريعة المسيح/ والدعوة إلى متم زمانه ، يعني بحيراء ، وروي أنه لما خرج زيد عن مكة وأقام محمد الدعوة بها واشتهر أمره ، اجتمعت قريش على قتله كما اجتمعت على نفي زيد قبله ، وأن بني هاشم خرجوا له من مكة خوفاً عليه ، وأقاموا معه بالشعب سبع سنين ، وذلك لما كان فيهم من المعرفة به ، والأمر الذي كان متوارثاً فيهم من قيدار إلى ظهوره ، فعند ذلك بذلوا مهجهم وأنفسهم بين يديه .

وهو في كل يوم ينشر الدعوة إلى المسيح ويشير بالأبطحي التهامي وقدومه ، وأنه كان يقول لأهل اجابته عند ضعف يده ، من لم تكن له عشيرة تمنعه فليفر إلى أرض الحبشة ، وروي أنه هرب من تهامة إلى أرض الحبشة خمسة وسبعون رجلاً وامرأة ، وأنه لم يزل على ذلك إلى أن تم الأمر وقضي الأجل ، فعند ذلك أوصى الله إلى بحيراء بتسليم الأمر إليه ، وهو ما روي أنه كان بالشعب وكانت العرب قد اجتمعت مع قريش وكتب بينهم كتاباً وعلقوه بالكعبة على أنهم إن ظفروا بمحمد قتلوه ، وأنهم لا يدعون أحداً من بني هاشم ، ولا من انطوى إليهم واستجاب إلى دعوتهم يدخل عليهم ، ولا يبايعونهم ولا يوكلونهم ولا يشاربونهم ولا يناكحونهم ، ولا يتناكحون منهم ، ولا يسلمون إليهم محمداً فيقتلوه .

وروي أنه رأى في منامه عند تمام أمره أن الله سلط على صحيفتهم المكتوبة
٢٨١/ بينهم/دابة الأرض فمحت ما فيها من العقود ، وترك اسم الله الأعظم .

وأصبح النبي فأعلم عمه بما رأى وكتب لوقته إلى قريش وأعلمهم بما كان من رؤياه ، وقال لهم فيما قاله إن يكن الأمر على ما وصفه فإلى متى تدومون على العقوق ، وإن لم يكن كما وصف سلمته إليكم فإن لم يكن عنده صحة ويقين لذلك كيف يطمئن لهم ويشرط على نفسه هذه الشروط ، ولكن الخلق عموا عن معرفة أولياء الله جهلاً منهم بذلك ، وأن القوم تواصوا على ذلك ، وأخرجوا الصحيفة بمحضر من رسله وجماعة سادات قريش وسائر ملوك العرب ، فأصابوا الأمر كما وصفه محمد .

وعند ذلك رجع أبو طالب وبنو هاشم إلى مكة وسافر بحيراء إليه وجمع تلامذته وأهل المعرفة والبصيرة بالعلم ، وسلم إليه بمحضر منهم ، وأشهد عليه ، وعلى نفسه بالتسليم ، وسلم حججه وحواريوه وأسبابه ، وعقد عليه كما عقد شعيب على موسى حين زوجه بابنته .

ومما روي أنه قال : أقمت مع جبرائيل سنتين . عني به بحيراء الذي جبره ،

وأقمت مع ميكائيل عشرين سنة عني عمه الذي كفله . وفي رواية أخرى جبرائيل هو أُبيّ بن كعب الذي عقد عليه ، وميكائيل بحيراء الذي سلم إليه ، ثم أمر عمه أبا طالب بتسليم الأمر المستودع فيهم من قيدار ، وناهيك إليه .

قصة محمد (ﷺ) في الجسماني والروحاني

/٢٨٢ وقام محمد (ﷺ) بأمره لله ، / وجمع دعاته الماضين وحججه ، ونصب من نصب منهم بين يديه ،وأنه أخذ أُبيّ بن كعب فجعله نقيباً من نقبائه ، وكان يرفعه على حججه ، ويقول لهم : أُبيّ أقرأكم ، يعني أنه كان يقريني بالعلم والحكمة ، كما أن أحدكم يقري ضيفه بالطعام والشراب ، وإنما كان هذا الخطاب بحججه ، فذهب العامة إلى ما ذهب إليه من القراءة ، وإنما عني أنه كان يقريه بالحكمة التي هي حياة الأرواح ، كما يقري أحدكم ضيفه بالطعام والشراب الذي به حياة الأجسام ، وكذلك إنما كان يقال عن أبي بكر أنه كان يخرج إلى قبائل العرب ويعرض نفسه عليهم ، وإنما كان يقع على أهل إجابته بأن نصبه حجة ، وأنه فوّض إليه أمره ، ثم إنه أحيا سنة أبيه ابراهيم واسماعيل المتروكة ، وهو ما روي أن أباه اسماعيل بن ابراهيم لما مات في حياة أبيه ، وإنما كان موته إسكاته كما كانت مرتبة هارون لما مات في حياة أخيه ، مدخرة لولده مستترة في يوشع بن نون ، وكذلك اسماعيل بن جعفر لما غاب في حياة أبيه بعد تسلم الأمر منه كانت مدخرة لولده مستقرة بحجته التي نصبها له ، وأن رسول الله (ﷺ) لما قام بمكة التي هي هجرة دار أبيه اسماعيل دعا العرب الذين هم منسوبون إلى أبيه ، وإنما كانوا مشردين عن ولد اسحق والعجم ، ونافرين في البراري ، ويطوفون حول بيت
/٢٨٣ أبيهم ، وكذلك كان دعاتهم/ مشردين معهم ، ولذلك كان الخلق يسمونهم سحرة وكهنة ، ولم يعلموا سر الله كيف يجري في أوليائه .

وأن محمداً أخذ الطيور الأربعة كما فعل أبوه ابراهيم ، فوزعهم في جزائر

الأرض يأمرون الجبال بإقامة الدعوة باسمه ويخبرونهم برجوع الأمر إليه ، ولم يزل على ذلك إلى أن اختصه الله بإجابته اثني عشر رجلاً من الأنصار ، وهم أهل بيوت ، فردهم إلى المدينة ، وأمرهم بإقامة الدعوة إليه ، فأجابهم سبعون رجلاً وامرأة فكاتبوه بذلك ، فأمرهم بإحضارهم إليه ، فأتوا بهم ؛ وأنه خرج إليهم فتلقاهم بالعقباء ليلاً ، فعقد عليهم بنفسه وردهم إلى مواضعهم وأمرهم بإقامة الدعوة إليه ، وضم من يأتي إليهم من المهاجرين ونصرتهم ، وأنه لم يزل على ذلك حتى أتاه التأييد وقوي أمره ، فأنزل الله عليه ﴿ وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ ﴾[1] فدعا أهل إجابته وعشيرته فجعل له نصرتهم ، ثم دعا سائر العرب إلى ملة أبيهم ابراهيم المتروكة ، وذلك لقول الله ﴿ ... مِلَّةَ أَبِيكُم إِبراهِيمَ هُوَ سَماكُمُ المُسلِمِينَ ... ﴾[2] الآية .

وقد تقدم القول به ، ثم دعا سائر الأديان المختلفة إلى شريعته عندما ألف الشريعة ونسخ شرائعهم ، وحصلت مكة التي كانت دار هجرة أبيه دار ضده ، لما كان الضد السابق إليها ، ونصب أوثانها فيها ، وأصنامهم عليها ، وكانت دعوتهم
٢٨٤/ قائمة فيها ؛ وهو ما روي عن/ ابن عباس أنه قال : كان الناس في الجاهلي يتحالفون ويتعاقدون بالإيمان ، ويتوافون ويقول بعضهم لبعض : أنت أخي ، ودمك دمي ، ومالك مالي ، وأنه من مات منا ورثه أخوه ، ومن قتل طلب أخوه دمه .

وانهم لم يزالوا على ذلك إلى أن ظهر الإسلام ، فأخفوا ما كانوا عليه ، فلما أنزل الله على نبيه : ﴿ إنما المُؤْمِنُونَ إخوَةٌ ... ﴾[3] فواخى بين أصحابه ، فرجع الناس إلى ما كانوا عليه ، فلما أنزل الله عليه ﴿ ... وَأُولُوْا الأَرحَامِ بَعضُهُم أولى بِبَعضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ... ﴾[4] فورث النسب دون السبب ، ثم أنزل الله عز وجل ﴿ وَلِكُلٍ جَعَلنَا مَوَالي مِمّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأقرَبُونَ وَالّذِينَ عَقَدَتْ أيمانُكُم فَآتُوهُم نَصِيبَهُمْ ... ﴾[5] فورث إخوان الدين مع السبب ، وجعل للموالي في

(١) سورة : ٢٦/ ٢١٤
(٢) سورة : ٢٢ من الآية ٧٨
(٣) سورة : ٤٩ من الآية ١٠
(٤) سورة : ٨ من الآية ٧٥ و٣٣ من الآية ٦
(٥) سورة : ٤ من الآية ٣٣

الدين نصيباً في أموال إخوانهم ، وأنه لما هاجر إلى المدينة وكان أهل مكة وسائر العرب يأتونه أفواجاً فيأتي الرجل فيؤمن وتبقى زوجته ، وتأتي الامرأة فتؤمن ويبقى زوجها ، فكتب إليه العرب ردوا إلينا نساءنا ، وخذوا نساءكم وإلاً نكحناهم .

فعند ذلك أنزل الله على نبيه ﴿ يا أيها الذين آمَنُوا إذا جَاءَكم المُؤمِنَاتُ مُهاجِراتٍ فَامتَحِنُوهُنَّ اللهُ أعلَمُ بإيمَانِهِنَّ فَإنْ عَلمتُموهُنَّ مُؤمِناتٍ فَلاَ تَرجِعُوهُنَّ إلى الكُفارِ . . . ﴾[1] الآية . فعند ذلك أمر رسول الله أهل إجابته بالمقاسمة وبالمواساة
٢٨٥/ والمساواة ، فعند ذلك توارث الناس بالهجرة ، وكان أهل المدينة يواسون/ من هو دونهم في الدرجة ، ويقاسمون من هو معهم في الدرجة ، ويؤثرون من هو فوقهم ، ولذلك مدحهم الله بقوله : ﴿ . . . وَيُؤْثِرُونَ عَلى أنفسهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[2] .

ورجع إلى ما كنا فيه من قصة محمد (ﷺ) فنقول : إنه لما تسلم من بحيراء ومن عمه وأنزل عليه : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[3] ودعاهم فأجابه أصحاب العلم الأول كما قلنا ، ومن بيده معرفة علم ، فلما قوي أمره ، وعلت حجته ، دعا سائر الخلق ، أما العرب فدعاهم إلى ملة ابراهيم المتروكة كما قلنا ، وأما العجم فإلى شريعته التي نسخ بها ما في أيديهم من الشرائع وكشف نفسه ، وقد كان يقول لمن أجاب دعوته من لم تكن له عشيرة تمنعه ، يعني دعاة تمنع عنه أذى المخالفين ، فلينفر إلى أرض الحبشة ، وليس للمسلم أن يقيم بأرض مذلة ولا بموضع يلعن فيه على دينه ، وأنهم لما خرجوا إلى أرض الحبشة وجاؤوا ليحملوا عيالهم فمنعهم على ذلك وقال لهم : إن مقامكم بها قريب ، وكان مسيرة أرض الحبشة شهر في البحر وهي دار شرك بالفرار من أرضهم وقرارهم ، ودخلوا طاعة له وأعلمهم بأنها أرض معصية ودار مذلة ، وأنهم لم يكن عليهم فيها خيانة حبة من درهم ، ولا يحكم في الأموال والدماء ، والفروج ، والإستعباد .

---

(١) سورة : ٦٠ من الآية ١٠
(٢) سورة : ٥٩ من الآية ٩ .
(٣) سورة : ٢٦/ ٢١٤

٢٨٦/ ولكنهم فعلوا تسليماً لأمره ، فرضوا بمفارقة/ الأموال ، والدماء ، والفروج ، والإستعباد ، ولكنهم فعلوا إلى الأولاد والعشائر والأشياء ، ما لو تقصيناه لطال الشرح به ، وذلك أنه لما اختص بالرسالة كما قلنا دعا علياً وهو لا يزال صبي صغير ، وخديجة . فكان هذان أول من أجابه من عشيرته ، وكان يجمعهم ومن معه من المؤمنين فيخرج لهم ليلاً فيصلي بهم عند الميت ، كما كان يفعل أبوه زيد ، وكان كل من أجاب دعوته يأمرهم بالمسير إلى المدينة ، وكان يكاتب دعاته بها بالمحافظة على من أجابهم، وبمن جاهر إليهم .

وكان من فعلهم به ما تقدم القول به ، وهو الذي كان يقول فيهم ، رحم الله الأنصار وأنصار الأنصار وموالي الأنصار، ولو سلك الأنصار شعباً لسلكته ، فكان الأنصار الذين عناهم حججه وأبناؤهم دعاته ، وأنصارهم المأذونين ، ومواليهم المؤمنين ، وهم الذين كان أطلق لهم الميراث كما قلنا ، فهؤلاء أنصاره ، وإلا فكيف يقول مثل هذا القول في من لا تجوز شهادته على صاع من تمر ، وأنه (ﷺ) لما كثر أنصاره وعمرت أنصاره هاجر بنفسه إلى المدينة فنصبها دار هجرته ، وأقام بها دين الله وأحكامه كما فعل من مضى من قبله ، وجمعهم وجاهد بهم عدوه ، فبتلك القوة والبيان كانت لهم العزة ، وظهروا على أعدائهم ، وبذلك أثنى الله عليهم في كتابه بقوله : ﴿ وَالذينَ تبوّأوا الدَّارَ . . . ﴾[1] .

٢٨٧/ والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في/ صدورهم حاجة علم آخر ، مما أوتوا من العلم والحكمة ، وأنه لم يزل على ذلك معهم إلى أن أنزل الله عليه القرآن على رأس ثلاث سنين من نبوته ، فصار ناطقاً بعد أن كان داعياً ، فألف الشريعة ونسخ بها ما تقدمه كما قلنا ، وحول القبلة ، وهو ما روي أنه كان يصلي بهم إلى الشرق ، هو قال حتى نزل عليه : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ في السَّماَءِ فَلَنُولِيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسْجِدَ الحَرامِ . . . ﴾[2] .

وانتقل بهم نحو البيت ، فلما جلس وسلم تسليمة واحدة ، وهي التي عقد

(١) سورة : ٥٩من الآية ٩

(٢) سورة : ٢ من الآية ١٤٤

القوم عليها فسألوه عما حدث ، قيل قرأ عليهم هذه الآية ، التي أنزلت عليه ، وهي ما روي عن بحيراء الراهب أيضاً أنه قال متى تسلم محمد مرتبة ولد اسحق ورجع الأمر إلى ولد اسماعيل بن ابراهيم .

وروي أنه قال : إذا جاء الإثني عشر من هذا الوجه وأشار بيده نحو المغرب فعند ذلك يطوي الكتب المنزلة ويظهر سرائرها ، ويرجع الأمم على كلمة واحدة يقوم بها رجل واحد ، ويجمع الملل والأديان إليه فيجمعهم على دين واحد ، وأنه لما نصب دار هجرته وألف شريعته ، أقام سنة أبيه ابراهيم ، فأقام أحكام الشريعة وحدودها ، وهو الإنتصار للمظلومين من الظالمين ، وقطع السارق ، وجلد الزاني ، وأخذ حقوق الله من حلها ووضعها في أهلها ؛ فتسامع الخلق به ، ويرجع
٢٨٨/ من شرد عن البلد من المؤمنين ، وكاتبوا إلى / أرض الحبشة فتراجعوا إلى دارهم ، وصارت المدينة دار منعة ، بحيث لا يجوز عليهم فيها ظلم ظالم ، ولا يملكهم عليهم باغي .

واطمأنت نفوسهم بعد التوحش ، وسكنت بعد المنافرة . فلذلك شربت قلوبهم محبته ، ثم أتاهم بالبراهين التي أعجز بها عقول العالم فرجع إليه من نفر عنه من الكفار ضرورة ، وهم كفرة فجرة ، وكان من أتاه من المؤمنين أن قويت أيدي المؤمنين وضعفت أعداؤهم ، ولذلك يقول الله : ﴿ وَللهِ يَسْجُدُ مَن في السَّموات وَالأرض طَوعاً وكرهاً . . . ﴾[1] لما تحقق عندهم من العلم الأول وأطاعه المنافقون كرهاً ، فعند ذلك هاجر بالمؤمنين إلى مكة ، ففتحها وكسر أصنامهم ، ورجع إلى بيت أبيه ، ونفى ضده منه .

وكان من أمره ما جرت به السير مما يطول شرحه إن تقصيناه ، وقد كان يقول لمن فر من أرض الحبشة ، وطلب العزة في غيرها : « الفارون بدينهم يحشرون مع عيسى » ولزمنا العمل بما أمرنا به ، ومن ذلك قول الله : ﴿ . . . أَلَمْ تَكُنْ أرضُ اللهِ وَاسِعَةً فتُهَاجِرُوا فيها . . . ﴾[2] ثم استثنى من لا يقدر النهوض بقوله ﴿ إلاَّ

(١) سورة : ١٣من الآية ١٥
(٢) سورة : ٤ من الآية ٩٧

المُستَضعفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّساءِ وَالولدانِ لاَ يَستَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يهتَدُونَ سَبيلاً ﴾[1] . فعذرهم وجعل لهم من الأجر ما للقوي المجاهد وقال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ، ولا سلطان عليكم أشراركم فتستغيثون بأخياركم ولا تغاثون »/ . ٢٨٩/

وقال : « لا قدست أمة لم تنتصف لمظلومها من ظالمه » وقال : « إذا هابت أمتي أن تقول لظالمها يا ظالم فقد تبرأ الله منها » وقال : « لا تزال يد الله على هذه الأمة ما لم يعظم أبرارها فجارها فإذا فعلوا سلط الله عليهم سوء لعنتهم ، وألزمهم الذل والفقر والفاقة » . وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وقال : « الفارون بأديانهم يحشرون مع عيسى بن مريم » . ثم يصدق ذلك أن أهل الكهف لم يكونوا أئمة ولا رسلاً ، وإنما كانوا مؤمنين بالغيب فلما رأوا سنن آبائهم قد غيرت ، وأحكامهم قد بدلت ، فردوا بأديانهم من الظلم وأهله .

ولما علم الله من نياتهم ما علمه اثنى عليهم في كتابه ، وسترهم عن أعين أعدائهم ، ولهذا الخطاب من الباطن ما يقربه إلى أعين المؤمنين ، وإنما جعلنا هذا الخطاب حجة على من أنكر أئمتنا وفرارهم من بلد إلى بلد ، وقال في الإمامة برأيه وقياسه كما فعل ضلال أمتنا المسلمين ، وحملوا الحق على أهوائهم فردهم الله على أعقابهم بقوله لنبيه : ﴿ ... إنَّمَا أنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[2] وذلك لما لم ينصب دار هجرة يلجأ إليها ويستر بأتباعه من اليهود الذين كانوا يطلبونه ، وكان يهرب بهم من موضع إلى موضع ، وأمر مستجيبيه بالستر والإختفاء حتى لم يصب منهم في وقت الكائنة ناصر ، ألا ترى إلى وصيته لهم بالستر والكتمان ، بقوله :
٢٩٠/ « من لطم خدك الأيمن فاعطه الأيسر ومن أخذ/ ثيابك فاعطه الأخر » .

وكان يوصيهم بهذا صيانة لهم ويأمرهم بالفرار من أعدائهم ، والستر في بلد لا يعرفون به ، وهو يسيح لطلب دار هجرة يلجأ إليها لينتصف لهم من ظالمهم ،

(١) سورة : ٤/ ٩٨

(٢) سورة : ١٣ من الآية ٧

وأنه بقي على ذلك حتى رفعه الله إليه ، ولا رأينا نبياً ولا وصياً ولا إماماً أمرنا باتباع الظلمة ، ولا بالوقوف تحت رأيهم ؛ فهذه الأنبياء والأوصياء ، وأنهم لم يجردوا سيفاً إلا بعد اتخاذهم دار هجرة ، وإقامة الأحكام . فكيف بهذه الأمة المنكسرة للأحكام المدعية للإسلام ؟ وموافقتهم من المدعين للتشيع الذين رأوا تجريد السيف على عترة نبيهم المقرونين بكتاب ربهم بينهم المعروفين بكتاب ربهم ، ولم يعلموا كيف جرى سر الله في أوليائه ولا كيف يكون ظهورهم بعد الغيبة ونسوا قول الله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنَ بَعدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرضَ يَرِثُها عِبادي الصَّالِحُونَ ﴾[1] .

والذكر هو الرسول وهو قوله : ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيكُم ذِكراً . رَسُولاً يَتلُواْ عَلَيكُم آيَاتِ اللهِ مُبينَاتٍ . . . ﴾[2] ولم يعرفوا هذه الآيات التي يتلوها علينا بل أجلوهم عن ديارهم وشردوهم في أقطار الأرض ، وقسوا حظاً مما ذكروا به فإن الله لما أمرهم بالرجوع إلى ديارهم رجعتم إليهم بالعداوة والبغضاء ، وأنتم تدعون بأنكم أنصارهم ، ونسيتم قول الله عز وجل : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الذِينَ
٢٩١/ استُضْعِفُواْ فِي الأرضِ وَنَجعلَهُم أيمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ / الوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرضِ وَنُرِيَ فِرعَونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُما مِنهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[3] .

أليس هذا الخطاب فعل مستقبل وعد به الرسول ، فانظروا أيها الشيعة أي قوم تكونوا في الناقور ، وفار التنور ، وقد وصاكم الله بقوله : ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلى الذِّينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسكُمُ النَّارُ وَمَا لكُم مِن دُونِ اللهِ مِن أولِيَاءَ ثُم لاَ تُنصرونَ ﴾[4] وقوله : ﴿ إنَّ الّذِينَ تَوفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالمِي أَنْفُسِهِم قَالُواْ فِيمَ كُنتُم قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُواْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعةً فَتُهَاجِرُواْ فِيْهَا فأُولئِكَ مَأْوَاهُم جهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصيراً . إلاَّ المُستَضعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَالوالدَانِ لاَ يَستَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يهتَدُونَ سَبيلاً ﴾[5] وقال : لأهل القوة منكم والإقتدار :

(١) سورة : ٢١/ ١٠٥
(٢) سورة : ٦٥/ ١٠-١١
(٣) سورة : ٢٨/ ٥ ، ٦
(٤) سورة : ١١/١١٣
(٥) سورة : ٤/ ٩٧ - ٩٨

﴿ قُلْ إن كَانَ آباؤُكُمْ وأبناؤُكُم وَإخوانُكُم وَأزواجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وأموالٌ اقتَرَفتُمُوها وَتِجارَةٌ تخشونَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرضَونها أحَبَّ إلَيكُم مِن اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتى يَأتي اللهُ بِأمرِهِ . . . ﴾[1] أليس بهذا اليوم وعدكم ؟ أليس قد نهاكم عن التفرق في الدين ، وأوصاكم بأن تكونوا قائمين بالقسط ولو على أنفسكم ، وتكونوا مع الصادقين بعد البقاء ؟ أليس أمرتم بالمقام مع أئمتكم حيث كانوا ؟ وقد علمتم أن هذه الفرائض لم تنسخ شيئاً من آي القرآن . فمن أين صار ذلك غير لازم لكم ؟ أليس كل خبر نجمع عليه نحن وأنتم حجة علينا وعليكم ؟
٢٩٢/ أليس قال رسول الله إن المعاصي ما دامت في السر فإنها تخص صاحبها / بالعقوبة ، فإذا ظهرت بين قوم ولم يغيروا أعمهم بعقابه ، ورجعوا إلى العدم ، ووافقوا العامة في فعلهم ؟

---

(١) سورة : ٩ من الآية ٢٤

القول في الرد على من أنكر إمام الزمان

إن الذين آدعوا في أئمتهم ما آدعته النصارى في عيسى حيث جعلوه إلهاً ، وخالوا بأنه أُنزل من السماء لخلاصهم ، وليربط الشيطان ، ويزيل الخطيئة في وقته ، لم تزل والشيطان أعلا ما كان ، وهل فعل ما فعل من قتله وصلبه إلاَّ الشيطان . وأنهم لما طال انتظارهم له ، أي لم ينصب لهم دار هجرة ، ولم يزيل عنهم كيد عدوهم ، باعوه من اليهود بزعمهم ، وتفرقوا بعده وصاروا شعوباً وقبائل ، وألفوا كتاباً وزعموا أنها سيرته كما تقدم القول به ، كذلك الشيعة الذين غلوا في علي وآدعوا فيه ما آدعت النصارى في عيسى ، فقالوا بأنه لم يلد ولم يولد ، وآدعوا في الحسن والحسين أنهما ولدا الأزور بن قيس فكشفوا شيئاً لا يجوز كشفه ، وما استحل الظالمون منهم ما استحله شيعته بزعمهم ، أليس شيعته لما طالت أيديهم عملوا في قتله ؟ أليس لما قام الحسن من بعده نافقت عليه وأرادت قتله حتى هرب عنهم من العراق إلى حرم جده ، وآدعت عليه بأنه باع الخلافة من معاوية افتراء عليه ؟

ولما جاء الحسين بعده آدعوا فيه ما آدعته النصارى في المسيح ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، وكاتبوا شيعته بزعمهم ، فلما دخل إليهم باعوه من عدوهم
/٢٩٣ بعرض الدنيا ، وقعدوا عن نصرته ، وكان/من أمره وأمرهم ما قد علمتموه . ثم إنهم ندموا على ذلك فرجعوا إلى البكاء والنواح ، واتخذوا لأنفسهم مساجد وسموها مشاهد ، وليس فيها حجة على خلقه شاهداً عليهم ، فأي مصيبة أعظم مما ارتكبوه فيهم ، فنقول والله الموفق جل اسمه .

أليس نحن وأنتم متفقون أنه لا بد من إمام بر وفي نقي ، عالم بما يحتاج الخلق إليه ، جامع لأمورهم ، قائم بدينه ، حافظ لأهل الحق ، معروف باسمه ونسبه في كل عصر وزمان ، من أهل بيت الرسول مستغن عن الخلق ، والخلق محتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم ، وحلالهم وحرامهم ، وفرائضهم وأحكامهم ، وإقامة العدل فيهم كفعل من مضى من الأنبياء والأوصياء ، والأئمة في القرون الخالية المتقدم ذكرها .

واجتمعنا أيضاً نحن وأنتم على الخبر المأثور عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ففرقة ناجية وسبعون هالكة ، وهم الهراب بأديانهم ، العارفين وقت الفترة ، الصابرين على البأساء والضراء ، والدعاة إلى دين الله سراً » . والسبعين فرقة بطنهم الله بسترهم ، فمضى منهم سلف فإلى رضوان الله ، وإن أقام بعدهم خلف أقام على حكم الله إلى أن ظهر عيسى فسلم إليه العقب الذي ظهر فيهم ، وهم الذين أثنى الله عليهم ، بقوله تعالى : ﴿ وَمِن قَومِ مُوسَى أمةٌ يهدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلُونَ ، وَقَطَعنَاهُمُ اثنَتَي عَشرَةَ أسباطاً
٢٩٤/ أمماً . . . ﴾[1] ﴿ . . . وَأَوْحَيْنَا إليهم فِعلَ الخَيرات ، وإقَامَ الصلاةِ وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ/ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ . . . فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسرائيلَ وَكَفَرت طَائِفَةٌ فَأَيدنَا الذينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوهِم فَأَصبَحُوا ظَاهِرينَ ﴾[3] . وافترقت أمة عيسى على اثنين وسبعين فرقة ، فرقة ناجية وإحدى وسبعون هالكة ، وهم الهراب بأديانهم خوفاً من شياطين الإحدى والسبعين فرقة ، وشياطينهم في أطرافهم كفرار أهل الكهف من شياطين زمانهم ، وهم الذين اثنى الله عليهم في كتابه بقوله : ﴿ وَإذَا يُتلَى عَليهم قَالُوا امَنَّا بِهِ إنَّهُ الحَقُّ . . . ﴾[4] وإنهم لم يزالوا خلف بعد سلف صابرين على ما أصابهم ، إلى أن ظهرت فسلموا إليّ ، ولذلك يقول فيهم : ﴿ . . . بأنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ

(١) سورة : ٧من الآية ١٥٩
(٢) سورة : ٢١ من الآية ٧٣
(٣) سورة : ٦١من الآية ١٤
(٤) سورة : ٢٨ من الآية ٥٣

وَرُهبَاناً وَأَنهُم لاَ يَستَكبِرُونَ ﴾[1] فوالله ما استكبروا بل سلموا .

ثم قال ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فاثنتان وسبعون فرقة هالكة وفرقة ناجية ، وهم الهراب بأديانهم المعتكفين على أئمة زمانهم ، منهم مشردون من شياطين بني أمية وولد العباس ، في أطراف الأرض داخلين في كهف التقية منتظرين الفرج إلى أوان المدة ، وانقضاء الفترة ، ولذلك يقول الله فيهم : ﴿ . . . فَأْوُاْ إلى الكهفِ يَنشرُ لَكُم رَبُّكُم منْ رَحمَتِهِ وَيهَيِّءْ لَكُم مِن أمرِكُم مِّرفَقاً ﴾[2] .

ووعدهم بالفرج وخروجهم من الكهف عند تمام الأمر ، سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، فلما كثر اختلاف الخلق فيهم قال لنبيه : ﴿ . . . قُل رَّبِي أعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ . . . ﴾[3] .

/٢٩٥ وهي التي تلتقي الإثنين والسبعين / على بعضها وتطلبها في الأقطار ، وتشردها عن الديار ، وقد قال (ﷺ) : « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » . فدل في القولين جميعاً أن سائر من انتحل دين الإسلام مثل المعتزلة ، والمرجئة ، والحشوية ، والخوارج ، وسائر الشيعة ، أنهم خارجون عن أمة محمد المطلوبين المشردين ، وأن كل فرقة من هؤلاء الفرق اتخذوا أرباباً من دون الله ، وحرفوا كتاب الله ، وقالوا فيه بآرائهم وقياسهم ، واتبعوا هوى قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً ، وأضلوا عن سواء السبيل .

واتبعت ما تقدم به القول في النصارى فصح فيهم قول رسول الله لتركه سنن من كان قبلكم ، وذلك غيروا فعل من كان قبلهم ، وزالوا عن حدود مناسكهم ، وخالفوا ونقضوا عهدهم افتراء على الله ، وتكذيباً لقول رسول الله ، وزعموا أنهم

---

(١) سورة : ٨٢/٥

(٢) سورة : ١٨ من الآية ١٦

(٣) سورة : ٢٢/١٨

باختلافهم مصيبين ، واحتجوا فيه ، وأكدوا الأخبار به ، فلما اعلنكس الظلام ، وتغطى النور ، وتغير الإسلام تاهوا في حيرة الجهل والطغيان ، فعند ذلك خروا للعجل سجداً ، وصاروا إلى أمر أعدائه ، وقالوا هذا إلهنا وإله من تقدمنا ، وأباح من الذرية حماها يضيق عليها فضاها ، ووازر من كان يرمق النبي شزراً ، وأظهر له العداوة في حياته ولولده بعد وفاته ، فأخاف عترته ، وعلي على منبره ، فصاروا قضاة أزمانهم ، وقالوا بآرائهم وقياسهم ، فكيف يكونون لهؤلاء الأمة أئمة ؟ أم
٢٩٦/كيف يكون هؤلاء لهم أمة ؟ كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً / بعيداً .

ثم رأيناكم معشر الشيعة ركبتم آثارهم ، وعملتم بالرأي والقياس مثلهم ، وافترقتم شعوباً وقبائل يكفر بعضكم بعضاً، وقد وصف الله المؤمنين بغير ما أنتم عليه بقوله : ﴿ إنما المؤمنون إخوة . . . ﴾[1] وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا . . . ﴾[2] الآية .

ورأينا المتقدمين منكم بايعوا عليا فلما اظهر الغيبة عكفت النصيرية عليه ، وقالت إنه لم يمت ولا يموت ابداً ، وادعت فيه ما لم يدعه لنفسه لقولهم إنه لم يلد ولم يولد ، وجعلوا الحسن والحسين ولدا الازور بن قيس ، فأي فرية على الله ورسوله وعترته أعظم من هذه ، ثم قعدوا عن نصرة ولده من بعده ، وطلبوا قتلهم كما قتلوا أباهم قبلهم حتى خرجوا هاربين من حرم جدهم ، ودخلوا كهفهم ، وغلبتهم الفراعنة ، وفار نارهم ، واستتر دين الرحمن ، وهاج أهل الكفر والطغيان ، وطاف النصيرية عليه ، ثم قام الحسين فاقام منار الدين ، وبث دعاته في الأرض ، وكاتب أهل جزائره وفشت دعوته وفعلتم فيه ما الله طالبكم به ، وما ربكم بظلام للعبيد .

ولما وقعت به النقلة دعا الحسين إليه ، وسلم بمحضر من دعاته ، وفعل فعل من تقدمه . وقد اتفقنا نحن وأنتم على الحسين بأنه وارث العلم والحكمة ، وباب الدين والرحمة ، فأقام في حرم جده قائماً بدينه وكاتب حججه ، وأطلق دعاته ،

(١) سورة : ٤٩ من الآية ١٠
(٢) سورة : ٤٩ من الآية ١٥

٢٩٧/ وكان من أمره ما قد علمتموه بالكوفة ، وأنهم بايعوه/وتقلدوا عهده ، وأنه لما سار إليهم ، وجاء إلى كربلاء كاتبهم فقعدوا عنه ، فترك عسكره ودخل الكوفة ليلاً ودار عليهم ، وذكرهم بعهده وبيعته ، فمنعوه أنفسهم ، وباعوه من ضده، وفعلوا فعل النصارى قبلهم ؛ فأي مصيبة أعظم على الإسلام من هذه المصيبة ، وأي عارض أفظع مما فعلوه فيهم ؟ فغيب شخصه ، وكانت ذلك محنة أولياء الله ، ونقمته على أعدائه .

ولما وقع به ما وقع وقع بهم الندم كما وقع على النصارى قبلهم ، فرجعوا بعده إلى عبادة الأصنام ، ونصب شخصه المذموم ، واتخذوا القبور مساجد ينوحون فيها على أنفسهم فعل النصارى قبلهم ، فإذا كانوا عندهم يبكون عليهم ، فبمن تأتمون ، وإلى من ترجعون في أحكامكم ، وفي حلالكم وحرامكم ، وفرائضكم المفروضة عليكم . ثم تمسكت طائفة منكم بمحمد بن الحنفية ، وادعت له منزلة لم يدعها لنفسه ، وهو أطهر نفساً ، وأزكى روحاً ، من أن يدعي ما ادعيتموه له .

ولقد أتى في حياته من الهند رجل يسمى كنكر ، وكان من خلصاء شيعته ، فسأله عن الإمامة هل هي فيه أو في غيره ؟ فدله على علي بن الحسين (ع) ، فسار الهندي إلى داره فقرع الباب ، وهو ممسك في أمره فناداه علي من داخل الباب افتحوا لكنكر الهندي ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، هذا هو الإمام حقاً حقاً عرفني من قبل أن يراني ، وسماني قبل أن أسمى له ، فأحادت الطائفة الحق عن أهله ، وعملوا
٢٩٨/ بالرأي والقياس كفعل الفرق الخالية ، والقرون الماضية ؛/ ولما غاب عن الدار دعوا فيه أنه بجبال ، فرأوا شخصاً مذموماً أفضل من الإمام المفترض الطاعة ، وأعظموا الفرية على الله وعلى أوليائه ، وجاؤوا ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ثم رجعوا إلى عبادة المعدوم فعل من تقدمهم من الفرق المتقدم ذكرها ، وها نحن نوفيه حقه ، وننزله بمنزلته ، فمن أولى بمنزلته ، وليس من أنزل حداً من الحدود في غير منزلته فقد هجاه وما مدحه ، ثم اتفقنا نحن وأنتم على علي بن الحسين ، إذ لم يكن قد اختفى شخصياً ، ولا غاب عن الدار إلى دوره ، وتمام أمره إلى أن سلم إلى ولي أمره بأمر

الله ووحيه ، فعل من تقدمه . ثم كان من ولده زيد ويحيى بن زيد ما قد علمتموه ، وما قالت شيعتهما فيهما مما لو تقصيناه لطال شرحه .

وما فرقة من الفرق[1] إلاّ وهي تدعي في صاحبها ما ادعاه النصارى في المسيح ، كل ذلك نقصاً فيهم ، وذماً لأئمتهم ، إذ لم ينزلوهم منازلهم ، فصار ما ادعوه افتراء عليه ، ولم يعلموا سر الله في أوليائه وستر حكمته عن أعدائه ، وكل فرقة إذا عدموا ذلك الشخص الذي ادعوا فيه ما ادعوا رجعوا إلى عبادة المعدوم ، وتركوا الموجود افتراء على الله ، وقالوا كما قالت اليهود لعنهم الله ، يد الله مغلولة ، يعنون أن الإمامة انقطعت بعد هارون ، ولما أنكروا يوشع بن النون فأي فرية أعظم من هذه لو يعلمون . ثم قام الباقر (ع) بعده بأمر الله ووحيه ، ففعل فعل من تقدمه ، واتفقنا مع من قال بإمامته فيه ، وانقضاء دوره وتمام أمره ، وقام ولي
الله / بعده خليفة الله في أرضه، وبيت نوره ، جعفر بن محمد بأمر الله ووحيه ، ٢٩٩/
بإحياء معالم الدين ، وسنن المرسلين ، وجمع المؤمنين على كلمة الإخلاص ، وفرق دعاته في جزائر الأرض ، وأقام منار الدين ، وكتبت عنه العلوم والأخبار ، وسار بها في جميع البلدان .

ولما حضره أمر الله في التسليم دعا نقباءه وخواص إخوانه حسب ما فعله الأئمة والنطقاء قبله ، وسلم الأمر إلى ولده اسماعيل بأمر الله ، ووصيه إليه ، وأشهدهم على نفسه ، فصار اسماعيل باب الله ومحرابه ، وبيت نوره ، والسبب بينه وبين خلقه ، واجتمعنا نحن وأنتم على ذلك .

ولما غيب شخصه في حياه أبيه سراً عن أعدائه ، ومحنة لأوليائه كما تقدم القول في اسماعيل بن ابراهيم ، قال ما بدا الله في شيء كما بدا في اسماعيل ، إذ قبضه في حياة أبيه ، وقد روينا نحن وأنتم عن الصادق أنه قال : إن البداء والمشيئة لله في كل شيء إلا في الإمامة . فعظمتم الفرية على الله وقطعتم ما أمر الله به أن

(١) الفرق : الفرقة في ب

يوصل ، وجاؤوا ليطفئوا نور الله بأفواههم ورجعتم بالأمر القهقرى ولم تعلموا أن اسماعيل لم يغب عن الدار حتى خلف ولداً كاملاً وأن الأمر قد رجع إليه بأمر الله ووحيه إليه ، وأنه لما حضره ما أراده الله من أمره أوحى إليه أن يسلم الأمر إلى ولده محمد ، وعن نقبائه ، وخواص أصحابه ، وسلم إليه بمحضر من خواصه ستراً عليه كما فعل هارون بيوشع بن النون ، إذ جعله خليفة على ولده إلى أن تم أمره ، وقد كان هذا رجلاً كاملاً له أربعة عشر / سنة ، وصاحب هذا العمر جائز القول ، ٣٠٠/
مقبول الشهادة ، وإنما فعل ذلك لوقت الفترة ، وهيجان الفراعنة .

وعظمتم الفرية على الله وعلى أوليائه، وجهلتم أن الأمر رجع القهقرى ، وتركتم قول الله : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ . . . ﴾[1] ورجعتم إلى القول بالنكوس على الأعقاب ، فرددتم إلى جعفر بن محمد الصادق ؛ أوليس قد تقدم في قصة يعقوب أنه أمر بالتسليم إلى يوسف وابيضت عيناه ؟ وأنه لما غاب يوسف عن الدار لطلب هجرة ، وتقضي المحنة . فقد يعقوب مجلسه ، وجمع شمله ، وكان يرسل أولاده في الآفاق يطلبون صاحب الأمر ، وهو ما حكاه الله عن قوله لهم : ﴿ يَا بَنِيَّ آذْهَبُوا فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن روح اللهِ أَلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾[2] .

وجعفر الصادق أطهر نفساً ، وأزكى روحاً من أن يتعدى حدود الله ، وترون أن جعفر الصادق لما حضرته النقلة استخلف المنصور ضده على أهله وولده ، كل ذلك صيانة لهم وستراً على ولي الله ؛ ثم تفرقتم شعوباً وقبائل ، فلا الأول عرفتموه ، ولا الثاني صدقتموه ، ففرقة منكم قطعت عليه ، وقالت إنه سيعود إلى الدار فيملأها عدلاً ونوراً كما ملئت ظلماً وجوراً ، فركبت طريق النصارى في عيسى بن مريم الذي زعمت أنه قاعد على يمين الله مستعد للرجوع إلى الدنيا ليفصل بين الحق والباطل ، ويقوم كل معوج .

---

(١) سورة : ٤٣ من الآية ٢٨

(٢) سورة : ١٢/ ٨٧

القول في الفرق بعد جعفر الصادق

٣٠١/ الذين افترقوا في / أولاد جعفر الصادق (ع) الأربعة ، لذلك وجب علينا أن نتقصى في أمر هذه الفرق التي افترقت بعده في ولده ، وأحادت الحق عن أهله ، وذلك أن كل من حاد عن الحق وقع في الباطل ، فبصرنا في القضية الموجوبة بالعقل ، فلما علمنا أنه متى بطل أمر الثلاثة ثبت أمر الواحد المحض ، فتركنا العدم ورجعنا إلى الوجود ، فنظرنا فيما ادعته الفطحية ، بقولها فيه إنه الإمام ، وإنه قد مات بعد جعفر بسنين كثيرة .

وقولها إنه كان إماماً صامتاً وراءنا قد مات ، ولم يعقب بولد يكون خليفة بعده ، يستودعه سر الله وحكمته ، لأن خليفة الله في أرضه هو بيت نوره ، والسبب بينه وبين خلقه ، وينصرف إليه حدوث كما تقدم القول به في نظرائه ، وينزل عليه التأييد فيمدهم بأقساطهم ليعرفوه حق المعرفة ، ولا يشكون فيه ، ويكون وارثاً وموروثاً مع روايات الصادقين عن الله أن الإمام لا يكون عقيماً ، ثم نظرنا فيما ادعته المحمدية التي ادعت أن محمد بن جعفر الإمام ، وأنه قد ظهر بمكة وجرد سيفه في الشهر الحرام في البلد الحرام ، التي اجتمعت الأمة بأسرها أن الخروج فيه محرم على الخلق ، إلى يوم القيامة .

ثم رأيناه خرج على ولد العباس في دارهم بعد أن عاش في كنفهم وحفظوه ، وهم حكام عليه فخالف فعل جده والأنبياء قبله ، إذ لم يبيتوا على أضدادهم في دارهم حتى اتخذوا لأنفسهم دار هجرة يعتصمون بها ، ويجاهدون عدوهم منها ،

٣٠٢/ ثم يفتحون بعد ذلك دار هجرة ،/ وأنا لما رأينا سنته مخالفة لسنن هؤلاء المتقدمين علمنا أنه لو كان حجة الله في أرضه لما تعدى سير آبائه ، فأقمناه مقام المتغلبين من أشباهه .

ثم رأينا ضده ظفر به وأخذه ، وجعل في عنقه حبلاً ، وطاف به البلدان ووجه به إلى خراسان ، وأنه ما دخل مدينة من المدن إلاَّ صعد منبرها وتبرأ من دعوته ، ويشهد بذلك على نفسه ، ويفوه بالخطأ ، وينسب نفسه إلى الضلال ، والشيع بأسرها مجمعة على أن الإمام الذي يقوم بمكة لا يذل لدراية ، وروت هذه الطائفة عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي . وأن جعفر لم يكن له ولد يسمى محمداً غيره ، ويجوز أن يقال لجعفر عبد الله لأن الخلق كلهم عبيد الله .

وأقمنا هذه الطائفة مقام غيرها من الضلال ، ثم نظرنا في القصة العظمى إلى أصحاب موسى بن جعفر فوجدناهم طائفة لا تدري أيهما أصل لصاحبه ، ووجدناهم ركبوا سنن من كان قبلهم ويدعون أنه إلى وقتنا هذا ، وأنه لم يمت ولا يموت، وقد رأيناه مات في سجن بني العباس، ورمي خارج السجن ثلاثة أيام حتى عاينه جميع الناس، ثم دفن بعد ذلك.

وقد ظفر به عدوه وقسم ميراثه ، ونكحت نساؤه أمهات المؤمنين بعده ،
٣٠٣/ ونكحها أعداؤه وأضداده ، ولم يكن له خليفة يخلصهم من / نكاح الحرام ، ويجمع شملهم ، وإلى الخلافة من ولده الذي زعمتم أنه إمام سترهم ، ومنع عنهم ذلك ، كما فعل سائر آبائه ، لأن الإمام القائم بالأمر بمنصوب الخلق ، والخلق فقراء إليه ، وإذا كان مفقود العيان ينتظر الرجعة ، فما منفعة من بعده به ؟ وإلى من يرجعون في أمر حلالهم وحرامهم وفرائضهم وأحكامهم ؟

ومن يقيم فيهم حدود الله ، ويفرق بينهم في الأحكام ؟ وإنا متى قدنا الموجود رجعنا إلى عباده ، ونسبنا الباري إلى الظلم ، وأنه أحالنا على عدم . ومتى

اختلفنا في حكم من الأحكام رجعنا إلى الرأي والقياس ، وليس هذا من فعل الحكيم أن يأمرنا بالسمع ، والطاعة لشخص مفقود .

ولو جاز لنا ذلك ، لأمرنا بعبادة من لم يلد ، لنكون ننتظر حتى يلد كما ينتظر الغائب ، وقدم روت هذه الفرقة أن الصادق اسم الإمام ، اسم صاحب التوراة ، وأن موسى دخل عليهما فقال مرحباً بمولانا يغضب ولا يلعب ، ثم نظرنا فيما ادعته الفرقة الثانية فوجدناها تقول : علينا معرفة الإمام ، ويوسع علينا الدخول تحت كل إمام ، بركان أمر فاجر ، والنزول تحت رأيهم والمعيشة في أوساطهم ، والكون تحت كنفهم ، فحكموا الأعداء في مائهم وأموالهم ، وفروجهم وأحكامهم ؛ فخالفوا بذلك سنن من قدمنا ذكره من أنبياء الله وأئمة دينه ، فعلمنا أن هذا القول
٣٠٤/ أعظم المحال ، وأن القائلين/به غثاء الناس ، وأرذالهم .

لأن الله عز وجل أمرنا باتباع الأنبياء ، وركوب سنتهم ، بعدهم ، لقوله : ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ . . . ﴾[1] وقول الرسول لأمنه المؤمنين به لا الغثاء ، الذي لا يعبأ الله بهم : « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » . وقوله : « أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » .

وأرانا دعوة هؤلاء الجهال إلى خلاف ما دعانا إليه ، فوجب علينا تركهم ودفع أئمتهم الذين أباحوا لهم مثل هذا ، وصاروا عندنا مقام أئمة الضلال الذين إذا فاتهم شيء من الأحكام رجعوا فيه إلى الرأي والقياس، ووجدنا جميع هذه الفرق الذين بعد هؤلاء اجتمعت على ولده أحمد بن موسى ، وهو المسمى بعلي الرضى الذي نصبه المأمون وكتب اسمه على الدراهم ، وجعله ولي عهده ، والإمام بعده ، وأقام بين يديه بخدمته ، ولم يشك أحد من العلويين والشيعة أن الأمر منصرف إليه بعد المأمون ، اضطراب في عقله كما فعل معاوية بن يزيد بن معاوية لما علم أن أباه اغتصب الحق من أهله ، فأراد برجوعه إليهم .

وذلك أن المأمون جمع الفقهاء والعلماء من سائر البلدان ، وناظرهم في فدك

(١) سورة : ٣٣ من الآية ٢١

والعوالي حتى ردها على ولد فاطمة ، بعد إقامة الحجة عليهم ، كل ذلك حيلة على صاحب الأمر فلم يجد إلى ذلك سبيلاً لستره نفسه عن الظهور وقبل أوانه ، واختفائه عن أعدائه ، وانتظار الفرج في حينه ، وأوانه . وأن المأمون لما ارتاب على هذا ، ورأى اجتماع العلوية عليه ، فأراد كشفه واستخباره ، ولقد كاتبه من ولد
٣٠٥/ العباس خوفاً على أنفسهم بمعرفتهم ما فعله آباؤهم/ بآبائهم ، وأنهم لما ظفروا به طلبوا آثارهم ، ولم يشك العلوية أن الأمر راجع إليهم به ، واتصل خبره برجل كان ينصرف إلى الشام من قبل ولي الزمان وكان دار هجرته بيت المقدس .

وكاتب صاحب الجزيرة بالتوجه إليه ، فسار نحوه باذلاً نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وطلباً للدار الآخرة ، وبذل الجهاد في أوانه ، وسار الرجل حتى دخل إليه وبذل نفسه وجاهد في الله حق جهاده ، فكان من خطاب المأمون له في وقت دخوله إليه لما أفلح بالحجة عليه ، أرجو أن تكون الحجة الخفية المطلوبة ، والنعمة الواسعة الموهوبة في باب الرحمة ، الموجودة ، فتحك الله لي . فقال له : أما الحجة المطلوبة فلا يجاب رحمة فتحت لك فيهم فاسمع استماع من يخشى الصمم ، وتثبت من يخاف الزلل ، ولقد جرى بينهما ما يطول شرحه إن تقصيناه ، ويخرج عن حد هذا الكتاب ، حتى إنه بسط إليه يداً كانت عن الحق مقبوضة ، وفي الجنة مبسوطة ، وأنقم عليه ، وعرفه بمولاه ، وأفاض عليه من نور هداه ، فساواه في مجلسه .

وشرح له ما جرت به السنة الماضية ، وتركه على حاله إلى أوان الظهور ، وتمام المقدور بالوقت المعلوم ، والأجل المحتوم ، وأقام معه مدة طويلة بذل له في خلواته ، ويبذل نفسه في مرضاته ، ولم يزل يطارحه شيئاً بعد شيء حتى استكمل
٣٠٦/ رضاعه ، واكتفى بما أخذه منه ، ورأى/أن الرجل قد قوي أمره ، وحسن مذهبه ، وانصرف عما كان عليه ، فعند ذلك عرفه بحال المنصوب ، وما يكون منه ، وودعه وسار .

ولما خلى المأمون بنفسه وفكر في أمره ، وكان يأتي علي بن موسى هذا ويبسط له مسائل ينتزعها من القرآن وانتزعها من التوراة والإنجيل ، عن أخبار الماضين ،

وسنـن المرسلين ، بما قد وعاه وحفظه عن شيخه ، وولي أمره الذي عقد على نفسه ولاءه ، وبايعه فيما أمر به ، فلما لم يجد عند علي بن موسى شيئاً من الحق المطلوب ، عرف عند ذلك أنه ساءت بصيرة العامة حوله ، وصد عن معرفته ، وعلم أن حكمة الله مستورة عن أعداء الدين ، والجالسين مجالس الأئمة المهديين ، مذخـورة في أوليائه إلى أوان الظهور .

وعند ذلك قلب الرأي في أمره إذ رآه خالياً مما طلبه فيه ، وغير مستحق لما أهله ، وأن سبيله سبيل من تقدمه من المخالفين ، وفكر فيما عمله فيه من إشهار أمره وتقدمته على نفسه ، وخاف إن بقي بعده استحق ما عقده له ، فيغلب على أولياء الله ويطلب منهم أكثر مما طلبه آباؤه قبله ، فيهلك الحرث والنسـل ، فيكون هو أصلاً لذلك .

وعند ذلك قتله ، وأشهر أمره ، وتمسك بما وصل إليه من شيخه ودليله ، وتعدى ما سمعه من علمه ، وترك الأمر في مكانه ، إذ كان الإمـام مستـوراً عن الخلق إلى أوانه ، وأسبابه مبسوطة ، وعلومه مبثوثة ، ودعاتـه قائمـة ، وأعلامـه
٣٠٧/ نيرة ، و/ شخصه غير مفقود ، إلى أوان الظهور ، وتمام المقدور ، فهذا سبب ما جرى من خبر المأمون مع علي بن موسى الرضي ، وقتله له .

وقامت فرقة بعده على ولده محمد بن علي وادعت فيه الإمامة ، وكان لما صار إلى المأمون خلفه في المدينة طفلاً صغيراً في حجر أمه ، ومات وخلفـه ابـن خمس سنين ، وقد أجمعت الشيعة أن الإمام لا يغيب عن الدار التي يخلف ولداً كاملاً مستحق الإمامة وميراث النبوة ، وقد علمنا أن ابن خمس سنين إلى العشرة لا يجري عليه الحكم ، ولا تجوز شهادته ، ولا يرضى عقله ، وأنه لا تجوز شهادة من لا تجب الصلاة خلفه ، ولا تؤكل ذبيحته ، ولا رأينا أحداً من المتقدمة من اليهود والنصارى وغيرهم قدم مثل هذا ، ولا رضي به . وقد قلتم إن أباه لم يجعل عليه وصياً ، ولا خليفة فيتعلق به ، كما فعل هرون لما حضرته النقلة ، واستخلف يوشع بن نون على ولده ، وكما استخلف اسماعيل بن ابراهيم الكبش المسمى في الكتـاب على

ولده ، وهو ما حكاه الكتاب عنه بقوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسحَقَ . . . ﴾[2] فدل أن البركة وقعت بالكبش قبل اسحق .

ولما سمي اسماعيل كبشاً ، كذلك سمي موسى بقرة ، وذلك لما جمع موسى نقباءه بعد غيبة أخيه ، وقال لهم : إن الله بأمركم أن تذبحوا بقرة . يقول : إن
/٣٠٨ الإمام الذي هو خليفة الله في أرضه يأمركم بنصب حجة يقوم بأمركم ،/ويتولى قيمة الجاري عليكم ، إلى أوان قيام صاحب الأمر ، وانكشاف أمره . ألا ترى إلى قول النقباء : اتخذنا هزوا . أي إلينا ذبح البقرة ، أم إليكم ؟ وقد تقدم القول في موضعه ، وأنتم تقولون إنه أوصى إليه قبل أن يفارقه ، وكيف يوصي إلى من لا يجوز عليه الحكم ؟ والوصية عندنا وعندكم بأمر الله ، ووصيه إلى سلف بنصب الخلف كما تقدم القول به بشهود عدول ، وهل يجوز لأحد في ظاهر أمره أن يوصي ولداً له إذا كان لم يجر عليه الحكم ؟ وهل يجوز أن يسلم إلى وصي يوصيه بولده ويستخلفه عليه أو يسلم إليه ما له حتى يشهد عليه عدول يقبل شهادتهم المنصوب للقضاء ؟ ثم تفرقت شعوباً في ولده وولد ولده إلى أن ولد محمد بن الحسن ، وكان حبشياً فتمسكتم بإمامته ، ولم تشكوا أنه المنتظر الذي يخلصكم من ذل الفراعنة ، وأنه صاحب الدين والدنيا .

وزعمتم أن النبي أشار إليه ، ورويتم فيه أخبار يطول شرحها تفسد عند التحصيل ، فلما مضى أقمتم على ولده الحسن ، وقد أخذ الجارود بن رياح ، وكان قد خدم إمامين منهم علي الأصغر وولده الحسن ، فذكر عن الحسن معجزة ما كان لأحد مثلها قال : كنت أسايره في بعض طرقاته وجماعة معي ونحن نتحدث فقلت في نفسي : أتراه يعلم ما في ضمائرنا وما نتحدث به ؟ قال صاحبي : إن كان يعلم ما
/٣٠٩ نحن فيه فليحرك قلنسوته / فحركها بعد وقت حتى إنا قلنا إنما أخر ذلك محنة لنا ، ثم مدّ يده إليها كأن يصلحها . فهل أتى أحد بمثل هذه المعجزة إلاّ عيسى ؟ ومثل هذا من مقالتكم مما يطول شرحه ، ومضى ولم يعقب ، وقد كنتم تقولون له : يا ابن رسول الله أكثر من الإماء .

(١) سورة : ٣٧/ ١٠٧

(٢) سورة : ٣٧ من الآية ١١٣

وقيل أكثر التزويج فعسى أن يرزق الله ولداً ، والله أكثر الحرص في مثل ذلك حتى مات ، ثم روي بعده أن قوماً طلبوا جباية الأموال والوصول إلى أموال الأيتام ، فعمدوا إلى جارية له تسمى صفيل فأخلوا لها داراً ، وأوقفوا على ادعاء الحمل ، وجعلوا عليها سدة وحرساً ، وقالوا إن المنتظر في جوفها ، ذلك رجاء لما طلبوا من التوصل إلى أخذ مال الضعفاء .

وروي عنه أنه متى ظهر لا يراه إلا ولد زنى ، فهو سخطه على الخلق ، وليس هذا رحمة كما يروي العامة أنه من نظر إلى قبر رسول الله عمي فهو حي من لم ينظر إليه يراه ، فلما مات صار سخطه على الأمة ، ولو كان للحسن ولد لأبطله قول رسول الله إن الإمام لا يقوم وهو حدث حتى يكمل خلقه ، وفي رواية أخرى آخضرّ شاربه ، والحسن من قد مات إلى وقتنا هذا مائة وعشرون سنة والناس يعبدون عدماً ؛ أفترى أن الله يسألني عن ظلم الخلق لما أحالهم على معدم الشخص ؟ وقد بطل قول رسول الله من مات ولم يعرف إمام عصره مات ميتة جاهلية ، فلا قول رسول الله حفظتم ، ولا قول الذرية أخذتم ، فمن/ إمامكم /٣١٠
الذي تدعون به ، وإلى من ترجعون أن التاث عليكم شيء من أمر دينكم ؟ إنما أنتم مع العدم ، مرة تقولون إنه في جبال رضوى ، ومرة يقيم في الصحراء ، ومرة ساكن في الماء مستعد للخروج إلى الدنيا للفصل بين الأموات والأحياء ، فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . وما علمتم أن الأئمة لما كان من أمر الحسين ما علمتموه ، لزموا العبادة والنسك والزهادة في الدنيا ، ودخلوا كهف التقية ، وأمروا أشياعهم بلزوم ذلك ، وهو ما روي عن الصادق أنه قال : التقية ديني ودين آبائي ، ومن لا تقية له ، فلا دين له .

وأطلقوا دعاتهم في سائر الأرض يدعون إلى الهدى ، ويأمرون بالستر والكتمان ، والسياحة إلى أوان الكشف خوفاً عليهم من فراعنة الربا ، واستتر صاحب الحق ولزم التقية ، كما قال الصادق ، ودعاته تسيحوا في الأرض كسياحة المسيح ، كل ذلك لطلب دار هجرة يلجأون إليها ، وذلك عندما ملك الضد دار

هجرة الرسول وادعاها ، وبذلك وعدنا رسول الله ، بقوله : « إن الشمس تطلع علينا من المغرب » .

وكما فعل أبوه ابراهيم لما كان الأصل لهذه الشريعة ، في توجيه لوط لطلب دار هجرة ، وقد تقدم القول به وإنه لما فتح الشام سافر إليها ، ورحل عن دار ضده ، وخلّص المؤمنين من دار الضد ، والمقام على الذل ، وأقام فيهم أحكام
٣١١/ الدين ، وتسامع المؤمنون الذين كسروهم الدعاة ، / فأتوا من جميع الآفاق ، وجددوا عليهم عهودهم ، وتمسكوا بأئمتهم ، وأنه لما قوي يده ، جاهد من كان حوله ، وكل ذلك تقوى المؤمنين يقسم عليهم غنائمهم كما سنه الرسول ، وأنه لما قوي أمره وعلا سلطانه ، هاجر إلى حرم جده فملك بيته المغصوب ، وخلص من لحق من المؤمنين ، وأهلك من نازعه من أعداء الدين .

وهل على هذا البرهان من مزيد ؟ أليس هذا فعل الأئمة المتقدمين ، والخلفاء السابقين ؟ ايتوني بمثل هذا في أئمتكم إن كنتم تعلمون ، فإنه لما ظهرت دلائله ، ونشرت أعلامه ، وقامت دعوته ، وظهرت آياته وبراهينه ، يتلو بعضها بعضاً أظهرتم العداوة والبغضاء ، وقلتم لن يبعث الله بعد محمد رسولاً ، ويقول : « إن ربي وعدني بطلوع الشمس من مغربها » ، والمراد الأئمة في باطنها .

ولما أصبح النهار وبات الضياء ، صرتم تنتظرون مثل العامة الذين قطع لهم اسم من العمى ، بأن الفلك ينقلب على عقبيه ، أوما تعلمون أن الشمس التي ترون أنها رجعت إلى علي بن أبي طالب أنها شمس الخلافة بعد رسول الله ، ومع ما تقدم رجوع الشمس ليوشع بن نون بعد هارون ، فهل على هذا البرهان من مزيد ؟ يجب القول في اسماعيل في تسلمه الأمر من أبيه ، ونحن نأتي بما لا ينكره إلاّ مكابر معاند ، يظهر سرّ عقيدته والرأي البدي على قلبه ، رجاء أن يطفىء نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . ومن ذلك أن جعفراً لما نعيت إليه نفسه جمع
٣١٢/ خواص أصحابه ، و/ من كان بحضرته من حريمه ، وفعل فعل من تقدمه ، وسلم الأمر إلى اسماعيل باب الله ومحرابه ، وبيت نوره ، والسبب بينه وبين خلقه ، وخليفة الله في أرضه .

وقد اتفقنا نحن وأنتم على ذلك بما تقدم القول فيه ، فلما حضرته النقلة في حياة أبيه كما تقدم القول في اسماعيل بن ابراهيم ، وهارون وموسى ، قلتم ما بدا به في شيء كما بدا به في اسماعيل ، وذلك نقض في المعرفة والإختلاف في الأهوية ، رجعتم بالأمر إلى جعفر ، والأمر لا يرجع القهقرى ، فمنعتم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعيتم في خرابها ، فصرتم كما قال الله : ﴿ ... مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ... ﴾[1] الآية .

ولم يكن الله لما قلد اسماعيل بخلافته يعلم أنه يموت حتى قلتم انه بدا له فيه ، فنسيتم قول الصادق : إن البدء والمشيئة لله في كل شيء إلاَّ في الإمامة . وقول رسول الله : « اسمه إسمي ، واسم أبيه كاسم أبي » . وفي رواية أخرى : أخبرني حبيبي جبرائيل عن رب العالمين أن رجل من ظهري يخرج في آخر الزمان اسمه كاسمي وإسم أبيه كإسم أبي ، يدعو الناس إلى دين الله الأزهر ، عند ارتدادهم عن دينهم ، واندراس الإسلام والشريعة ، وذلك لاختلاف ضلالهم فيخرجهم من ضلال الفتنة وكثرة الإختلاف والشبهة ، كما أخرجتكم أنا من ضلال الشرك في الجاهلية . ويكذب كما كذبت ، ويؤذى في الدعوة إلى الله كما أوذيت ،
/٣١٣ ويقذف بالكفر كما قذفت ، و/ يسمى كذاباً وساحراً كما سميت ، وكما كان الكذب في الأولين كذلك يكون في الآخرين ، مع ما روي عن الصادق : لو جاءكم أحد بدماغ ابني هذا في صورة فلا تشكوا أنه الإمام بعدي . وقوله ، وهو بين يديه هذا هو الإمام بعدي ، فما أخذتموه منه فهو عني .

وقد جاء عن بعض أصحابه ، وكان من دعوة أبي الخطاب أنه قال رأيت اسماعيل عند منصرفه من الكتاب فأجلسته في حجري ، وقبلت رأسه ، وقلت : ما أعجب ما رأيت منكم ؟ فقال : بأي الأمور أنت تعجب يا فلان ؟ فقلت : يقول لنا أبوك بالأمس أبو الخطاب معدن سرنا وعيبة علمنا ، واليوم يلعنه ويأمرنا بالبراءة منه . فقال : يا فلان وسماه إن الله لما دعا السموات والأرض وذلك قوله : ﴿ ... ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[2] فكانتا مطيعتان .

(١) سورة : ٢من الآية ١١٤ (٢) سورة : ٤١ من الآية ١١

وكذلك النطقاء والأوصياء والأئمة كانوا مطيعين في إجابتهم ، فلذلك صاروا معصومين ، وسائر الأتباع لهم مستقر ومستودع لأنهم محامين ، وليسوا معصومين ، وأبو الخطاب ممن استودعه علمنا فلذلك قال بولايتنا فلما قبض الله وديعته تبرأنا منه ، فمن أي هذه الأمور أنت تعجب ؟

ونهض الصبي من حجره مسرعاً فقال الرجل ما لي ولصغير بني هاشم وكبيرهم ، ودخل الرجل لوقته إلى الصادق فأخبره بما جرى بينه وبينه ، فقال : أوَتكلّم بمثل هذا ؟ ثم أحضره وأمره بأن لا يعود إلى الكتاب ، وصار يصونه من
/٣١٤ كلام الناس خوفاً/ عليه من ضده .

وقد روينا ورويتم إذا تم لولد الإمام سبع سنين عرف صاحب الوقت صاحب الأمر ، والوارث له ولده فيصونه عن سائر ولده ، وينزهه عن مخاطبة الناس ، وتصير تربيته إليه . ومما جاء عن بعض الأولياء أن الله لم يبعث نبياً ولا وصياً ولا إماماً إلا وهو ينصب له خليفة يخلفه في حياته ، ويقوم بأمر الأمة بعد وفاته .

والإمام ناطق والخليفة صامت ، وهذا مما لا ينكره نحن وأنتم ، وإن أول من فعل ذلك ابراهيم ، وأنه لما بعث به إلى خلقه وطرقه التأييد وأقام برهة من عمره ، ولم يرزق ولداً ، فأمر الله أن يتخذ ابن أخيه لوطاً صامتاً ليقوي أمره ، ويقوم بين يديه فنصبه ، ورآه الناس وأتت به الأخبار الصادقة ، ثم إنه لما رزق اسماعيل ، وكبر إلى أن بلغ أشده ، وكمل أمره ، أمره الله بتنصيبه أساساً ، وقد تقدم من القول فيه ما يكفينا عن إعادته .

وأنه لما أن نصبه أرسل ابن أخيه لوطا إلى الشام يطلب له دار هجرة ، وأمره بالدعوة إلى اسماعيل ، ومن ذلك ما حكاه الله عنه بقوله : ﴿ فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ . . . ﴾[1] كذلك فعل موسى بيوشع بن النون إذ نصبه بين يديه قبل تأييده

(١) سورة : ٢٩ من الآية ٢٦

بأخيه هارون ، وكذلك فعل محمد بأبي بن كعب وقد تقدم من ذلك ما فيه كفاية
/٣٩ لأولي الألباب ، وكذلك فعل سليمان لما أراد استخيار نقبائه/ فجمعهم في قصة سبأ ، وقال لهم : ﴿ . . . أيكُمْ يأتيني بعَرْشِهَا قبلَ أن يأتُوني مُسلِمينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أنَا آتِيْكَ بِهِ قَبلَ أن تَقُومَ من مَّقَامِكَ وَإنِّي عَلَيهِ لَقَوِيٌّ أمينٌ . قَالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ من الكِتَابِ أنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ . . . ﴾(١)

وأنه لما ﴿ . . . رَآهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَني أأشْكُرُ أمْ أكْفُرُ . . . ﴾(٢) ، الآية . وكذلك أبوه داوود لما نصبه بين يديه وقدمه على نقبائه ، وأنه لما كان يحكم في الناس بحضرتهم ، وهو ما حكاه الله عنه بقوله : ﴿ وَدَاوُدَ وسُليمانَ إذ يَحكُمانِ في الحَرثِ إذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وكُنَّا لِحُكمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾(٣) . ففهمناها سليمان وكما فعل قبله الأنبياء والرسل ومن تقدم القول به ، كذلك فعل سيدنا جعفر بن محمد ، وأنه بقي خمسة وعشرين سنة لم يرزق ولداً غير اسماعيل ، وأخيه عبد الله وأنه لم يتزوج على أمهما امرأة ، ولم ينسر عليها جارية حتى غابت .

وذلك لما علم أن الإمامة في عقبه وأنه أقام على ذلك حتى غابت عن الدار ، وكما فعل الصادق كذلك فعل جده محمد بخديجة ، وعلي بفاطمة ، وأنهما لم يتزوجا عليهما حتى غابتا عن الدار ، فارجعوا رحمكم الله إلى مثل هذه الحجج والبراهين ، وأردنا مثلها في أئمتكم إن كنتم صادقين ، ثم إنه لما غاب اسماعيل ادعى من ادعى من ذوي موسى بسوء عقيدته أن اسماعيل استخلفه ، فأردنا بذلك
/٣٠ شاهداً نأخذ به كما فعل محمد لما نصب الحسن والحسين ، / وقال : إنهما إمامان قاما أوقعها .

وان آية التطهير شهدت لهما وأنهما حضرا مع رسول الله في ليلة المباهلة ، وما قال رسول الله لنصارى نجران ﴿ . . . تَعَالَواْ نَدْعُ أبْنَاءَنَا وَأبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

(١) سورة : ٢٧ من الآية ٣٨/ ٤٠
(٢) سورة : ٢٧ من الآية ٤٠
(٣) سورة : ٢١/ ٧٨

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ . . . ﴾[1] . وشهادة الرسول لهما أنهما سيدا شباب أهل الجنة وتقدم أبيهما ، بقوله : وأبوهما خير منهما . فلذلك تقدمهما الوصي ، وصار وصياً عليهما ، وأولى بالتقدمة عليهما لهذه الشهادة الذي تقدمت له .

وقد جاء في الرواية أن رسول الله توفي في إحدى عشر سنة من هجرته في يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، وكان الحسن ابن ثمان سنين والحسين ابن سبع سنين ، وأنهما ما استحقا الإمامة ، ولذلك صار أبوهما وصياً عليهما ، كما كان يوشع وصي ولد هرون ، وأباهما لما حضره أمر الله قدم الأكبر على الأصغر وصار الأصغر ، وأشار لكل ، وشهدتم بأن موسى كان الأمين على اسماعيل ، وقد مات اسماعيل ولولده محمد أربعة عشر سنة فلحقتم بهذه الشهادة من مضى من قبلكم من الفرقة المختلفة ، فرددتم الأمر القهقرى ، وتركتم ما قال الله : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً . . . ﴾[2] وكما كانت إمامة اسماعيل بأمر الله ووحيه إلى من سلم إليه ، كذلك كان تسليمه إلى ولده بأمر الله ووحيه ، كما تقدم القرون
٣١٧/ الخالية ، وما فعلته النطقاء والأئمة . / وقد روينا نحن وأنتم لما غاب اسماعيل أحضروا ولده وجماعة صحبه ، وسلم إليه بمحضر منهم في مجلس أبيه ، واستودع منزلته حجته ، كما فعل أبوه اسماعيل بالكبش المنصوب بين يديه لقيدار قبله ، وجعله ستراً عليه من فرعون وقته .

وجلس الصادق مجلسه كما جلس يعقوب مجلس يوسف عند غيبته ، ولهذا جواب يأتي في موضعه إذ انتهينا إليه ، فقام محمد بأمر الله ووحيه إليه ، وفرق دعاته السيارة في جزائر الأرض ، وأمر أهل الجزائر بإقامة الدعوة باسمه ، فعمرت الأرض وانتشر الأمر ، واقبلوا في السياحة لنصب دار هجرة ، واشتد طلب الظالمين عليه .

ولما اشتد أمره ، وقوي خبره ، وكثر الطلب عليه ، غاب شخصه عن دار أبيه ، وخرج سائحاً في البلاد وبقي الصادق في داره وقراره ، ودخل كهف التقية ، كما قال أبوه في متقدم القول ، وفرق دعاته ، وأقام خليفته المتقدم بين يديه ، كما

(١) سورة : ٣ من الآية ٦١

(٢) سورة : ٤٣ من الآية ٢٨

فعل ولد هارون بيوشع ، ولذلك يقول : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُم كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلبُهُمْ رَجما بِالغَيبِ وَيَقُولُونَ سَبعَةٌ وثَامِنهُم كَلْبُهُمْ قُل رَّبي أَعلَمُ بِعدَّتِهِمْ مَّا يَعلَمُهُم إلاَّ قَليلٌ . . . ﴾[1] .

ولا تمارى فيهم الأمراء ظاهراً ، ومما يدل على إمامة اسماعيل وولده مما رأيناهما حملا نفسيهما عليه وركوبهما ، وسلكهما طريقة لم يسلكها إلاّ الأئمة
٣١/ المتقدمون بأمر الله ووحيه ، والنص/ المتقدم ذكره ، وحرموا على أنفسهم المقام في دار الضد ، ومع سلطان جائر ، والمعيشة تحت أكتافهم ، والإنقياد لهم والخضوع إليهم ، وأنه لم يبق منهم إلا من عذره الله من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلاً .

وسارت دعاتهم مستورين في سائر البلدان يدعون الناس ويخلصون المستجيبين إليه ، وأن كل من أجاب دعوتهم ، وثقوا بديانته ، أخذوا عليه الميثاق ، وأعلموه بإمام زمانه ، وموضعه واسمه ونسبه ، فرحل إليه من استطاع منهم ، وأمروا من لم يستطع بالستر والكتمان ، والسياحة في الأرض إلى أوان الظهور ، ومما يدل على إمامة اسماعيل أيضاً أنا رأينا جماعة الأمة مختلفين فيما أدى إلينا عن رسول الله في ظاهر أمره فيهم ، منكرين لباطنهم ، وذلك لِمَ لم تبلغه عقولهم ، وأنهم يروون أخباراً كاذبة ويسندونها إلى رسول الله ، ويروون أيضاً أشياء قد قالها ولا يعرفون تأويلها ، فيقولون في ذلك في نفس الخبر مثل قوله إن الله خلق آدم على صورته وقوله : رأيت ربي في أزقة المدينة بوفرة حيدا قطط ، وهو شاب مقبل الشباب ، وما رواه مقاتل سليمان عنه أنه لحم ودم ، وأنه صورة كصورتهم ، ومثل ذلك ما رواه المنسوبون إلى التشيع عن علي وما قاله في ظاهر
٣١/ كلامه، أنا/ فجرت أنهارها ، وأنا سقت ثمارها ، وأنا صاحب نوح ، وأنا فاتح الفتوح ، وأنا كنت مع موسى وهرون أسمع كلامهم ، أوليس قد وافقنا على ظاهر هذه الأشياء كلها لما كان ظاهر ألفاظهم يحتاج إلى تأويل ، كما أن الكتاب المقرون بهم يحتاج إلى تأويل ، كذلك قول الأنبياء والأوصياء والأئمة يحتاج إلى تأويل .

(١) سورة : ١٨ من الآية ٢٢

وكذلك يقوم به فصار لنا الفضل في علمنا بمعرفة باطنها وتأويلها ، وإنا إذا رجعنا معكم إلى التأويل ، وجدناكم متفقين مع العامة الذين قطع لهم اسم من العمى ، وهو ما رووه عن عمر بن الخطاب أنه قال للسائل الذي جاء يسأله عن تأويل القرآن أنه قام إليه وشمر عن كميه وكشف رأسه ، فأصاب عليه شعراً ، فقال له : وددت إني أجدك محلوق الرأس حتى أقطع رأسك. فقال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لأنك جئت تسألني عن تأويل القرآن ، وإن أنا أصبت لم أؤجر ، وإن أخطأت أثمت .

وقد اتفقنا نحن وأنتم أن رسول الله قال لعلي : سوف نقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله . واتفقنا على ظاهره وأقمتم أنتم على ظاهره منتظرين له كما أقام العامة على قول عمر واستحسنوه ، وجعلوه فضيلة له، ونسيتم أنتم وهم قول الله ﴿ . . . يَوم يَأتي تَأوِيلُهُ يَقُولُون الَّذِينَ نَسوُهُ من قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا
٣٢٠/ بَالحقْ . . . ﴾[1] الآية . وأنتم تعلمون أن هذا كله فعل مستقبل ، وأن/ تأويله ينتظر وقول الله فيه : ﴿ . . . لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ ﴾[2] .

وهذا وأشباهه مما لو تقصيناه لطال به الشرح وخرج عن حد هذا الكتاب ، وفيما استشهدنا به كفاية لأولي الألباب ، ومن وفق للصواب ، وما جاء أيضاً في هذه السنة الفصول التي هي دعائم الإسلام، مثل الشهادتين والصلاة والزكاة ، والصوم والحج والجهاد وإن سابعها الولاية وإنا لو طالبناكم بإقامة ظاهرها فضلاً عن باطنها ما أديتموها على حقها فضل عن حقيقتها ، مثل آداب الوضوء ، وما افترضه الله فيه على خلقه ، وهذه السبعة عشر ركعة التي افترضها الله علينا وما سنه الرسول قبل الفريضة ونقله بعدها ، ومثل صلاة الظهر التي قبلها سنة وبعدها نافلة ، وصلاة العصر التي قبلها سنة وليس بعدها نافلة ، ومثل صلاة المغرب التي بعدها نافلة وليس قبلها سنة ، ومثل صلاة العشاء الآخرة بم صار قبلها وبعدها صلاة ، وصلاة الفجر التي قبلها سنة وليس بعدها نافلة ، لعجزتم عن هذا كله .

---

(١) سورة : ٥٧ من الآية ١٣

(٢) سورة : ٧ من الآية ٥٣

ومما يدل على إمامة اسماعيل أيضاً أن الصادق لما قبض أقامه في مجلس مسجى ثلاثة أيام ، وهو مكشوف الوجه والناس يدخلون إليه فيعرفونه من بني هاشم وغيرهم ، وسائر أهل المدينة والزوار ، وإنه يقول لمن دخل إليه وعزاه فيه : أليس
٣٢/| هذا ولدي/ اسماعيل؟ولا يستبدل المسؤول من قول نعم عندما رأى ما رآه ، فعند ذلك يأخذ خطه في محضر حضره ، وأنه لم يزل على ذلك حتى أخذ خطوط كل من في المدينة من بني هاشم ، وغيرهم من الزوار ، وأهل المدينة ، وأنه خرج به في اليوم الرابع إلى البقيع وهو مكشوف الوجه ، وأنه كان ينزله ويقبله ، ويقول : والله ما أسفي على موت اسماعيل أسفي على ما أودعته إياه ، ويشهد جماعة من معه ، ويأخذ بذلك خط من لم يحضره من قبل خروجه ، وأنه لم يزل على ذلك مرات ثلاث .

ومع المرة الرابعة أنزله إلى قبره وفعل به مثل ما فعله في غيره ، وأشهد الخلق بذلك ، ودفنه بمحضر منهم ، وكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى المنصور ضده ، وكتب أيضاً الصادق إليه تعزية فيه ، وكان لعنه الله قد جعل عيوناً على الصادق حتى يعرف إلى من يسلم الأمر إليه فيقتله ، وأنه لما وصلت الأخبار إليه اضطرب ، وَهَمَّ بالتوجه إليه في طلبه حتى أتاه موته ، فسكن ما كان يجده منها ، ثم إنه لم يمر له إلاَّ أياماً حتى حكي أن رجلاً كان بالبصرة زمناً له ستين سنة ، وأنه كان قاعداً على باب دكانه يعمل الخوص ، وأنه مر به شاب من صفته وصفته ، والناس يهرعون حوله ويسمونه ويكتنفونه ، وأن الزمن لما مر به وكان يتشيع لأبيه ناداه يا ابن رسول
٣٢/ الله خذ بيدي أخذ الله بيدك ، /ورجع يأخذ بيده وأنزله عن دكانه ، ثم سار به ساعة وخلاه فرجع إلى موضعه صحيحاً سوياً ، فاجتمع إليه الناس ، وقالوا له : من مر بك ؟ قال : اسماعيل بن جعفر بن محمد . فكتب أصحاب الأخبار موته ، ووصل كتاب الصادق بالتعزية فيه ، ثم قرأها وقال إنه لا يزول سحر بني أبي كبشة حتى يفنوا عن آخرهم ، ثم إنه أرسل لوقته إلى الصادق فأشخصه إلى حضرته فلما مثل بين يديه ، أخرج إليه كتابه وكتاب أصحاب الأخبار بموته وتعزيته ، وقال له : أليس هذا خط يدك تعزيني في اسماعيل ؟ قال : نعم . فعندما قرأه أخرج إليه

كتاب الأخبار بما كان من قصته بالبصرة .

وعند ذلك أخرج الصادق المحضر الذي حضره بموته ودفنه ، فلما رأه ووقف على ما فيه من الشهود سكن ما به من الغضب ، فأحضر جماعة من بني هاشم كانوا عنده فشهدوا بما رأوه ، وثبتوا على خطوطهم ، فعند ذلك أمر بنزل الصادق وإكرامه ، ورده إلى موضعه ، والخلق لا يعلمون سر الله كيف يجري في أوليائه ، ولا ما منحهم به في كل عصر وزمان .

ورجع الصادق إلى حرم جده ، وجلس مجلسه كما جلس يعقوب في مجلس يوسف بعده ، وشعيب لما انقطع التأييد عنه وأنه فرق الدعاة السيارة في الأرض ، ومحمد بن اسماعيل بين يديه صامتاً مدة حياته ، وأنه لما حضرته النقلة خرج محمد عن المدينة قبل موته ، وجمع من بقي من نقبائه وحججه وسار نحو حجته الذي كان
/٣٢٣ قد سيره ليطلب له/دار هجرة كما تقدم القول في نظرائه ، وقد رأينا هو وولده من بعده ستروا أنفسهم عن الخلق ، وبثوا دعاتهم في سائر أقاليم الأرض لطلب دار هجرة الذي تقدم بها القول ، حتى ظهر بعض دعاته باليمن ، وأقام الدعوة فيها .

وقويت دعوته وعلا أمره وسار المعلم من تحت يده إلى المغرب، عند وقت الكمال وأوان الظهور ، وتمام وعد رسول الله بطلوع الشمس من مغربها ، وأنه لما قوي أمره ، وكملت دعوته ، وظهرت آياته ، كاتب مواليه بالسير إليه كما فعل لوط بابراهيم ، أنه لما سار من دار أبيه ونصب لنفسه دار هجرة نسخ بشريعته شريعة أبيه ابراهيم ، وسافر إلى دار ضده وأهلكهم ، وقد تقدم من هذا ما يغنينا عن التطويل فيه ، والإعادة له ، وأنهم لم يزالوا مستورين في كهفهم حتى تم ما حده رسول الله لأمته عندما سألوه عند وفاته . كم بقي من عمر الدنيا ؟ فأشار بثلاث أصابع فحسبوه ثلاثة أيام ، وثلاثة أشهر ، وثلاث سنين ، وثلاثين سنة ، وثلاثمائة سنة ، وازدادوا تسعاً . وأن الرسول إلى مثل هذا أشار ، ولمثل هذا نص عليه من نبأ أهل الكهف ، حيث فروا من جور الظلمة . وقد تقدم القول به قول رسول الله الفارون بدينهم يحشرون مع عيسى بن مريم وقوله : « أهل بيتي فيكم كالكهف

وباب حطة لمن دخله ، وكسفينة نوح لمن ركبها » ، وقوله : « إن أصحاب الكهف
/٣٢٤ كانوا فتية أحداثاً /فلما رأوا سنن آبائهم قد غيرت ، وأحكامهم قد بدلت ، وشرائعهم قد عطلت وجور الظلمة قد علاهم ، خرجوا هاربين بأديانهم ، وبقي سائر الخلق تحت جورهم ، وخالفوا سنن أنبيائهم ، وأئمة أدوارهم ، وقال بعضهم لبعض : إن قومنا اتخذوا من دون الله إلهة أطاعوهم في معصية الخالق » .

وعند ذلك أخذ بعضهم على بعض في دخول الكهف والستر عن الأعداء ولذلك يقول الله فيهم : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِنْ أَمْرِكُم مِرْفَقاً ﴾[1] وعلموا أن دخولهم الكهف ابتغاء مرضاه الله صيانة لأديانهم ، ثم عرفهم بأنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم ويعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا إذاً أبدا. فعلمنا أنه من دخل معهم في أديانهم وأقام تحت أحكامهم ، وعمل بالسمع والطاعة ، أنهم لا يفلحون أبد الابدين ، ولن يجعل الله لهم منه مخرجاً ، وأنهم لا يزيدهم الأيام والبقاء معهم إلا شراً ، وبعداً من الخلق ، والإختلاف من الأمور ، ويرسل عليهم عذاباً كما وعدهم الكتاب بذلك ، وعرفهم بما يحل به من أليم عذابه ، وأليم عقابه ، عصمنا الله وإياكم معشر المؤمنين بعصمة الدين ، إنه المنان الكريم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً إلى يوم الدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

/٣٢٥ قد وقع الفراغ من انتساخ هذا الكتاب المستطاب ، المسمى بأسرار النطقاء ،
تأليف سيدنا الأجل جعفر بن منصور اليمن أعلى الله قدسه ، ورزقنا شفاعته
نهار الثلاثة الثامن والعشرين من شهر شوال من سنة ١٢٣٤ هجرية
من خط الأقل الراجي رحمة ربه عبد الحسين بن علي محمد المندسوري
ثبته الله على طاعته وطاعة وليه سلام الله عليه
وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين
المنتظرين إلى يوم الدين

---

(١) سورة ١٨/ ١٦

الفهرس